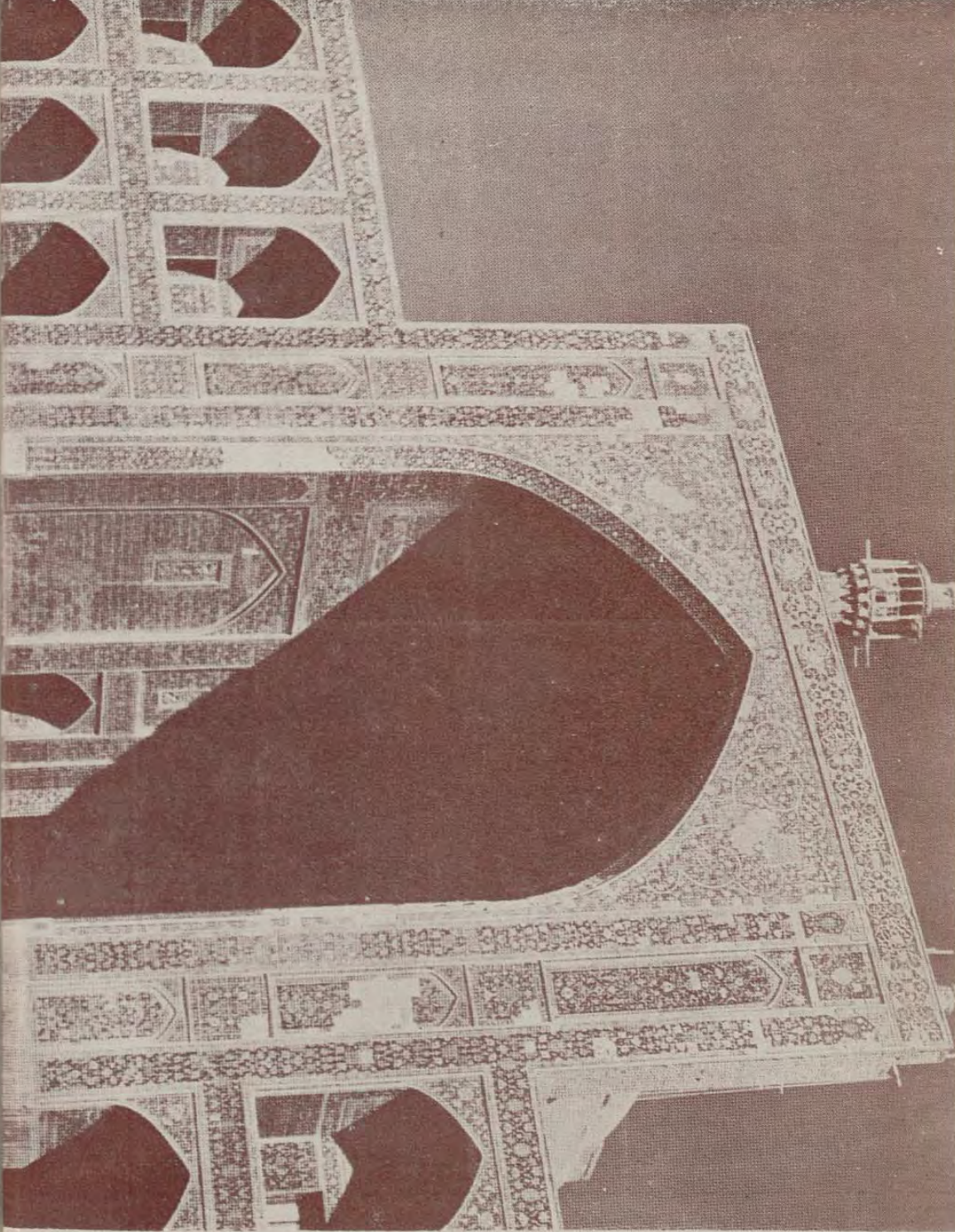


مفاخر العارة
الإسلامية



« مسجدی شاه »
باصفهان شرع فی
انقضاءه سنه ۱۳۱۴

المقتطف

الجزء الاول من المجلد الثالث والتسعين

٢ ربيع الثاني سنة ١٣٥٧

١ يونيو سنة ١٩٣٨

ظواهر الجو واحواله

أيناح للعلماء جمع ما يكفي من الحقائق للتنبؤ بها تنبؤاً يعتمد عليه ؟

يندر بين مباحث العلم الحديث ما هو اوثق اتصالاً بأعمال الحياة اليومية من البحث في احوال الجو . فالطيارة التي يجب ان تقوم برحلة منتظمة على خط معين بهم قائدها وراكبها ان يعرف ما ينتظر ان يكون عليه الجو في خلال الرحلة . والمسافر بياخرة يهمل — اذا كان ممن يصابون بالدوار — ان يعرف هل ينتظر ان يكون البحر هائجاً مائجاً بفعل الريح او ساكناً رهواً . والزارع المقيم في الاصقاع الباردة يود ان يعرف هل يكون الربيع دافئاً والصيف معتدلاً ، والفاطن في الاقطار الحارة يرغب في ان يمدد العلماء بما يتوقع في الصيف المقبل . ولعل اول ما تنجيه اليه انظار القراء في هذه البلاد في اثناء فصلي الربيع والصيف ، عند قراءة الصحف ، هو انباء الحالة الجوية كما تذاق من مصلحة الطبيعيات بالحكومة المصرية ومن المعروف ان استطلاع احوال الجو بالوسائل الحديثة لا يمكن العلماء من توقع الحالة الجوية توقفاً دقيقاً يمتد الى اكثر من يوم واحد . اما التنبؤ بمستقبل الحالة الجوية في الاسبوع القادم او الشهر القادم فيكاد يكون في منزلة التنجيم والكيمياء القديمة . ولكن هذا لا يمنع ان التنبؤ بمستقبل الاحوال الجوية كان ولا يزال عملاً يستوقف النظر ويسترعي العناية ولا يندر ان يدر الثروة على بعضهم . حتى ان البيولوجي الفرنسي لامارك كان يعتقد ان حركات القمر تسيطر على احوال الجو . وقضى عشر سنوات في مستهل القرن التاسع عشر ، ينشر كل سنة

كتاباً او تقويماً يضمنه ما يتوقعه من احوال الجو خلال السنة بناء على قاعدته هذه . وفي مطلع سنة ١٨٣٧ تنبأ كاتب يدعى باتريك مرفي بأن درجة الحرارة في يوم ٢٠ يناير من سنة ١٨٣٨ ستكون أعلى درجات الحرارة في الشتاء كله ، فلما صح ما قال وأذاعت الصحف ذلك عظم الاقبال على تقويمه وجنى من ذلك ثروة لا بأس بها . فالموضوع على ما ترى يستهوي اللب من ناحية وهو شديد الاتصال بالحياة العملية من ناحية اخرى . فهل يتركه رجال العلم في ديجور الوهم ، او يرفعونه الى مستوى العلم الدقيق ، وهل في وسعهم ان يفعلوا ذلك ؟

كان همّ العلماء في مستهل القرن العشرين ان يتبينوا الحقائق الطبيعية التي تعين احوال الجو ، لعلمهم يستطيعون ان يتوصلوا من طريقها ، الى وسيلة تمكنهم من التنبؤ بالظواهر الجوية شهوراً قبل وقوعها

في مقدمة العلماء الذين أقبلوا على دراسة هذا الموضوع عالم اميركي يدعى تشارلز جريلي أبوت Abbot . كان والد أبوت انكليزي الاصل هاجر احد أسلافه الى أميركا في منتصف القرن السابع عشر . وكان يملك مزرعة في إحدى الولايات الشمالية الغربية في أميركا وجل ما يتمناه ان يأخذ أبناءه عنه أصول الزراعة العملية ، لكي يعنوا بهذه المزرعة بعد ان تقعه الشيخوخة . لم يكن ابنه تشارلز من المولعين بالدرس ولكنه مع ذلك كان غير مولع أيضاً بأعمال الحقل . فلما أتم دراسته الابتدائية ذهب الى مدرسة عالية في اندوفر . وفي سنة ١٨٩٠ سافر صحبة فريق من رفاقه الى مدينة بوسطن ، وكانوا ينوون التقدم لامتحان الانتظام في معهد بوسطن التكنولوجي ، فتقدم للامتحان معهم مع انه لم يكن قد استعد له ولما علم انه جاز الامتحان منحه والده وأخته — وكانت معلمة — ما يكفيه على قلة ، للانتظام في ذلك المعهد كان أبوت في حدائته مولعاً بالأعمال الميكانيكية ولذلك كان شديد الميل الى الهندسة الميكانيكية . إلا رفاقه انتظموا في قسم الهندسة الكيماوية فخارهم وظل على ذلك حتى أشار عليه احد أساتذته بدراسة الطبيعة لما بدا عليه من دلائل النجابة في موضوعها . ومضت عليه سنتان وكان في احد الايام معنياً يبحث في أحد المعامل اذ أقبل عليه رجل في بذلة رسمية وقبعة عالية . فدهش الفتى عندما علم ان زائر له ليس الا لنغلي Langley العالم الكبير وسكرتير المعهد السمبسوني الاميركي . وكان لنغلي من أشهر الاميركيين في ذلك العهد ، لانه كان في مقدمة الذين حاولوا الطيران بالة أثقل من الهواء . وكان سر تلك الزيارة ان مجلس الجامعة كان قد أنبأ لنغلي بعقوبة هذا الشاب فجاء اليه يراه ويحدثه قبل ان يدعو للعمل معه في المرصد الفلكي الطبيعي التابع للمعهد . وسر لنغلي بما رأى فما عاد الى واشنطن حتى أبقى الى أبوت يدعو اليه عندما وصل أبوت الى مكتب المعهد بوشنطن كان لنغلي قد سافر الى أوروبا . فاذا الشاب

الباحث بين ليلة وضحاها مدير للبحث الفلكي الطبيعي في معهد كبير . وكان ذلك في سنة ١٨٩٥
كان لنغلي قبل ذلك بنحو أربع عشرة سنة قد انشأ محطاً في جبل وتني بكاليفورنيا الغرض
منه وضع بيان لذلك الجزء من طيف الشمس الذي يقع تحت اللون الاحمر . وكان قد بدأ تجاربه
لقياس الفعل الحراري في هذه الاشعة « بجهاز اخترعه وسمّاه « بولومتر » Bolometer وكان
قلب هذا الجهاز سلكاً مسوداً من البلاتين يمتص حرارة الطاقة المنصبة عليه فبولّد تياراً
كهربائياً يزيد وينقص وفقاً لقوة الطاقة الممتصة . وكان في قدرة هذا السلك الكهربائي ان يميّز
تغيراً في درجة الحرارة يبلغ جزءاً من مليون جزء من الدرجة

ما الغرض من هذا القياس ؟ كان لنغلي عالماً زكناً فكّنتب في سنة ١٨٤٤ « إذا كان رصد
حرارة الشمس التي تتصل بالارض من أصعب المشكلات في الطبيعيات الفلكية فهو كذلك
المشكلة الاساسية في علم الظواهر الجوية meteorology . وكان رأيه أننا اذا عرفنا المقدار الاصلي
نما يتصل بنا من حرارة الشمس ونوعه وكيف يؤثر في طبقات الهواء وما يتصل منه بالارض
وكيف يؤثر في حرارة الارض بواسطة الغشاء الغازي الذي يحيط بالكرة الارضية ، وما يترد
من هذه الحرارة الى الفضاء — إذا عرفنا كلّ ذلك أصبح في قدرتنا ان نتنبأ بأحوال الجو
ولكنه أدرك ان معرفة مقدار حرارة الشمس في الاصل ، قبل ان يمتصها الجو ويفرقها
عمل صعب الصعوبة كلّها ، لان ما يصل منها الى الارض ليس إلا بقية مما خرج من الشمس
أصلاً على بعد ٩٣ مليوناً من الاميال منا . ومع ذلك حاول لنغلي ان يقيس المقدار الكامل لحرارة
الشمس قبل دخولها جو الارض . وهذا المقدار يشار اليه عادة باسم « الثابت الشمسي » Solar Constant
واذا فالقياس لا يجب ان يقتصر على الاشعة التي تحت الاحمر بل يجب ان يشمل طيف الشمس كله
كان العالم الفرنسي پوييه Pouillet قد قدّر « الثابت الشمسي » في سنة ١٨٣٨ بوحدة
حرارية واحدة و ٧٦٣٣ ر من الوحدة لكل سنتيمتر مربع في الدقيقة . وهذا يعني أننا إذا
أخذنا طبقة من الماء مساحتها سنتيمتر مربع واحد وعرضناها فوق الغلاف الغازي الذي يحيط
بالكرة الارضية لاشعة الشمس امتص الماء من حرارة الشمس ما يرفع حرارته ١/٧٦٣٣ وحدة
وحدة حرارية كلّ دقيقة . فهل هذا القياس صحيح ؟ ان العلم قد تقدم منذ عهد پوييه وإذن
فلا بد من اجراء تجارب لتحصيل قول العالم الفرنسي . وكانت النتيجة التي اسفر عنها بحث لنغلي ،
ان الثابت الشمسي يبلغ نحو وحدتين حراريتين للسنتيمتر المربع في الدقيقة

وقد عرفت دائرة المعارف « الثابت الشمسي » بقولها انه « مقدار الطاقة الواقعة عمودياً
في دقيقة واحدة على سنتيمتر مربع من مساحة موقعها خارج جو الارض » ^(١) وقد قدّر هذا

الثابت الشمسي بحسب مباحث أبوت ومقاييسه ١٩٩٤ من الوحدة الحرارية ولكنهُ يتفاوت تفاوتاً يسيراً وفقاً لعوامل شتى منها الكلف الشمسية

وجاء في الصفحة ٣٥٦ من المجلد الثامن عشر ان « الثابت الشمسي » يتفاوت بحسب قياس أبوت من ١٩٩٠ من الوحدة الحرارية الى ١٩٩٨ منها

واذ كان أبوت قائماً بهذه المباحث في سنة ١٩٠٣ في مدينة واشنطن العاصمة ظهر له من حقائق الرصد ان فيها ما يشير الى هبوط متوسط حرارة الشمس بنحو عشرة في المائة عن المتوسط المألوف . وبدا له ان هذا الهبوط مستمر برهة . وكان على وشك ان يصرف النظر عن هذه الظاهرة اعتقاداً منه ان حالة غير طبيعية في جو الارض حجبت من ضوء الشمس في منطقة واشنطن مقداراً أعظم مما يحجب عادة . ومن حسن الطالع انه لم يفعل بل أعاد النظر في ما لديه من الحقائق مقابلاً بين ارساد حرارة الشمس في تسعة وثمانين محطة من محطات الظواهر الجوية ، منتشرة في المنطقة الشمالية المعتدلة ، في الفترة التي لاحظ فيها النقص بوشنطن ، وبين ارسادها السابقة . فدهش عند ما علم ان متوسط الحرارة هابط كذلك في جميع هذه المحطات عن متوسطه في السنوات السابقة . وكان متوسط الهبوط درجتين بالمقياس المئوي . وظلّ متوسط الحرارة هابطاً بقية تلك السنة . فهل هذا مجرد انفاق ؟ والواقع ان العلماء يقيمون أكبر وزن لما يتبينونه من شذوذ عن الاحوال السوية لانه قد يهديهم الى حقائق مجهولة . فحدث أبوت رئيسه لتغلي في الموضوع . وكانا كلاهما يتوقع شيئاً من هذا فعززت الارصاد ما توقعوا . وفي شهر يونيو من سنة ١٩٠٤ أعلنوا ان الشمس قد تكون نجماً متغيراً وان مقدار اشعاعها ليس ثابتاً . وهذا في حد نفسه رأي جري . ولكن العلماء دهشوا عند ما عقب العالمان الاميريكان على تصريحهما الاول بأن التغير في درجات الحرارة على الارض ، واذن فالتغير في احوال الجو ، متصل اتصالاً وثيقاً بهذا التغير في مقدار اشعاع الشمس

أينطوي هذا القول على ان أبوت كشف شيئاً جديداً يمكن العلماء من التنبؤ بأحوال الجو ؟ وهل عثر حقيقة على قاعدة تهديه في هذا السبيل الوعر ؟ وهل يكفي ان نقيس التغير اليومي في ما يصلنا من اشعاع الشمس ، لكي نعلم ما تكون عليه حالة الجو غداً وبعد غد وفي الاسبوع القادم ؟ أيستطيع علماء الظواهر الجوية ان يبنوا على هذه القاعدة أقوالاً يبعثون بها الى الزراع مثلاً لكي ينظموا اعمال زراعتهم في الفصل المقبل على أساسها ؟

هذه هي الاسئلة التي خطرت للذين قرأوا اذاعة أبوت ولتغلي . الا ان أبوت كان عالماً حذراً فلم يدفع في تيار الظنون ، ولا بنى عليها العلائق والقصور ، ولم ينبذ كاذب الامال في صدور الناس الذين تهتمهم معرفة احوال الجو أياماً وأسابيع قبل وقوعها ، الا ان ما كشفه بعث في نفسه



محط رصد الثابت الشمسي على قمة مونتيزوما ببلاد الشيلي حيث الارتفاع
٩٠٠٠ قدم فوق سطح البحر



محط رصد الثابت الشمسي على جبل سانت كاترين في سيناء
المرصد على القمة ومسكن البعثة بين القمتين والارتفاع ٨٥٠٠ قدم فوق سطح البحر

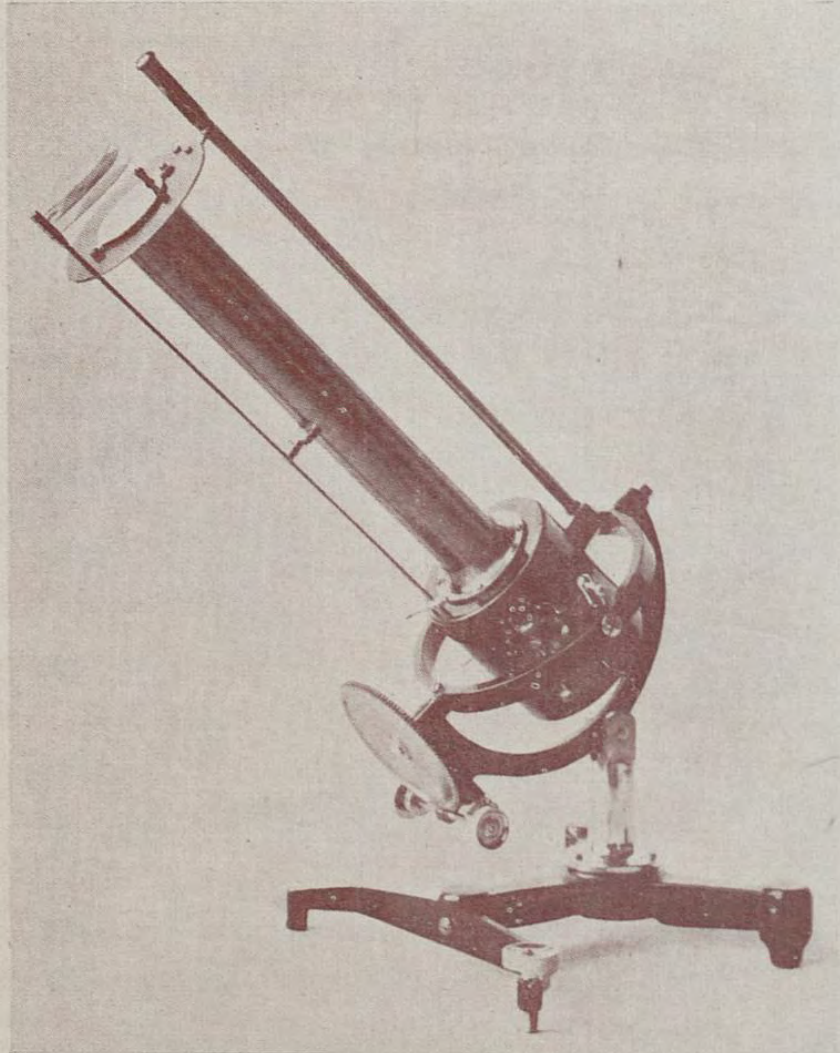
الحماسة فاندفع في دراسة هذه الظاهرة وما يلابسها ثلاثين سنة متوالية ، لعله ينفذ الى السر في التنبؤ بأحوال الجو وما يجب أن تكون عليه في الاسبوع القادم او الشهر القادم . الا أنه لم يهاد في تفاؤله بما تم له وبما يمكن ان يتم فكتب : « ومع اننا لانزال بعيدين عن التنبؤ بتقلبات الجو البعيدة التي تؤثر في الحاصلات فليس بكثير علينا ان نقول إنه يبدو لنا اننا سائرون في الاتجاه الصحيح » ومن ثم أقبل أبوت ورفاقه على البحث بغية جمع حقائق أوفر . وفي سنة ١٩١٠ استتبعت جهازاً دقيقاً لقياس « الثابت الشمسي » . والواقع ان هذا الجهاز لم يكن جهازاً جديداً بكل معنى الكلمة لأنه كان الجهاز الذي استعمله بوييه الفرنسي ، فأخذة أبوت وأتقن صنعه وأضاف اليه اضافات متعددة فأصبح وكأنه جهاز جديد . وقوام هذا الجهاز مقياس لحرارة مثبت في ثقب في قرص فضي وقد طلي سطح القرص بمادة سوداء لكي يمتص كل الحرارة الواقعة عليه . وطريقة استعماله ان يوجه الجهاز الى الشمس رأساً فتسقط أشعة الشمس في الانبوب سقوطاً عمودياً على القرص مدّة مائة ثانية . ثم يدون مقدار ارتفاع الحرارة في المقياس ، ويقابله بمقدار ارتفاعه قبل ذلك وبعده . وعلى هذا الجهاز الاعتماد في قياس الثابت الشمسي كل يوم في مدينة وشنطن . ثم دعاه العلامة هايل الى جبل ولسن بكاليفورنيا ، حيث المرصد المشهور لقياس حرارة الشمس هناك . وكان أبوت قبل ذلك قد خلف لنجلي مديراً للمعهد السمثسوني في سنة ١٩٠٦ وبعد ان قام بهذا العمل المضني الدقيق الحالي من روعة الجدة ، في مرصد جبل ولسن ، رأى انه لا بد له من ان يقابل أرصاداً بأرصاد اخرى يقوم بها على قمة جبل آخر . وكان يستطيع ان يفعل ذلك على احدى قنن المكسيك ، ولكن الثورة كانت تجتاحها فجمع أمتعته وأجهزته وذهب الى بلاد الجزائر لكي يستوثق من ان التقلبات التي تبينها في أرصاده على قمة جبل ولسن ليست متأثرة باضطرابات محلية في الجو . وكانت أجهزته تملأ ثلاثين صندوقاً . فأنشأ المحطة في أحوال جوية مرهقة وأقام هو واندروس انغستروم السويدي بقياسان حرارة الشمس عشرة أشهر متوالية . ولولا ثورة بركان كاتماي في الاسكالا لاطالا اقامتهما في الجزائر . ذلك ان ثورة هذا البركان نقت في جو الارض مقداراً عظيماً من الغبار الدقيق ، اتصل أثره البالغ بجو الجزائر فجعل كل قياس لحرارة الشمس في هذه الاحوال قياساً شاذاً لان هذا الغبار كان يحجب جانباً غير يسير من حرارة الشمس . ومع ذلك أسفرت أرصاد الجزائر — الى ان ثار بركان كاتماي — عن تأييد النتائج التي دلت قبلاً في وشنطن وجبل ولسن على تقلب في حرارة الشمس وكان قد تجمع لديه من الحقائق في سنة ١٩١٣ ما حمله على اصدار تصريح مؤكداً فيه رأيه بوجود صلة بين التقلب في حرارة الشمس وبين أحوال الجو على الارض . اي ان الحرارة على الارض تنخفض وفقاً لقلّة الحرارة المنبعثة من الشمس

قوبل هذا التصريح بكثير من النقد، وكان الحجة الاولى في نقده شك العلماء في مال لهواء من شأن في امتصاص اشعاع الشمس. فقال بعضهم ان أبوت استصغر شأن الجو في امتصاص اشعاع الشمس وان الثابت الشمسي يجب ان يكون ضعفي ما يقول. وهذه مسألة في الوسع تحقيقها. فعمد في السنة التالية الى بلونات مقيسة صغيرة وضع فيها جهازه المشهور لقياس الثابت الشمسي، بعد ان اضاف اليه ما جمعه ذاتي التدوين، واطلقها في ولايتي اوهايو ونبراسكا الى اعلى طبقات الجو، فلما عادت البلونات والاحزمة الى الارض، ودرس ما دون فيها، ثبت ان قياس أبوت كان دقيقاً وان قياس حرارة الشمس من قنن الجبال كافٍ لهذا الغرض.

لقد انقضت عشر سنوات منذ لاحظ أبوت تلك الصلة الظاهرة بين التغلب في اشعاع الشمس وبين حرارة الارض. ومع ذلك لم يخرج من تلك الملاحظة شيء جديد يستطيع علماء الظواهر الجوية ان يبنوا عليه قاعدة تمكنهم من التنبؤ باحوال الجو تنبؤاً بعيداً دقيقاً. ومع ان مصلحة الظواهر الجوية في اميركا كانت قد انشئت سنة ١٨٧٠ لم تقز من مباحث أبوت بما زاد رجالها علماء، فضت في طريقها المؤلف تذييع ما توقعه من احوال الجو في الاربع والعشرين الساعة التالية كانت هذه الاذاعات الرسمية قائمة في اميركا كما هي قائمة في مصر، على تحليل عوامل الاحوال الجوية كضغط الهواء، ومستوى الحرارة، وسرعة الريح واتجاهها، ومقدار المطر والثلج. وكان في طول الولايات المتحدة الاميركية وعرضها، وكذلك الاسكا وجزائر الهند الغربية، ثلاثمائة محطة رسمي وسبعمائة محطة متطوع يجمع رجالها الحقائق المتعلقة بالعوامل التي تقدم ذكرها، ويعثون بها بالوف الى مكتب الجو الرسمي في واشنطن العاصمة، فيستخلص منها العلماء احوال الجو المحتملة في الاربع والعشرين الساعة التالية ويذيعونها.

ظلت هذه الطريقة في سنة ١٩١٣ على ما كانت عليه في سنة ١٩٠٣ لم تقز من مباحث أبوت بشيء جديد. ومع ذلك ما زال العالم متلهفاً الى العثور على طريقة دقيقة تمكن العلماء من التنبؤ الدقيق البعيد المدى باحوال الجو. اما أبوت نفسه فكان لا يزال على اعتقاده وهو انه سالك السبيل الصحيح. ولكن مؤيديه كانوا قلة لا كثرة.

الا ان انباء من الارجنتين بدأت تتطرق الى مكاتب العلماء المعنيين باحوال الجو، مؤيدة ما قاله أبوت. وكان اول ما سمع أبوت بذلك في سنة ١٩١٧ اذ تلقى كتاباً طويلاً على ما يلي: «في طيه نسخة من رسالة بسطت فيها نتائج المقابلة بين قياسات أبوت الشمسية وبين درجات الحرارة والضغط في شتى انحاء العالم» وكان أبوت قد تعوّد ان يتلقى رسائل تشتمل على مشروعات شاذة ومقترحات غريبة لحلّ اعقد المسائل العلمية بأسهل الاساليب، فأقبل على قراءة هذه الرسالة والريب بساوره. ولكنه ما كاد يتقدم في مطالعتها حتى ثبت له انها بحث عالم محقق وقد كان



الجهاز الذي صنعهُ أبوت لقياس الثابت الشمسي ويعرف باسم جهاز « القرص
الفضي » واسمه العلمي بيرهليوميتر Pyrheliometer

مدارها تحليلًا دقيقًا لتأثير التقلب الاشعاعي الشمسي — الذي قال به وقاسه — في درجات الحرارة والضغط على الارض ، فأعجب بها وأشار بنشرها حالاً « بالصور والرسوم البيانية »
 كان واضع هذه الرسالة ، الذي اثبت بها صلة لا تنكر بين التقلب في اشعاع الشمس واحوال الحرارة والضغط على سطح الارض رجلاً امريكياً يدعى هنري هلم كلايتون Clayton مدير محط الظواهر الجوية بالارجنتين . وقد كانت عندما بعث برسالته هذه الى المعهد السمثسوني في السادسة والخمسين من عمره قضاء منذ كان ابن سبع عشر سنة ، في دراسة احوال الجو ورصدها فلما كان كلايتون في الثالثة والعشرين ، نشر في المجلة الاميركية للظواهر الجوية ، مقالاً استرعى انظار بعض العلماء فعين مساعداً لمدير المرصد بجامعة ميشيغن . ثم اتصل بمركز هارفرد فبقي فيه خمس عشرة سنة قام في خلالها بدراسة دقيقة للغيوم وعلاقتها بتيارات الهواء في طبقاته العليا . واخترع جهازاً من نوع المطييرات التي يطيرها الصغار ولكنه جعلها في شكل صندوق يحتوي على اجهزة متنوعة لقياس الظواهر الجوية . وبعد ما اشترك في بحث دولي لدراسة مهاب الرياح في شمال المحيط الاطلنطي نُدب في سنة ١٩١٠ لتدريب رجال محط الظواهر الجوية بالارجنتين . وفي سنة ١٩١٥ عثر على رسائل تحتوي على أعمال أبوت فاكبت عليها ووجد تلك الصلة الوثيقة بين ما وجده أبوت من تقلب في اشعاع الشمس ، وبين درجات الحرارة والضغط في مواقع مختلفة على سطح الارض . فآمن بان احوال الجو مرتبطة بمشاهدات أبوت عندما تلقى أبوت رسالة كلايتون كان معنيًا بمسائل اخري لا تتعلق بالشمس . ذلك ان الحكومة الاميركية كانت قد خاضت غمار الحرب ، فدعته كما دعت غيره من العلماء لبحث الشؤون العلمية والصناعية الخاصة بالقتال . وكانت مهمته ان يتقن صنع الانوار الكشاففة المستعملة ضد الطيارات لانه كان من اخبر الخبراء بالمرايا والعدسات . الا انه في خلال بحثه هذا ، كان ذهنه مشغولاً ، على وعي منه وعلى غير وعي ، بتلك العلاقة بين تقلب الاشعاع الشمسي واحوال الجو على الارض . وكان يؤمل ان يتاح له قريباً انشاء محطات للرصد تمكنه ارضادها من امتحان تلك العلاقة . ولم تك تشرف الحرب على ختامها حتى فاز بانشاء المحط الاول في كاسوما بجمهورية الشيلي ، حيث صفاء الجو يؤاتي هذا النوع من الارصاد

كان بحث كلايتون قد استرعى نظره واستوقف اهتمامه فرغب في ان يتعاون معه على المضي فيه . وفي سنة ١٩١٨ اشتركا في سعي لامتحان رأيهما . فافنعا الحكومة الارجنتينية بتأييدهما . وشرما في جمع الحقائق في محطي الارجنتين والشيلي . واتفقا على ان يرسل رجال المحط الشيلي — القائم على جبل ارتفاعه ٧٥٠٠ قدم فوق الصحراء — قياسهم للثابت الشمسي بالتلغراف كل صباح . ولم يكن هذا بالعمل السهل ، لان استخراج الثابت الشمسي كان يقتضي عمليات رياضية

دقيقة طويلة . فاخترع ابوت طريقة سريعة وصنع لها جهازاً خاصاً دعاه Pyranometer وبذلك تمكن رجالان مدرّبان في محطة شيلي من القيام بمئات من الارصاد واستخراج الثابت الشمسي منها وباراق ارقامها الى محط الارجننتين كل صباح . وكانت النتائج التي اسفرت عنها هذه الارصاد مؤيدة لرأي ابوت وكلايتون . وسلمت حكومة الارجننتين بها وبنت عليها بياناً لاحوال الجو كانت تنشره يوم الاربعاء من كل أسبوع فيشمل الاسبوع التالي كله

الآن ان فريقاً غير يسير من العلماء لم يسلم بأقوال هذين العالمين وكانت حجة هذا الفريق انهم لا يفهمون كيف يمكن ان يحدث تغير يسير يبلغ واحداً في المائة او اقل في اشعاع الشمس تأثيراً ما في احوال الجو على الارض . وضرب أحدهم مثلاً على ذلك بقوله هبك في حجرة نضيئها مائة مصباح . أفترى فيها تغيراً يذكر في ضوءها اذا أطفئ احد هذه المصابيح . وأيد هذا الرأي عالم آخر ذو منصب رسمي ، يدعى همفريز ، فقال ان اقل العوامل تأثيراً في احوال الجو ، هي العوامل التي مصدرها خارج الارض ، لانها بسيرة الفعل او ان فعلها لم يثبت ولذلك لا يلزم ان نعمل لها حساباً في التغيرات الجوية

الآن ان ابوت لم ينحرف عن جادته ، ومع انه لم يكن مقتنعاً الاقناع كله بصحة رأيه ، كان واثقاً بأنه سائر في الاتجاه الصحيح . فقال ردّاً على ما تقدّم « يبدو ان تغييراً قدره نصف واحد في المائة في اشعاع الشمس ، يستطيع ان يحدث تغيراً ظاهراً في احوال الجو . فقد يصحب التغير في اشعاع الشمس تغيير في مقدار الغيم فيتضاعف التأثير ويتجمع . ثم إن التقلبات الشمسية تؤثر في الاشعة التي فوق البنفسجي ، وعليه فقد تغير كثافة طبقة الاوزون . وهذه الطبقة من الاوزون قائمة على ارتفاع أربعين ميلاً فوق سطح الارض وهي عامل فعال في امتصاص الحرارة المنطلقة من الارض — بعد امتصاصها — الى الفضاء . فاذا قلت كثافة طبقة الاوزون مليمترًا ، فقد يكون ذلك كافياً لهبوط درجة الحرارة على سطح الارض هبوطاً غير يسير (١) . وعند ذلك تتأثر حالات الضغط الجوي بتغير درجات الحرارة . وكذلك يمكن ان يحدث تقلب عظيم الشأن في الظواهر الجوية . . . وبهذا قد يفسر تأثير تغير يسير في إشعاع الشمس ، في احوال الجو على الارض

ولم يقف ابوت عند هذا الحد . بل مضى يستندي اكف الاغنياء لينشئ المحطات الجوية بغية جمع اوفى قدر من الحقائق في شتى انحاء العالم ، فأنشأها هنا وهناك وهناك ، وكان من نصيب مصر ان أنشئ فيها احد هذه المحطات ، في جبل سانت كاترين بصحراء سيناء ، سنة ١٩٣٢ وختم اعماله في السنة الماضية لقلة المال اللازم للمضي في البحث وكذلك وُلد هذا العلم الجديد !

أثر الأمراض

المتوطنة في كفاءة الجندي المصري



للدكتور محمد خليل عبد الخالق بك^(١)

(١) مقدمة

يلقى الكثيرون آمالاً كباراً على مستقبل الجيش ، عند اتمام برنامج زيادة عدده وتغيير سلاحه وانشاء الفرق الميكانيكية والقوى الجوية

ويرجع هذا التفاؤل الى الشهرة التي اكتسبها في الحروب التي اشتبك فيها في القرن الماضي منذ عهد قريب ولا يزال الحيل الحاضر يتندر باخباره نقلاً عن اجدادهم وآبائهم الذين شهدوا هذه المعارك في فلسطين وسوريا والناضول واليونان والقرم وكريت وفتح السودان

وقد أبلى الجندي المصري في جميع هذه المعارك بلاءً حسناً حتى هدد بفتح الاسنانة لولا تدخل الدول الاوربية . وليس عجيباً ان يتفاعل المصريون المعاصرون بمستقبل جيش هذا ماضيه القريب ، اعتقاداً منهم انه لم يطرأ على الجندي المصري تغيير ذو شأن في الاربعين عاماً الاخيرة التي انقضت على فتح السودان (سنة ١٨٩٦) . وقد اشتهر الجندي المصري في هذه المعارك بالصلافة والاقدام وقوة الاحتمال وعدم الاكتراث بقلّة الطعام بالقياس الى الجيوش الاخرى وأخذ قسطه من الراحة والنوم . ولكن هناك معلومات جديدة معروفة في الاوساط العسكرية ولا سيما القائمين على حركة التجنيد وفرز المقتربين والضباط الذين يدرّبون المستجدين من الجنود تنقض هذا الاعتقاد من اساسه . وسنبين فيما يلي العوامل التي تسبب ذلك ألا وهي : الامراض المتوطنة التي يستهدف لها عامة المصريين في سن مبكر من حياتهم وتلازمهم بقية عمرهم

(ب) الامراض الطفيلية بين افراد الجيش المصري

في خريف سنة ١٩٢٣ أثارت حكومة السودان مسألة دخول افراد الجيش المصري الى السودان وهم مصابون بالامراض الطفيلية ، خصوصاً البلهارسيا والانكلستوما ، وخطر ذلك كاملاً في نشرها بأحاء السودان حيث يمسكر الجنود

(١) الاستاذ بكلية الطب ومدير معهد الابحاث ومستشفى الامراض المتوطنة بوزارة الصحة . وهذا نص المحاضرة التي القاها في مؤتمر الجمع المصري للثقافة العلمية بدورته التاسعة

وقد رأى كبير اطباء الجيش — الدكتور سبنس — وقتذاك أن هذا الطلب ينطوي على كثير من المغالاة اذ أن عدد الجنود الذين يدخلون الى السودان كل عام لا يتجاوز الفين ، وكان محل اقامتهم بالخرطوم او حلفايا او ام درمان حيث لا ينتظر في الظروف العادية ان ينشروا الامراض الطفيلية اذ ان وسائل التخلص من الفضلات والمواد البرازية والبول في مكباتهم لا تدع مجالاً لانتشار هذه الامراض . ولقد انتهر كبير اطباء الجيش تلك الفرصة لبحث موضوع انتشار الطفيليات وتأثيرها في كفاءة الجيش المصري . فبدأ ابجائه بالالتجاء الى قسم البلهارسيا والانكلستوما بمصلحة الصحة ، وقد دربت وقتذاك بعض أطباء الجيش على فحص الافراد وعلاجهم من هذه الامراض ، وقد أعرنا الجيش الادوات والادوية اللازمة دوّن الدكتور سبنس نتيجة هذا البحث في رسالة نال بها درجة دكتور في الطب من جامعة ادنبره وسأستشهد ببعضها فيما يلي

(ج) نسبة الصالحين من المقترعين للجندية في مصر

يسير نظام التجنيد في مصر من ناحية انتخاب الافراد الصالحين للخدمة العسكرية على نفس النظام المتبع في انجلترا مع العلم بأن التجنيد في مصر عام بينما هو في انجلترا بالتطوع فتقوم بفحص المقترعين في سن التاسعة عشرة هيئة من الضباط ليس فيهم طبيب ليستبعدوا منهم بدون فحص طبي أولئك الذين لا شك في عدم صلاحيتهم بمجرد المشاهدة كالقصر الشديد او العاهات الجسمانية كالعرج والور والعمى الخ

وقد تدهشون حينما تعلمون ان ٨٠ر٠٠٠ من ٩٠ر٠٠٠ مقترح يرفضون لهذه الاسباب وحدها ، كما ذكر الدكتور سبنس . يعني ان نحواً من ٩٠٪ من المقترعين تبدو عدم لياقتهم للخدمة العسكرية للعيان دون فحص طبي

ومن ال ١٠ر٠٠٠ الباقية ، ينتخب ٤٠٠٠ ويعفى الباقون (٦٠٠٠) اما لعدم لياقتهم بعد الفحص الطبي او لحفظهم القرآن او دفع البدل العسكري او لغير ذلك من الاسباب كوحيد اب هرم او وحيد أمه المطلقة او عائل اسرة الخ . وقد وجد ان ٩١٪ ممن يقبلون في الجيش من المقترعين (اي من هذه الاربعة آلاف) مصابون بالامراض الطفيلية . ولكن نظراً لبساطة عدوهم او عدم ازمانها لا تؤثر تأثيراً شديداً في مظهرهم الخارجي ، ولكنها تؤثر في كفاءتهم كجنود فعند بدء تدريبهم في الطابور العسكري ، قل أن لا يغمى على عدد منهم بعد مضي قليل من الوقت . والمرة الوحيدة التي ذكرها الدكتور سبنس والتي لم يحدث فيها اغماء في الطابور كانت الدفعة التي فحص وعولج فيها جميع أفرادها من الامراض الطفيلية قبل تدريبهم وقد جاء في هذا البحث ايضاً انه في سنة ١٩٢٣ كان ١٤٪ من المرضى بالمستشفى العسكري

للجيش المصري يعالجون من الامراض الطفيلية وان ٢٩٪ من الذين يقصون من الجيش لعدم صلاحيتهم بعد تجنيدهم يرجع السبب في إقصائهم الى البلهارسيا وأغلبها البلهارسيا المعوية المنتشرة في شمال الدلتا . وعلى ذلك يمكن اعتبار ان عدد الافراد الصالحين للجندي رغم اصابهم بالطفيليات اصابة بسيطة لا يتجاوز ٤٪ بين سن ١٩١١ و ٢١ اي السن التي يجب فيها ان تكون الصحة الجسدية والكفاءة البدنية في أعلى درجاتها

ولو قارنا هذا بنتائج التجنيد في الجيش البريطاني ، مع ان التجنيد فيه بطريق التطوع ، لوجدنا ان ٢١٥٪ تقريباً يرفضون بمجرد الفحص الغير الطبي يقابله ٩٠٪ من المقترعين المصريين وان ٢١٥٪ تقريباً يرفضون بعد الفحص الطبي يقابلهم ٦٠٪ من الباقين عندنا فيكون الصالحون للخدمة العسكرية هناك ٥٧٪ مقابل ٤٪ في مصر . وهذه الحقائق تدعو الى الجزع الشديد من جهة كفاءة الجيش المصري للدفاع عن بلادنا تجاه الجيوش الاوروبية وتتطلب المبادرة بدون توان الى اصلاح هذه الحالة ، خصوصاً اذا علمنا ان نتيجة أي اصلاح من هذا القبيل سوف لا يظهر أثرها كاملاً إلا بعد مرور ٢٠ عاماً ، عندما ينشأ جيل جديد قد اتخذت الاحتياطات لوقايته من عدوى الامراض الطفيلية في سن مبكر

(د) الاسباب التي طرأت وكان من أثرها انحطاط كفاءة المصريين

البدنية عامة وبالنسبة لكفاءة الجندي المصري

كانت الاراضي المصرية الزراعية الى أوائل القرن الحالي تقريباً تروى ريّاً حوضياً ، أي انها تزرع محصولاً واحداً في السنة يستمر بضعة أشهر ، وتكون الارض جافة ومعرضة لاشعة الشمس بقية اشهر السنة كما هو الحال اليوم في مديريات جرجا وقنا واسوان . ولقد كانت هذه الاحوال غير ملائمة لنمو الطفيليات التي تصيب الانسان كالبلهارسيا التي تعيش القواقع الناقلة لها في المياه الراكدة او البطيئة الجريان والانكلستوما التي تعيش يرقاتها في الارض الرطبة التي تروى باستمرار او التي يقرب مستوى المياه الجوفية فيها من سطح الارض . والملاريا التي يتكاثر وينمو البعوض الناقل لها في مزارع الارز وبعض البرك ومجاري المياه التي لا توجد الا في المناطق التي يستديم الري فيها طوال شهور السنة ويكون الصرف فيها معدوماً او سيئاً

فبينما تكون نسبة العدوى بالبلهارسيا بنوعها المثاني والمعوى ٨٠٪ من سكان الدلتا والفيوم . نجد ان العدوى لا تزيد بحال عن ١٠٪ من مجموع السكان في المناطق التي تروى ريّاً حوضياً بمديريات جرجا وقنا واسوان . بل اغلب هؤلاء العشرة في المائة يصابون بالعدوى اثناء رحلاتهم طلباً للرزق بالعمل في الجهات التي تروى ريّاً صيفياً والتي تنتشر فيها العدوى والشأن في الانكلستوما والملاريا ، يجري على هذا المنوال مع تفاوت في النسب

هذه الأمراض نظراً إلى وجود مسبباتها في محيط الفلاح بالمناطق الزراعية وفي المياه التي يشربها والمزارع التي يشتغل فيها، يكون التعرض لها في سن مبكر، فلا يكاد يحبو الطفل حتى يصاب بالانكلستوما، تحترق يرقاتها جلده في فناء الدار حيث يتبرز أفراد العائلة وعندما يشب عن الطوق، ويرتاد مجاري المياه حول القرية — يسقي الماشية أو يستحم أو يسبح — يصاب بالبلهارسيا بل إن جراثيم البلهارسيا كامنة في الماء الذي يجلب في « البلاص » للشرب والنظافة وهو في جميع ادوار حياته معرض للدغ البعوض الناقل للعلايا في المناطق التي تنتشر فيها زراعة الارز أو توجد بها البرك أو مجاري المياه الصالحة لتوالد هذا النوع من البعوض ويكاد يكون جميع الاطفال في كثير من القرى مصابين بالبلهارسيا ويشاهدون قطرات الدماء تنزل في اعقاب بولهم، فيعتقدون ان هذا علامة على الرجولة والفتوة فاذا سألت صديقاً: هل انت مصاب بالبلهارسيا اجاب: كلاً فاذا سألته: هل تقبل دماً اجاب: نعم فاذا قلت له: ان هذا هو البلهارسيا

اجابك: لا . . . ان هذا علامة الرجولة وجميع الاولاد يتبولون دماً مثلي وهناك مشاهدات عديدة تثبت أثر الري المستديم مع انعدام الصرف في انتشار هذه الأمراض على صورة لا تقبل الجدل، فقد فحصت مناطق في مديرتي قنا واسوان، قبل تحويل الزراعة فيها من حوضية الى مستديمة بواسطة اقامة طلمبات على النيل . فكان من أثر ذلك أن زادت نسبة المصابين بالبلهارسيا من (٠ — ١٠ ٪) قبل اقامة الطلمبات الى نسبة تتراوح بين ٤٥ و ٧٥ ٪ بعد ثلاث سنين من إقامتها

ومثل آخر تسوقه: وهو منطقة كوم امبو الواقعة بالقرب من اسوان التي استغلتها شركة روتها ريتاً مستديماً فنسبة البلهارسيا فيها ٨٢ ٪ بينما هي لا تزيد عن ١٠ ٪ في المناطق المجاورة التي لا زالت تروى على طريقة الحياض

وأود ان ابادر الى القول بأن هذه العلاقة بين الري المستديم مع رداة الصرف او انعدامه وانتشار هذه الأمراض لم يوضح تماماً ويقرر بطريقة لا تدعو الى الشك إلا في السنين الاخيرة نتيجة للأعمال والدراسات التي قام بها معهد الابحاث بوزارة الصحة

ويسرني أن أذكر أن الاتجاه الحالي في مصلحة الري بوزارة الاشغال ينصرف الآن الى تحسين الصرف وخفض مستوى المياه الجوفية مما سيعود على صحة السكان وعلى الانتاج الزراعي بالخير الجزيل . ويكفي لتقدير ما تبذله وزارة الاشغال من العناية بهذا الموضوع ان الوزير الحالي معالي حسين باشا صري رئيس هذا المجمع الاسبق رأى ان يلقب نفسه (بوزير الصرف) لا (وزير الري) في مصر ومن الضروري ان يكون هناك تعاون وثيق بين القائمين بأعمال الري

والصرف وبين رجال الزراعة ورجال الصحة، لان هذه الاعمال مرتبط بعضها ببعض ارتباطاً تاماً بحيث يكون لأي تغير في احدها اثره في النواحي الاخرى . وهناك بوادر تشعر بأن هذا التعاون سيكون له اثره في رفاهية الفلاح من جهة الصحة ومن جهة تحسين احواله الاقتصادية

(هـ) ما يطرأ على المصريين اذا اصابوا بالامراض الطفيلية في سن مبكر

هذه الطفيليات تفرز سموماًها في جسم الانسان وتحدث فيه فقر الدم، فتسوء تغذية اعضائه ويبطئ نموه، وربما كان التأثير في قواه العقلية اشد منه في قواه البدنية

وكثيراً ما يشك رجال القرعة العسكرية في شخصية المقترعين لضآلة اجسامهم، حتى انهم ليظنون انهم استبدلوا الشخص المطلوب بأخ له أصغر منه، اذ لا يمكن تقدير عمر أحد هؤلاء الشبان بأكثر من ثلاثة عشر أو أربعة عشر عاماً بينما يتضح من التحقيق الدقيق في النهاية ان هذا هو الشخص المطلوب بالذات وانه قد بلغ حقيقة التاسعة عشرة أو العشرين من عمره وان ضآلة جسمه وظهوره بمظهر الطفولة ناتج عن عدواه في سن مبكر بالامراض الطفيلية . . .

وكثرة هذه الحالات في شمال الدلتا متفقة في ذلك، مع كثرة انتشار الامراض الطفيلية بل ان قصر المصريين وطولهم، قد يرجع في أكثر الحالات الى درجة انتشار عدوى الطفيليات بينهم . ويتضح ذلك جلياً بمقابلة نسب المرفوضين من المقترعين لقصر قامتهم في الوجه البحري ومصر الوسطى ومصر العليا حيث نجد انهم يبلغون ٢١٨٨٪ بالوجه البحري، بينما يبلغون ١٨٧٪ بمصر الوسطى، و٩٤٪ بمصر العليا

وهذه النسب تتفق تماماً مع درجة انتشار الطفيليات فيها بل لو قابلنا هذه النسب بقصر القامة بين مقترعي القاهرة والاسكندرية حيث تكاد تكون عدوى الطفيليات معدومة فيها، لتبين انها في القاهرة ٣٪ وفي الاسكندرية ٢٪ بينما هي في محافظة دمياط التي تمثل أقصى انتشار عدوى الطفيليات في شمال الدلتا بشكل واضح ٢١٩٪.

(و) تأثير الامراض الطفيلية في الانتاج العضلي

المشهور عن الفلاح المصري انه صبور دؤوب مثابر على العمل طيلة نهاره، وقد تمتد به ساعات العمل الى شطر من الليل

لكن قل من يتساءل عن مبلغ إنتاج هذا الفلاح في هذه المدّة الطويلة وموازنته بما ينتجه الفلاح الاوربي . وقد قام المستر براون مدير قسم البساتين بوزارة الزراعة بعمل هذه الموازنة بين الفلاح المصري والفلاح الانجليزي، فوجد ان نفقات انشاء قناة في انجلترا تقل عن نفقات انشاء مثلها في مصر مع ان أجر الفلاح الانجليزي يبلغ أضعاف اضعاف أجر الفلاح المصري

ولكن هذا الفارق الكبير في الاجر تعوضه الزيادة العظيمة في انتاج الفلاح الانجليزي عن جملة عمال مصريين من المناطق الموبوءة

هنالك تجربة اخرى تبين أثر هذه الامراض في الانتاج . ففي مكان منعزل في غيانا البريطانية تقيم ادارة مناجم البوكسيت (خام الالومنيوم) وتعى الشركة القائمة على هذا العمل بعلاج العمال والعناية بهم وقد أمكن لطبيب هذه الشركة ان يقنع المدير بوجود علاج هؤلاء العمال من الانكلستوما وبعد تردد كثير وافق على ذلك وذكر في تقريره النهائي الذي نشر في مجلة « طب البلاد الحارة » بلندن انه يقرر ان الشركة لم تصرف اي مبلغ أتى بفائدة مماثل ما جنته الشركة مما أنفقته على علاج العمال من مرض الانكلستوما ، فقد زاد انتاج العمال أنفسهم وبلا تغيير في ساعات العمل ٣٣٪ / مقدراً بالاطنان التي استخرجت وبغير ان يشعر العمال انفسهم بذلك . وعلاوة على ذلك فقد قلت الاجازات المرضية بين العمال من الامراض الاخرى البسيطة كالانفلونزا واشباهها فلة ظاهرة

ويمكننا ان نتصور كيفية حدوث ذلك بان العامل السليم عند ما يضرب بمعوله في الارض يغور الى بعد اعماق في حالة العافية مما يغور اليه في حالة مرضه

وذكر الدكتور سبنس ان الجنود المصريين في السودان يستهدفون بسرعة للامراض وتضعف مقاومتهم اثناء المرض ، مما دعا الفلاح المصري الى كره الغربة ، واذا تقرب انتهز اول فرصة لاوبته الى الوطن ، وفي محيطه الجديد تظهر عدم مقاومته للعوامل الجديدة المحيطة به وتلك نقطة هامة تتعلق بامانينا العريضة في استعمار السودان . واكثر المصريين مهاجرة داخل القطر المصري هم من يسكنون جرجا وقنا واصوان (المناطق التي تقل فيها عدوى الطفيليات) (ز) تأثير الامراض الطفيلية في القوى العقلية

تمكناً من تقدير درجة التأخر العقلي الناشئة عن هذه الامراض ، بواسطة اختبارات الذكاء وقد تبين من ذلك ان مقدار الذكاء في طفل له من العمر احدى عشرة سنة مصاب بالانكلستوما هو ٢ ١/٢ سنة اي ان قوته العقلية تكون مساوية لطفل سليم في الثامنة والنصف من عمره والبلهارسيا والملاريا لهما نفس تأثير الانكلستوما وربما اشد

والفلاح المصري مشهور الآن ببطء تفكيره ومن مظاهر ذلك انه يلجأ الى اعادة اي سؤال يلقي عليه مهما يكن بسيطاً قبل اجابته فلو سأله عن اسمه لبدأ بترديد سؤالك قائلاً : « اسمي ايه ؟ » قبل ان يجيب . ويكابد الضباط عناء كبيراً في تدريبهم على الحركات العسكرية البسيطة مما يستنفد صبر الضباط فيعمدون الى عقاب الجنود او صفعهم وناعتهم بأسوأ الصفات مما لا يحدث مثله في الحيوش الاوربية اذ ان هناك للجندي كرامة لا يستهان بها . والحقيقة ان

الضباط والجنود مسدورون . فالضباط لا يعلمون ان ما بالجندي من عدوى جعلت مداركه لا تتعدى مدارك صبي صغير . ولو علموا ذلك لتذرعوا بالصبر الطويل . والجندي يعمل ما في وسعه باخلاص كبير على الأقل خوفاً من العقاب ولكن مداركه رغم ارادته لا تسمو الى الدرجة التي يتطلبها ضباطه منه . ومن المعلوم ان تقدم الجنود في التعليم يماثل تقدم التلاميذ في تلقي الدروس وهذا التقدم يقرره المتأخرون لا النوابغ . فالعلم والضابط كلاهما يراعي في دروسه ان يسير طبقاً لمقدرة أقل فئة من التلاميذ والجنود

ومن الطريف ان مدرسة تابعة لاحدى الارشاليات الدينية في كينيا فحص جميع تلاميذها الانكليستوما . فلاحظ القائمون بالتدريس ان الاطفال المصابون هم الذين لا ينصتون للدروس وبشغبون وبشاكسون زملاءهم ، ويأتي ترتيبهم في المؤخرة . وقد شوهد انهم تحسّنوا جداً في الخلق والتحصيل بعد علاجهم ، حتى أنه اتبع نظام دوري في هذه المدرسة يقضي بمعالجة جميع الطلبة الراسبين في كل امتحان لعدوى الانكليستوما بدون أي فحص ، وقد أتى ذلك بأحسن النتائج ويلاحظ هنا ان الجندي في الحروب الحديثة لا يطلب منه الشجاعة والصبر والاقدام فحسب ، ولكن يطلب منه استعمال أدوات حربية غاية في دقة الصناعة والتعقيد الميكانيكي يقتضي استعمالها ذكاء ودقة في الملاحظة والتقدير ، بحيث تكون مثل هذه الامراض الطفيلية عقبة كبيرة في الحصول على عدد كاف من الاشخاص الصالحين لمثل هذه الاعمال . بل ان هناك فئة الطيارين الذين يجب ان تتوافر فيهم صفات الرجل الكامل بدنياً وعقلياً . ولقد علمنا أنه توجد الآن صعوبة كبيرة في الحصول على العدد الكافي من الطيارين من بين أفراد الجيش المصري . ونحن ما زلنا في البداية ولم تصل الطائرات الى العدد الذي ينبغي بحاجات الدفاع عن البلاد

(ح) كيف يمكن ان نمد الجيش المصري بحاجته من الجنود الاصحاء جسمانياً وعقلياً . أوضحنا فيما سلف ان الامراض الطفيلية تحدث أبلغ الضرر عندما تصيب الاطفال فتعيق نموهم الجسماني والعقلي ، ولذلك يجب ان توجه العناية الى المحافظة عليهم من العدوى ، ونصل الى هذه الغاية بما يأتي : —

أولاً — توفير المياه الخالية من الجراثيم للشرب في القرى سواء أمين آبار عميقة كانت ام مياه مرشحة ومعقمة

ثانياً — إقامة مراحيض في كل منزل من منازل الريف ، حتى لا يلجأ السكان الى التبرز في فناء الدار او حولها أو على شواطئ مجاري المياه حول القرية او غير ذلك وما يؤسف له أن الاحصاءات دلت على ان ٢١٪ فقط من منازل الريف المصري بها مراحيض ، بلا نظر الى قيمتها من الوجهة الصحية

ولا ينتظر اصلاح ماء ما دامت المواد البرازية منتشرة في أفنية الدور وفي الطرقات وعلى شواطئ الترغ والمجاري ، ويتعرض للعدوى منها الاطفال منذ نعومة أظفارهم .
ثالثاً — نظافة القرى على وجه العموم بأزالة القمامة والقاذورات يومياً ، بالكس والرش والتخلض منها بالحريق او دفنها في الارض أو نحو ذلك

بدون هذه الوسائل الثلاث (مجتمعة) لا أمل لنا مطلقاً في الحصول على جنود اكفاء في المستقبل وإلى أن يحين الوقت لتنفيذ كل ذلك بإنشاء المجالس القروية والمحلية التي يجب ان توكل اليها هذه الاعمال ، علينا ان نبادر بفحص وعلاج تلاميذ المدارس الالزامية التي سيدخلها جميع الاطفال المصريين في المستقبل القريب . وربما كان أجدى على مصر علاجهم قبل تعليمهم ، فكثير منهم لا يمكنهم الاستفادة من التعليم بهذه المدارس لشدة عدوانهم زد على ذلك أن الفقر المدقع ، يدفع بأهل هؤلاء التلاميذ الى ارسالهم في الصباح على الطوى لا تستر أجسامهم ملابس تحميهم من برد الشتاء او حر الصيف ، وتستنزف الطفليات دماءهم مما يجعل هذه المدارس بدون علاج الاطفال وتغذيتهم كما قدمت ، دور تعذيب لا دور تعليم

ويسرني ان أذكر ان وزارة المعارف منتبهة لهذه الحالة السيئة وتقوم الآن بوضع نظام كامل للعناية بصحة هؤلاء الاطفال في سائر المدارس كشطهم من واجباتها التعليمية إذ اتضح ان اعتلال صحة هؤلاء الاطفال عقبة ليس من السهل التغلب عليها لنجاح التعليم وسيكون لذلك النظام عند تنفيذه أثره الحسن في رفع مستوى التعليم والصحة والذكاء وسيكون من نتائجه البعيدة ان يكون هؤلاء الصبية عند بلوغهم سن التجنيد اصلح من الحيل الحاضر للجندية الحديثة

وفي الوقت الحالي يجب ان يكون فحص المجندين عاماً وشاملاً ، ويجب ان يعالجوا جميعاً حتى الشفاء من هذه الامراض قبل البدء في تدريبهم . ولا يكون الفحص والعلاج قاصراً على من تبدو على سيماهم علامات المرض او شعوب اللون

ولذلك يجب مد القسم الطبي في الجيش المصري بجميع الوسائل الحديثة للتشخيص والعلاج على نطاق واسع . ولا شك في ان ذلك سيؤدي الى رفع مستوى كفاءة الجندي المصري . وبما اسلفنا يتضح انه لا يمكننا الحصول على جنود اكفاء دون رفع المستوى الصحي لافراد الامة الذين يجند افراد الجيش من بينهم

اذن فأهم وسائل الدفاع عن القطر المصري ليست فقط في تكديس المدافع والذخائر والطائرات وتوزيعها على جنود لا يحسنون استعمالها بل ايضاً في ادخال المياه الصالحة للشرب في القرى وتعميم المراحيض بها وتنظيفها وفحص الاطفال في المدارس وعلاجهم من الامراض الطفيلية

الشعر والحياة

لفيلكس فارسى

أَيْنَ يا نفسُ تكمنُ الغاياتُ في بقاءِ غاياته شهواتُ
أَيْنَ يا ارضُ في ترابك ما يجدي وما تنتهي به الرغباتُ
أَيْنَ مقياسُ ما يفيد وما لا تقع فيه إنْ حُدَّتِ الحاجاتُ
نهلةً بعدها كُسيرةٌ خُبِرَ كلُّ شيءٍ سواها فضلاتُ

علتني الحياةُ أنا خيالاتُ م ترمى ما حولها الزائلاتُ
ليس للشيء في الوجود وجودٌ إنما الشيء ما تريك الصفاتُ
كلُّ ما في الآفاق رصفُ حروفٍ والمعاني ما تشعر الكائناتُ
ما الحياةُ الدنيا سوى صفحاتٍ لك منها السطورُ لا الصفحاتُ
أنت تتلو منها شعورك فيها حياةُ (الاشاعرين) مماتُ
هي دنيا تداخل البؤسُ والتعاسةُ فيها فكلُّها شُبَّهاتُ
فقصورٌ وعزةٌ وثرأءٌ وجنانٌ ظلالُها وارقاتُ
وقفارٌ ضلَّ الحُداةُ عليها وبحارٌ تبحرها العاصفاتُ
ومهودٌ ينورُ الطفلُ منها فاذا الطفلُ في اللحود رفاتُ
كلُّ شيءٍ فيه ابتسامٌ ودمعٌ نعيمٌ في صميمها نَقَمَاتُ
كلُّ يأسٍ فيه ارتياحٌ خفيٌ كلُّ نصيرٍ تطوى به حَسَرَاتُ
كم فراقٍ يقربُ الروحَ للروحِ وقربٍ في ضيقه فلوآتُ
كم فقيرٌ لم يعرفِ الجوعَ يوماً وغنيٌ تُجميعهُ الخيراتُ
لست تدري اذا سبرتَ الحفايا ما توارى الآلامُ واللذاتُ

هَتَفَةُ اللَذَّةِ الْجَوْحَةِ فِي الْقَلْبِ زَيْرُ قَرَارِهِ زَفَرَاتُ

كُلُّ مَا فِي الْوُجُودِ يَفْرُقُ فِي الشَّعْرِ فَطِيرُ الْفَلَاةِ وَالزُّهْرَاتُ
تَتَلَقَّى فِي النُّورِ شِدْوًا وَعَطْرًا ثُمَّ تَفْنِي أَشْبَاحَهَا الظُّلُمَاتُ
يَذْهَبُ الزَّهْرُ وَالطَّبِيرُ فَتَبْقَى فِي الْخَفَايَا الْعُطُورُ وَالنِّعَمَاتُ
مَا أَقَادَ الطَّيْرَ الشَّجِيَّ التَّغْنَى وَالْأَقَاخِي أَنْفَاسُهَا الْعَطِيرَاتُ
لَيْسَ مِمَّا تَجُودُ تَحِيًّا فَرَزَقَ الْكُلَّ فِي الْكُونِ قِسْمَةً وَهَبَاتُ

أَيُّهَا الشَّاعِرُ الشَّجِيُّ تَغْنَى لَيْسَ مِنْكَ الْإِلْهَامُ وَالْقَافِيَاتُ
أَقْتَدِرِي كُنْهَ الشُّعُورِ وَمَنْ أَيُّ مَهَبٍّ تَجْتَاحُكِ الْخَاطِرَاتُ
أَنْتِ قَيْنَارَةُ الْوُجُودِ فَمَنْ أَيُّ وُجُودٍ تَهْزِكِ النَّقَرَاتُ
أَقْتَشِكُو فِي ضَمِيرِكَ مِنْ كُلِّ جَمَالٍ وَرُوعَةٍ لُوحَاتُ
أَقْتَشِكُو فِي فُؤَادِكَ مِنْ كُلِّ فُؤَادٍ مَبِيسٍ خَفَقَاتُ

مُتَعَةُ الْعَيْشِ فِي نَفُودِ الْمَعَانِي وَالْمَعَانِي فِي رُوحِنَا كَامِنَاتُ
مَا يَفِيدُ الْكِتَابُ غَرًّا جَهُولًا أَغْلَقْتَ دُونَ فِهْمِهِ الْآيَاتُ ؟

لَيْسَ لِلشَّيْءِ فِي الْوُجُودِ وَجُودٌ أَمَّا الشَّيْءُ مَا تُرِيكَ الصِّفَاتُ
لَيْسَ يُرْضِي الْخَيَالَ الْإِخْيَالُ إِنْ هَذَا مَا عَلَّمْتَنِي الْحَيَاةُ

أَلْقَيْتُ هَذِهِ الْقَصِيدَةَ فِي الْحَفْلَةِ الَّتِي أَقَامَهَا الْفَرْعُ الْأَدَبِيُّ
لِنَادِي بَلَدِيَةِ الْأَسْكَندَرِيَّةِ فِي ٩ — ٥ — ٣٨ ، وَقَدْ
تَنَاظَرُ فِيهَا شُعْرَاءُ الْأَسْكَندَرِيَّةِ فِي مَوْضُوعِ « الشَّعْرُ لَا فَائِدَةَ
مِنْهُ ». فَأَيَّدَ الرَّأْيَ الشُّعْرَاءُ : عُمَانُ حَلَمِي ، يَوْسُفُ فُهْمِي ،
رِشَادُ عَبْدِ الْعَزِيزِ ، عَبْدِ الْلطِيفِ النَّشَارِ ، وَعَارِضَةُ الشُّعْرَاءُ :
خَلِيلُ شَيْبُوبَ ، عَبْدِ الْقَادِرِ الْعَوَا ، مُصْطَفَى صَبْحِي ،
مُحَمَّدُ السَّيِّدُ . وَرَأْسُ الْمُنَاطَرَةِ : الشَّاعِرُ فُلَيْكُسُ فَارِسُ

المعدة والانفعال

بمبحث طريف

في طبائعها المتقلبة

كتب الدكتور ونجيت طد — استاذ التشريح في جامعة وسترن ريزرف الاميركية — في المجلة العلمية الشهرية ، انه شرع من سنين يبحث احوال المعدة وطبائعها المتقلبة في اثناء العمل واللعب ، وصدف هو وزميلته المس كوزل عن معد الحيوانات ومعد المرضى لانهما قصدا الى دراسة طبائع المعد في الاصحاء . وبعد بحث طويل استغرق خمس سنوات وشملت تجاربه نحو ثمان مائة طالب من طلاب كلية الطب في الجامعة المشار اليها ، وضعا رسالة عنوانها « نماذج السلوك في القناة الهضمية » ولكن العلماء استقبلوها عند نشرها في سنة ١٩٣٠ بكثير من السخرية الا ان التجارب التي اجراها بعد نشر رسالتهما ايدت قولها الاول وهو ان للمعدة طبائع متقلبة وان معرفتها تسدي خدمة غير يسيرة للذين يريدون ان يتمتعوا بناحية من نواحي الهناء والرغد في الحياة

والمعدة كما لا يخفى عضو عضلي تنقبض عضلاته وتنبسط في حركة منتظمة كانبضاض عضل القلب وانبساطه . الا انهما في المعدة ابطأ منهما في القلب . وقد كان الرأي ان الانقباض والانبساط في عضل المعدة يدفعان محتوياتها الى الاثني عشري على نحو ما يدفع الانقباض والانبساط في عضل القلب الدم في العروق . وعلى ذلك قيل ان الانقباض والانبساط في عضل المعدة يكونان على اشدهما خلال تناول الطعام وبعده وان المعدة تكون بين وجبة واخرى في حالة راحة . وقيل كذلك ان المعدة تفرز عصارة حامضة هاضمة غرضها الوحيد ان تهضم او تشرع في هضم بعض مواد الطعام ثم يدفع هذا الطعام الى الاثني عشري بحركة المعدة العضلية المعروفة باسم Peristalsis وقد ترجمه الدكتور شرف بقوله الحركة الديدانية الخاصة بالامعاء والاعضاء القنوية والواقع ان احدا لم ير المعدة وهي تقوم بعملها الا بعد ان كشفت الاشعة السينية . نعم كان بعض الجراحين قدرا قهبا في اثناء العمليات الجراحية . ولكن الاحوال التي تجري فيها

هذه العمليات تؤثر في المعدة فيقل نشاطها الى ادنى حدٍّ ممكن . ثم ان افراز العصارة المعدية ببحث في الحيوانات ولكن هذا البحث كان يقتضي شق البطن ، وبشقّه تعود الاحوال السوية داخل المعدة وهي غير سوية

ولكن اذا مزج الطعام بقليل من مركب كبريتات الباريوم ، غذا الطعام غير شفاف عند تعريضه للاشعة السينية . واذاً تسهل مراقبة المعدة بتعريضها لهذه الاشعة عند ما يدخلها هذا المزيج . ومما يبعث على الدهشة ان الدكتور طد وزميلته استطاعا في اثناء تجاربهما ، ان يراقبا العصارة المعدية وهي تتجمع داخل المعدة

جربت تجارب من هذا القبيل في المستشفيات ولكن معظم المعد التي اجريت عليها كانت معداً مريضة . فعمد الدكتور طد وزميلته الى إجراء تجارب واسعة النطاق على فريق من طلبة الجامعة وانتهوا منها الى نتائج تبعث على الاستعراب

وكان اول ما استوقف نظرهما عندما شرعا في هذه التجارب كبر حجم المعدة وتراخيا وقد شرعا في البحث في شهر سبتمبر من سنة ١٩٢٥ فما اقبل شهر فبراير من السنة التالية حتى تبيننا ان المعد التي كانت في سبتمبر كبيرة متراخية غدت في فبراير اصغر حجماً واشد نشاطاً . وما اقبل شهر سبتمبر من سنة ١٩٢٦ اي ما انقضت سنة تامة على بدء التجارب حتى زاد انكماش المعد ونشاطها . وعندئذ كان قد دخل الجامعة فريق جديد من طلبة السنة الاولى فاذا معدهم كبيرة ومتراخية كعد زملائهم في شهر سبتمبر السابق ، وفي خلال السنة المدرسية انكشمت ونشطت هذه الظاهرة الغريبة حيرتهما . وبعد استقصاء خطرهما انهما امام عضو يتأثر تأثيراً كبيراً بالانفعال النفساني . ذلك ان الطلاب الجدد في الجامعة تساورهم المخاوف من بيئة جديدة واساتذة لا عهد لهم بهم من قبل . ولم يستحسن الدكتور طد ان يسم هذه الحالة بالخوف فوسمها بالقلق . فلما استرد الطلاب ثقتهم استردت معدهم نشاطها المؤلف . ومن غريب ما رواه في المجلة العلمية الشهرية انه بعدما انقضت سنوات على اجراء هذه التجارب وشاع امرها بين الطلاب وغدوا يتقدمون لها بغير جزع او اضطراب تبين ان معدهم عند الامتحان ليست متنفخة ولا متراخية

واستنبط احد معاونيهما — الدكتور سمرفلد — طريقة بديدة لتقدير حجم المعدة من قياس ظلها في صور الاشعة السينية . فتمكن بها من ان يثبت انه عندما يتناول الطالب سائلاً قدره اربع اوقيات لا تلبث معدته بعد خمس حتى تحتوي سائلاً يزيد على اربع اوقيات . والزيادة تتفاوت بتفاوت نوع السائل . فاذا تناول اربع اوقيات من اللبن الخيض كان تضخم المعدة اكثر من تضخمها اذا تناول اربع اوقيات من اللبن الكامل . وقد دل القياس على أن مقدار

السائل في المعدة بعد انقضاء خمس دقائق على تناول اربع أوقيات من اللبن ، بلغ اثنتي عشرة أوقية ، ولكنه بلغ بعد تناول الخيض عشرين الى ثلاثين أوقية

إلا أن الدكتور سمرفلد أثبت ان هذه الزيادة لا تصدق الا على المعدة في حالة القلق . فكان مؤثراً قد أثر فيها أفضى الى تجميع العصارة المعدية فيها . فوجه الباحثان عنايتها الى البواب وهو الصمام الفاصل بين المعدة والاثنى عشري . راقبا البواب فوجدا انه يبقى مقفلاً فترة طويلة بعد دخول الطعام المعدة عندما تكون المعدة في حالة قلق . أما الطلاب الذين كانوا قد تعودوا هذه التجارب وعادوا لا يفعلون بالاستعداد لها واجرائها عليهم فقد كان البواب في معدتهم يفتح بعد انقضاء دقيقتين على وصول الطعام الى المعدة ، فيخرج متزجاً بالعصارة المعدية الى الاثنى عشري . وبذلك تمكنا من تفسير تضخم المعدة في حالة القلق . ذلك ان حجم المعدة اشد تأثراً بمقدار ما ينصرف من العصارة المعدية او ما يبقى في المعدة منه بنوع الطعام

هذه التجارب دلّت على تأثر المعدة بالانفعال النفسي . وبذلك يفسر خطأ الاكثار من الطعام قبل الاسراع الى اللحاق بقطار او دخول امتحان صعب او الاقبال على حضور جلسة عاصفة . ففي هذه الحالة يقفل البواب متأثراً بالحالة النفسية فيتجمع في المعدة الطعام والعصارة المعدية ، وحينئذ يحس الانسان بثقل وانتفاخ وبصعود غازات حامضة

والمعد تتفاوت في تأثرها بالانفعال . بل لقد ينشأ الاضطراب عن اطعمة معينة . ذلك ان هذه الاطعمة تؤثر في الجهاز المسيطر على البواب في معدة دقيقة الاحساس فيقف على نحو ما يتأثر بعض الناس بمواد معينة فيصابون بحالات مرضية . فاذا كان الفعل شديداً فقد يفضي الى التقيؤ . أما اذا كان غير شديد فقد يطول الشعور بالثقل والتلبك وقد يصحبه عطاس واحتقان في الرأس ومن غريب ما قد يحدث ان العطاس الشديد يفتح البواب في بعض الاحيان . وبهذا قد

يفسر استعمال بعضهم النشوق بعد الطعام

وإذا كان العقل والشعور يؤثران في المعدة ، فالمعدة تؤثر فيهما . ولعل خير مثل على ذلك الكاتب الالماني جنسن المشهور في الادب الانكليزي بالمعنية . ويعزى كثير من براءة التخيل والتفكير المبدع الى سوء الهضم . بل يسأل بعض الباحثين هل كان في وسع داروين ان يبدع مذهب التطور لولا حدة تخيله الناشئة عن سوء الهضم ؟ ويسأل غيرهم هل كان في وسع جوزيف كونزاد الروائي البولندي الانكليزي في العصر الحديث ان يبدع ما أبدع لولا سوء الهضم الزمن . ومن يستطيع ان يعين مدى ما ينسب من روايات أديجار ألان بوا الى سوء الهضم وما يعزى منها الى ادمانه المشروبات الكحولية ؟

وليس ثمة ريب في ان بعض الناس يجمع ذكاؤهم عندما يجلسون الى مائدة والبعض الآخر

يكاد يغلب عليه النعاس ، وان طعام واحداً قد يكون غذاءً الواحد وسماً الآخر
 لقد اقتضى فهم هذه الحقائق سنين من البحث والتجربة . فأولاً ثبت للدكتور طد ومعاونيه
 تأثير الحالة النفسية في المعدة . ثم تأثر المعدة بما يصلها من الطعام . قال : ومازلنا نجهل ما يحدث
 في المعدة عند ما زرد طعاماً لا تؤثره . ولكننا نعلم ان شيئاً يحدث فيؤثر في الجهاز العصبي الحركي
 المسيطر على البواب فيقل . وليس ثمة ريب في ان ما نشعر به من الثقل بعد تناول بعض
 الاطعمة سببه إقفال البواب وتجمع العصارة المعدية مع الطعام في المعدة
 ولا يخفى ان العصارة المعدية تتركب في الدم وتفرز في المعدة . فاذا لم يكن هناك سبيل يعود
 به جانب منها الى الدم عن طريق الامتصاص من الامعاء ، لا يلبث الجسم حتى يغدو جافاً
 كاللومياء ، ومع ذلك لا نكاد نعلم شيئاً عن هذه الدورة الداخلية — دورة العصارة المعدية —
 ولكن الدكتور طد استحدث بتجاربه طريقة لبحثها وهي طريقة مراقبة المعدة بالاشعة السينية
 ولا سيما تجمع العصارة المعدية فيها عند ما يقفل البواب

وهذا يفضي بنا الى سؤال كبير الشأن وهو خاص بالباحث على انتقال الطعام من المعدة الى
 الاثني عشري . ومن غريب ما يقال في هذا الموضوع ان اللعاب يسيل عند ما تمضغ طعاماً
 جامداً ولكنه لا يسيل عند ما يدخل الفم طعام سائل : أما العصارة المعدية فتفرز في الحالين
 وافرازها عند دخول السوائل المعدة أكبر منه عند ما يدخلها الطعام غير السائل
 ويلوح من هذه التجارب ان افراز العصارة المعدية ، أسلوب من أساليب الخلق ، لغسل
 داخل المعدة ودفع السائل في المعدة الى الاثني عشري . ذلك انه عند ما يكون الطعام الذي
 يدخل المعدة جامداً يشرع عضل المعدة في الانقباض والانبساط الى حد ما دافعاً الطعام
 الى الامام ، وبمساعدة ما يفرز من العصارة المعدية على غسل المعدة

ومهما يكن الطعام ، وسواءً جامداً كان أم سائلاً ، يلاحظ ان الانتقال من المعدة الى
 الاثني عشري يبدأ بعد انقضاء دقيقتين من وصوله الى المعدة ، على شرطين : — ان يكون هناك
 انفعال يؤثر في المعدة ، وان لا تكون المعدة مستهدفة لشدة الاحساس بذلك الطعام . وفي كلا
 الحالين يتأثر البواب فيقل وتجمع العصارة المعدية فتتفخ المعدة ويحس صاحبها بالثقل وسوء
 الهضم وما يصحبهما . فالطعام لا يبقى طويلاً في المعدة الا في هذين الحالين على ما يعلم
 وعسى ان يكون في هذه الحقائق ما يعين بعض القراء على تجنب ما يصابون به أحياناً من
 سوء الهضم لانهم تناولوا الاكل وهم معرضون لانفعال نفسي شديد ، أو لان معدتهم شديدة
 الاحساس بضروب من الطعام لا تسيغها . ففي الحالة الثانية يجب على كل منهم ان يتبين هذه
 المواد بالاختبار ويمتنع عنها بقوة المشيئة ، وفي الاولى يجب مراعاة اليقظة والحكمة

الفن الأكبر^(١)

لمخائيل نعيمة

جاء في الكتاب ان الله خلق الانسان على صورته ومثاله
لست ادري ، أؤمن المؤمنين انهم ام من الملحدين . وان كنتم من المؤمنين ، فأني الايمان
ايمانكم ؟ او كنتم من الملحدين ، فأني الاحاد الحادكم ؟ اذ أن في الناس من يتجسس بالايمان
وفي تجسسه الاحاد كله . وفيهم من يغالي في الاحاد وفي مغالاته الايمان كله . مثلما فيهم الذين
لا قدرة لهم لا على الايمان ولا على الاحاد

اما انا — أجازني الله واجاركم من هذه النون بين ألفين ! — فأؤمن بالله وبأنه مصدر
كل منظور وغير منظور . وايماني به هو حجر الزاوية في حياتي . وأؤمن بالانسان وبأنه صورة
الله ومثاله . وايماني بالانسان هو الفلك التي نحملني في خضم هذا الوجود

لولا ايماني بالله لما كان ايماني بالانسان . ولولا ايماني بالانسان لما كان ايماني بالله . فلايمانان
من معدن واحد ، بل هما واحد . والذي هداني الى الله هو الله ذاته ، لا ما قرأته عنه في
الكتب المنزلة وغير المنزلة . والذي قادني الى الانسان هو الانسان نفسه لا ما وعيته من آثاره
وتواريخه ودرسته من علومه وفنونه . فعبثاً ندعي الايمان بالله قبل ان ينكشف لنا الله في الانسان
وعبثاً نحاول فهم الانسان قبل ان يتجلى لنا الانسان في الله . وعبثاً نطلب ذاك او هذا قبل ان
ينشق الخيال فينا من كل قيد فيبصر الخالق في الخليفة ، والخليفة في الخالق

ما خلق الله في كل ما خلق إلا ذاته . اذ ليس فوقه او تحته ، ولا امامه او خلفه ، ولا
قبله او بعده شيء لم يكن فيه منذ الازل . ومثلما لا يفيض ينبوع الا بالذي فيه ، ولا تأتي شجرة

بغير الثمر الذي في احشائها ، ولا يشتعل عود إلا بالنار التي في قلبه — هكذا لا يفيض من الله إلا الله ، ولا يثمر الله الا الله ، ولا يسطع الله بغير الله . لذلك كان الانسان الصادر عن الله صورة لمصدره . فكان أزلياً بأزليته . أبدياً بأبديته . خالفاً بعين القدرة التي خلقته

لكنها صورة ما تزال غامضة في الانسان المتدثر بدثار الحسّ الحشن وكل ما يلازمه من من خير عليل وشر هزيل . ولكنها الصورة الشمسية قبل تظهيرها . واذ ذاك فغاية الانسان من وجوده واحدة لا تقبل الشرك من اي نوع كان . ألا وهي تمزيق دثار الحسّ لتظهر الصورة بتمامها فيرتفع الانسان الى ما فوق الخير والشر . واذ ذاك فما الزمان بعقوده ، والمكان بمحدوده ، والموت بظلماته ، والولادة بأشعتها ، وكل ما يتخلل ذلك من أنين وحنين ، وذعر وطأئنة ، وقلق وسكينة ، سوى مساحيق وعقاقير سحرية تُعدّها لنا الحياة لنجلبوها صورة الله فينا ، حتى اذا ما انحلت كل الانجلاء اصبحتنا في غنى عن تلك المساحيق والعقاقير الى الابد وعدنا نساعد في استنقاذ أولئك من اخواننا في الناسوت الذين ما برحت صورهم غامضة ، مهمة

والناس من هذا القبيل رجالان : رجل يعرف الغاية من هذه المساحيق والعقاقير فيحسن استعمالها ليخلص منها بها ، ورجل يجهل الغاية او يشرك معها غايات سواها . فمساحيق الزمان والمكان ، وعقاقير الخير والشر ، وعناصر الموت والحياة لا تزيد صورة الله فيه الا غموضاً . وما دام الله فينا غامضاً دمنا في ظلمات السجون وقبضة العذاب

هذه صفوة ايماني بالانسان وحياته . ومن كان ذلك ايمانه نبئت به روحه عن كل معرفة سوى المعرفة بأنه صورة الله ، وجنحت به عن كل ارادة سوى الارادة المنبثقة من تلك المعرفة والتي لا هدف لها الا الكشف عن الصورة والتمتع بها صافية ، ساطعة ، كاملة . فأصبح في نظره كل علم وكل عمل بل وكل نية لا تستمد حياتها من هاتيك المعرفة وجعاً وغباوة . وأصبحت كل ارادة لا تستوحى قوتها من تلك الإرادة غلا في العنق وسهماً في الكبد . وهكذا كانت عنده معرفة الله في الانسان وإرادة الوصول اليه نقطة الدائرة من الحياة . فكان كل ما تركز فيها ثم انبعث عنها من أعمال الناس عبارة من أفق واسع الى أفق أوسع . وكان كل ما زاغ عنها خيبة تقود الى خيبة ، وعثرة تقضي الى عثرة

والآن ماذا عساني أقول في الفن الذي سألتوني ان أحدثكم عنه ، والذي احاطه الناس بهالة من التعظيم والتعظيم ، والتبخير والتكبير ؟ هل يخرج الفن عن انه عمل من اعمال الناس ؟ إذن هو كسائر اعمال الناس — منه ما يتمركز في نقطة الدائرة التي حدثكم عنها . ففيه معرفة

وله إرادة . وهو القليل ، القليل . ومنه ما هو زائغ عن نقطة الدائرة . فلا معرفته معرفة ، ولا إرادته ارادة . وهو الكثير ، الكثير . الاول يجلو صورة الله في الانسان . والاخر يطمسها بكثير الخطوط والاصوات ، والنبرات والحركات ، والاشكال والالوان . الاول يفرض ذاته علينا فرض الصلاة على المؤمن ، والنعاس على الجفن ، والاربع على الاتق ، والنور على حدقة العين . والثاني يحاصرنا بدعاواته الطويلة عن رسالته « العلوية » في خدمة الحق والجمال . وحقه لا يتجاوز اللحم والدم فهو خدعة . وجماله لا يتعدى نطاق البصر فهو شفاعة

اذا اردتم مثلاً للفن الذي يذهب بالانسان الى ابعد من الانسان فليكم في اي هرم من اهرام مصر ذلك المثال . خذوا هرم الحيزة : جدران اربعة محدودة ترتكز على قطعة محدودة من الارض . وهذه الجدران تماسك بعضها ببعض والارض تماسكاً يجعل منها كتلة واحدة تبدو عند قاعدتها ابدية بثباتها ، مروعة بضخامتها ، ساحقة بثقلها . ثم تأخذ في الارتفاع قيراطاً فقيراطاً وفتراً ففتراً ، واذ ترتفع تنحني بعضها الى بعض وتبقى متشابكة متماسكة . لكنها كلما ازدادت ارتفاعاً ضاقت مساحة ، ونقصت ضخامة ، وخففت وزناً . وعندما تبلغ اقصى مداها في الارتفاع تتلاشى في نقطة في الفضاء . هي نقطة الانفكاك — نقطة الانعناق — نقطة تلاشي النهايات في اللانهاية . فكان جهات الهرم الخمس — جدرانه الاربعة والارض القائمة عليها — ما تضخمت في البداية إلا لتتقلص في النهاية . ولا ثقلت وزناً الا لتصبح بغير وزن ، ولا ارتبطت بعضها ببعض الا لتنفك من كل رباط . ولا كانت شيئاً الا لتغدو لاشيء

وهذه بالتمام هي حال الانسان مع حواسه الخمس . فهي لانفع منها الا كدرجات يرقى بها الانسان الى ما وراء الحس . ولاخير في قيودها الا لتنتفيق بها من كل قيد . ولا معنى لوجودها المحدود الا لتبلغ بها الوجود الذي لاحد له

وبلذ لي ، قبل ان أترك مثال الهرم ، ان اذهب به معكم الى أبعد مما ذهبت . فأسألكم ان تمثلوا هرمًا قائمًا على شاطئ بحيرة صافية وقد انعكس ظله في ماها فبان الهرم وظله كما لو كانا هرمين مستقلين تلاصقت قاعدتهما وكانت قبة الواحد في الفضاء وقمة الآخر في الماء . ومن ثم أريدكم ان تمثلوا خيال الهرم في الماء كما لو كان خيال العالم في ضمير الله ، وقبته كما لو كانت نقطة المصدر . أما شاطئ البحيرة فتمثلوه كما لو كان الحد الفاصل بين عالم الخيال وعالم الحس ، او عالم الروح وعالم المادة

يبتدىء الظل في نقطة لا سبيل لنا الى ادراكها لا بالحس لانها لا تحس ، ولا بالعقل لانها

أبعد من مجال العقل ، ولا بالفكر لأنها أوسع من نطاق الفكر . وقد نستطيع ان نتخيل وجودها لأنها خيال . ثم يستطيل الظل ويتسع في خطوط تجمل له شكلاً . ولكنه شكل نعيمه بالخيال لا غير . ثم ينتهي الظل بالشاطئ فإذا به يتحوّل فوقه الى طائفة من حجارة متراسة ، مترابطة ، لها وزن ولها شكل ، ولها لون ولها قياس . وهذه الحجارة تمنع في الصعود الى ان تنتهي في الفضاء بمثل النقطة التي ابتداء منها الظل في الماء ، فلا وزن لها اذ ذاك ولا شكل ، ولا لون ولا قياس . هكذا يتكاثف الروح فيغدو مادة . وتقلص المادة فتعود روحاً

ولكم من بعد ذلك ان تمثلوا كل انسان هرمًا مستقلاً في ذاته . ثم ان تمثلوا ذلك الهرم حجراً في هرم أكبر هو البشرية ، والبشرية حجراً في الهرم الاكبر الذي هو الكون . وعندئذ فالبشرية التي نحن منها ليست مجموعة اجناس ، وطوائف ، وملل ونحل يفضل بعضها البعض بقوته او بماله ، او بجاهه او بسلطانه ، او بنسبه او بعلمه . بل هي بناء واحد أسفله في التراب وأعلاه في اللانهاية . وهو بناء متحرك لا يعرف الجمود . أسفله ينهض أبداً بأعلاه الى فوق ، وأعلاه يجذب أسفله الى حيث لا قيد ولا حد ، ولا ولادة ولا موت ، ولا عقاب ولا ثواب — الى الله . ولا فرق بين حجر وحجر في هذا البناء — أي بين انسان وانسان — الأعلى قدر ما يقترب الواحد من الاساس والآخر من القمة . فالذين في أسفل هم الذين يحملون اثقال الحواس الساحقة ولم يتنبه خيالهم بعد ليهديهم الى الصلة الابدية بينهم وبين القمة والى الايمان بانهم بالغوها يوماً ما . والذين اقتربوا من القمة هم الذين نشط خيالهم واشتد ايمانهم خفت اعباؤهم الحسية . والذين بلغوا القمة هم الذين انعتقوا من ربة الحس فما عادوا يشعرون بجاذبية الارض وضغط السماء . وقد يكون في أعالي الهرم كثير ممن يحسبهم الناس في أسفله . وفي أسفله كثير ممن يحسبونهم في أعاليه . رب حجر يلاصق القمة كان عبداً عند الناس . وسلطان عندهم لم يكن غير حجر في الأساس

ما تماديت في الكلام عن الهرم الا لا عظيم مثلاً للفن الذي هو في نظري جدير بالاعتبار وهو الفن الذي إذا ما تحسستموه أحسستم كأنكم تنعتقون من الحس . وإذا ما حاولتم تحديده قادكم الى حيث لا حدود . فرأيتموكم شاملين مثلما الله شامل . ورأيتموكم أزليين أبديين مثلما الله أزلي أبدي . ورأيتموكم خالقين مثلما الله خالق . وبكلمة أخرى ، هو الفن الذي يكشف فيكم عن صورة الله ومثاله . ولا أريد ان أمضي بكم الى متاحف الارض ومعالمها ، ومرافقها ومغانبها ، ومسارحها ومكاتبها لا أدلكم في رسوم اي الرسامين ، وتماثيل أي المثالين ، وبناء أي البنائين ،

وألحان أي الموسيقيين ، ورقص أي الراقصين ، وتمثيل أي الممثلين ، وشعر أي الشعراء تلمحون
لمثل هذا الفن أثراً . فالفن كالطبيعة — مفتاحه في نظر الناظر وسمع السامع وما يستبطنان عنه
من خيال . فلا أنتم تستطيعون أن تنظروا بعيني : ولا أنا أستطيع أن أسمع بأذانكم
أما الفن الذي لا يطمح من تصوير الطبيعة إلا إلى نقل جانب ضئيل — وضئيل جداً —
من أشكالها وألوانها فها دق صنعاً لن يعطيكم ذرة مما أنتم قادرون أن تتناولوه مباشرة بجواسمكم .
فما رأيت البحر على لوحة رسّام إلا كأن سخرية بالبحر الذي أبصرته بعيني وسمعتُهُ بأذني .
ولا الشمس إلا كأنك تجديفاً على الشمس التي عرفتها في كل قطرة من قطرات دمي . وكذلك
الفن الذي لا يخرج في تصويره الانسان مما ألفناه فيه من عواطف وأفكار ، ونسّات وشهوات ،
وأفراح وأوجاع ، وتقاليد وأوضاع ، فهو ليس للانسان أكثر من قفل على باب سجنه ، وغشاء
فوق الاغشية التي على عينيهِ ، ونير فوق النير الذي على عنقه

هل منكم من لم يرَ من الناس أشكالاً تضيق بها ذاكرته ؟ أم من يجهل ان الانسان يولد
وموت ، وأنه بين الولادة والموت يدأب ليعيش ، فيقاتل ويناضل ، ويفض ويحب ، ويفض
وبرضى ، ويحسد وبطمع ، ويمرض ويتعافى ، ويتزاوج ويتناسل الى كل ما هنالك من هواجس
وزغات وتقلبات ؟ فأني تقع لكم ممن يصوّر كل ذلك بالالوان او بالحجر او بالكلام فلا
يزيدكم معرفة بما أنتم عارفون ؟ وإن كان له مقدرة على الوصف والتصوير ليست لكم ،
فقد تهرمكم المقدرة . لكنها لا تخفف من ثقل اوزاركم ، فلا تعطيك جناح امل ، ولا تذكي
فيكم شرارة ايمان ، ولا تدنيكم قيد شعرة من المعرفة بانكم صورة الله ، ومن الارادة التي تمسكنكم
من كشف تلك الصورة

اذن فالفن نوعان : فنٌ يتبدى بالمحسوسات لينتهي منها الى ما وراء الحس . فكأنه يعالج
مسايق الزمان والمكان عارفاً ان لا تقع منها إلا للتخاص من قيود الزمان والمكان . وفنٌ
ينشأ في المحسوسات ليفنى فيها . جاهلاً القصد من مسايق الزمان والمكان . فكأنه لا يلهو بها إلا
ليصبح واحداً منها . وما يؤسف له أشدّ الاسف ان أكثر فنون الناس من هذا النوع الذي
كنت ادعوه عقياً لولا اعتقاد راسخ في ضميري ان الحياة ادرى مني ومنكم بتدبير بنها . وان
لا عقم فيها فهي كالارض تحول كل موت الى حياة ، وكل قذارة الى طهارة ، وكل عقم الى خصب

ألم اقل ان الانسان خالق بعين القدرة التي خلقتهُ ؟ وماذا عساهُ يخلق غير ذاته ؟ فهو في كل
ما يعمل إنما يخلق ذاته كما يعرفها في اللحظة التي يعمل فيها . ونحن لو كانت لنا عيون تنفذ من

ظواهر الامور الى خفاياها لا تبصرنا الا انسان كل الانسان في اقل حركة من حركاته وسكنه من سكناته . فما كتب كاتب كلمة الا كتب ذاته فيها . ولا لبس لبس رداء الا لبس فيه ذاته . ولا نطق ناطق بكلمة الا نطق بذاته . والذي نخلقه في كل ما نخلق انما هو صورة الله فينا على قدر ما تكون غامضة او جلية . فن العسف ، والحالة هذه ، ان نحاسب كاتباً في ما يكتب ، او شاعراً في ما ينظم ، او رسّاماً في ما يرسم ، او ملحناً في ما يلحن او أي رجل في ما يعمل . اذ انه ، حتى ولو حاول ، لما استطاع ان يعمل اكثر او اقل مما يعمل ولا غير ما يعمل . واعمال الناس هي المساحيق والعقاقير السحرية التي يجلون او يطمسون بها صورة الله فيهم واذا كان لا بد لنا من محاسبة فلنحاسب انفسنا لا غير . ولنحاسب انفسنا حساب من يعرف ان من الاعمال ما يطمس فينا صورة الله ومنها ما يجلوها . ولنحاسب انفسنا حساب من يريد ان يعمل الاعمال التي من شأنها ان تجلو صورة الله . فلا نعبث بشيء لان الله في كل شيء ونحن فيه مع الله . ولا نكبر على انسان لانه صورة الله . ولا نصغر أمام انسان لاننا مثال الله . ولا نقيم القواصل بيننا وبين الناس ، او بين الناس والناس ، لان الناس كلهم حجارة حية في هرم الوجود الالهي

إن أجمل الفن ليس في المتاحف ومحترفات الفنانين . بل في حياة موحدة الغاية والارادة ، في قلبها ايمان لا يتزعزع بهدف الانسان الاسمي ، وفي ايمانها محبة لا تتضب لسكل من شاركها وشاركتها في ذلك الهدف ، وفي اعمالها وأقوالها ، وزعاتها ونياتها دعامه لتلك الايمان وزيت لتلك المحبة

فان سئلت عن ابداع آيات الفن وأغلاها ، قولوا : « ضمير لا يسخر . وجين لا يعفر . ولسان حلیم شكور . وقلب عفيف غفور . وعين لا تبصر القذى . ويد لا تنزل الاذى . وفكر يرى في البلية عطية . وخيال يربط الازلية بالابدية » . وهذه قد تعثرون عليها فيمن لا علم لهم بأسرار الالوان والالخان والقوافي قبل ان تلعبوا لها اثرآ في كبار الشعراء والرسامين والملحنين وقد تجدونها في الاكواخ الوضيعة قبل ان تجدوها في القصور الرفيعة . وفي الدساكر الحفيرة قبل المتاحف الشهيرة . فلا نخدعنكم باللقاب . ولا تعثرنكم الشهرة . ولا تعميكنم تقاليد الناس الفنية عن الفن الاكبر — فن امتشاق الانسان من غمد ناموسه ، والوصول به الى ذروة لاهوتية وان لم يكفكم بلوغ المحجة عمر واحد — ولن يكفكم عمر واحد — فالزمان يتسع لاعمار ، بعدها اعمار ، بعدها اعمار . وان لم تكفكم الارض — ولن تكفكم الارض — ففي الفضاء مساكن ، بعدها مساكن ، بعدها مساكن

الحياة الفكرية

في عهد المشادة وعصر الاستقرار

لعملى أُرهم

من الشائع المتعارف ان عصور السمو الفكري والنفوق الفني والنبوغ الادبي في حياة الامم وسير الحضارات ليست هي الاوقات الممتازة من الناحية الاخلاقية او من الوجهة السياسية، وقد اشتدت العناية بالادب وكثر تذوق الفن وعظم الاقبال على صنوف العلم في أغلب نهضات الامم ووثباتها الماثورة بعد انتهاء عهد الطموح الوطني والانتصار السياسي، وكانت تلك الحياة الفكرية الحصبة نتيجة متطورة من نتائج وثمرات مرتقبة من ثمراته، فأثينا واسبارطة لم يخرججا أبدع طرائقهما الادبية وأنفس آيات فهما في عصر اكتمال قوتهما السياسية وفي ريعان عزتهما القومية، وفي عصر بركليس لما أخذت تظهر بوادر الضعف وتفسو علامات التدهور والانهلال كثر التهافت على الفن وذاع التعلق بالادب والاقبال على العلم كأنه نتيجة لازمة محتومة وعلامة واضحة الدلالة على بدء نضوب القوة القديمة ونفاد الحيوية الكامنة، وكذلك كان الحال في روما، وذلك انها لما لانت قوتها وثبت القانون وتوطد النظام واستتبت الاحوال وترققت الطبائع النافرة ولطفت الامزجة الجارحة ساد الفن وعمم الادب وارتفع شأن الحياة الفكرية، وقد جاء هوميروس في العصور القديمة ليتغنى مفاخر أبطال طروادة، كما جاء شكسبير في ختام العصور الوسطى ليروي لنا قصة النفس الانسانية في تلك العصور وما انتابها من أهواء وشهوات وزغات وميول وليحدثنا عما كان في حياة أهلها من ألوان الجد والعبوس وأفانين الهزل والنكاهة والمجون والدعابة. ولما انتهى عصر الفتوحات الاسلامية كثر المؤرخون والوصافون وكتب السير ورواة الاخبار. وقد ظهرت الديانة البوذية العظيمة بالهند في عصر من عصور الامن والهدوء والحياة رضية مذلة اذ كان العالم في القرن السادس قبل الميلاد متقلبا مضطربا يعاني أشد الازمات والحوادث ما بين مصعدات بالدول ومنحدرات بينما الهند قد حمتها جبالها الشم من خطر الاتصال بالعالم والانغماس في فوضاء ونأت بها عن اضطراباته الفاجعة وزواته الهادمة، وكانت السلام مرفقا في ربوعها فلا تاحر على البقاء ولا اقتتال على القوت والغذاء ومتمهى أرب الامراء صيد النمر واقنصاص الفيلة لا الغزو والفتح وسفك الدماء وازهاق الارواح. وقد ولد في ذلك العصر الهادي الوديع في احدى مقاطعات الهند جوتاما بوذا وتنزل عليه

وحي حكمته وهو جالس تحت ظلال شجرة «البو» الجميلة فكانت البوذية ثمرة تلك الحياة الوادعة الحاملة الشبيهة بظلال الخيال وخيرات الاماني والآمال ، وقد يدعونا ذلك الى ان نستخلص ان الحياة الفكرية تنمو وتزهر حيث تستمكن الحضارة وتستقر الحياة ويأمن الناس صولة الثورات وطوارئ الحداث ويظفرون في هذا الامن الشامل بالهدوء الذهني والفراغ اللازمين لظهور بدائع الفن وطرف الادب، وما دام الفن يحتاج الى الاتقان والتجويد والاناة واعمال الفكرة والانصراف عن الشواغل في العالم الخارجي فأحر بأيام الطمانينة والهدوء ان تكون عصوراً ذهبية للادب والفن ولكن اذا كانت عصور الهدوء والاستقرار صالحة للادب والفن منشطة لسير الفكر فهل أوقات الثورات الدامية والانقلابات العاصفة معرقة للادب قاضية على الفن؟ وهل هي حقيقة تسلب رجال الفكر ونوايج الفنون الهدوء الفكري والرزانة والازنان وتحول بينهم وبين متعة الفراغ الكافي لماء آيات الفن العظيمة؟ لسنا نجد في التاريخ أدلة كثيرة تثبت ذلك وتنهض به بل قد نلتقي في التاريخ بحقائق تنقضه، فان أوقات الثورات والانقلابات تستفز المشاعر وتهز النفوس هزاً عنيفاً وتحرك أوتار القلوب وتنبه رواقد العزائم وتستجيش هوامد الهمم فتقوى الخواطر وتتفتح العقول وتشجذ الاحاسيس ويتبع ذلك ظهور نوع من الادب الحر القوي المفعم بالرجولة، وكثيراً ما كانت أيام الحروب والثورات مبعثاً لجلائل المبتكرات وأنضج ثمرات العقول، وقد كان القرن السادس عشر مثلاً من القرون الفاصلة بالثورات وضروب الحروب المذهبية الدينية والمعارك السياسية الاجتماعية والمجادلات العلمية الادبية وكان في نفس الوقت عصر نهضة جم جماعها وقاض معينها وناهيك بقرن يحشد فيه من أعيان الانسانية واقطاب الفكر أمثال لوثر المصلح ورافائيل وميشيل انجلو والشاعر اريستو والكتاب موتين والعلامة لاراسموس ومن العلماء أمثال جاليليو وكوبرنيكس والفيلسوف فانيي وغيرهم من أساطين الفكر وجبابرة العقول وقد اتعمشت في ذلك القرن فروع الحياة الفكرية جميعها ووجد كل فن معبراً عنه وممثلاً له وكانت ايطاليا حينذاك بخاصة من بين دول أوروبا ممزقة الاوصال مصدوعة الوحدة مسرحاً للفوضى والجرائم المنكرة وأفاعيل القسوة ولكنها كانت في عين الوقت استاذة أوروبا وحاملة لواء الحركة الفكرية وقد نهضت المانيا نهضتها الادبية العظيمة في اوائل القرن التاسع عشر وهي في ظروف عصيبة وعهود عاصفة وكانت مبعثرة الشمل منتثرة الاجزاء مجروحة العزة القومية وقد أتم فيلسوفها الكبير هغل كتابه « ظاهرة العقل » ومدافع الجيوش النابليونية تدوي في أذنيه وقضى فيلسوفها نخت نجبه وهو يذود عن وطنه وبشيرة حمية تلامذته وأتباعه ، وقد قويت في ذلك الوقت النهضة الفكرية في المانيا فمن مذاهب فلسفية عظيمة كأروع ما عرفت الفلسفة ومن آراء طريفة في التاريخ والنقد الى نظريات أصيلة في اللغة والعلوم، وقد كان عجيباً ظهور تلك النهضة الرائعة في المانيا التي صرعتها الحوادث وأساء اليها الدهر ولكن أوقات الاضطرابات والثورات من شأنها ان تهد

القلب وتحرك رواكده وتبتعث كوامنه فيظهر من النفس كل خفي ويكشف كل كنز دفين وتتفتح
 أزاهير الروح الداخلية وتخرج منها المبتكرات العظيمة والمنشآت الفنية الخالدة كما خرج هذا
 العالم الديني من جوف الخواء القديم والقوضى السالفة، وكان الحركة العامة الشاملة والاضطراب
 السائد والقلق المستحوذ يرهف الحواطر ويفض اغلاق النفوس فتستخو بقوتها الموفورة وتجود
 بثرائها الجلم المدخر، ولئن كانت حياة الدعة والاستقرار تريح الفكر وتمنحه الهدوء إلا أنها تغله
 وتخصمه للنظم والقوانين وتحصره في حدود العرف الشائع والرأي العام الذائع، أما في أوقات
 الاضطرابات فإن العقول تجرد مراحاً تتطلق فيه كما شاعت لها طبيعتها إذ يقل ضغط الروابط
 الاجتماعية وتتحطم اغلال العرف وقبود المصطلحات وغير عجيب ان تجود تلك الازمنة بكل
 نفس ثائرة هدامة خارجة على القواعد المرعية في الدين والآداب والاساليب المتبعة في الفكر
 والمناهج المألوفة في الفن، ولقد كانت الديانة المسيحية السامية وليدة ثورة من أمثال هذه الثورات
 ونبت عصر من أشد عصور الاضطرابات. وكذلك نشأت الديانة الاسلامية خلال العواصف والفلاقل
 ولذلك جاء المتنبي والمعري في أزمنة انحلال وقد ترزلت رواصي الحياة وتداعت اركان الحضارة
 ففي عصور الاستقرار بسود نوع خاص من الفكر وفي عهود المشادة يبعث نوع آخر مغاير له،
 فأدب عصور الاستقرار يمتاز بمجودة الصناعة وحسن الصقل وبراعة الاتزان وانسجام التأليف ولكنه
 خال من الحيوية القوية والروح المتوثبة، وأدب عصور المشادة يمتاز بقوته وشدة امره وعمقه
 وغزارته وبعيد ابتكاراته وطريف مخترعاته، وفي ازمئة الاستقرار يتصور الناس ان الفن حلية على
 جيد الحياة وان الادب تسلية تقطع بها ساطات الفراغ ويزجى بها السأم وان العلم نوع من الرفه،
 أما ازمئة المشادة فيغلب على أدبها روح الجد وزعة الجهاد والبعد عن الزخارف وعدم تكلف الصنعة،
 وفي اوقات الاستقرار تسود افكار معتدلة لاشدوذ بها ولا مغالاة ولكن في أيام المشادة والافعالات
 تظهر الافكار الكبيرة وكان النفوس في تلك الازمنة تخرج عن مداراتها المألوفة فلمس شيئاً من
 اسرار الحياة المحجبة وغرائبها المستورة وتبصر لمحات من الابدية الخفية ويهبط عليها نوع من حكمة
 الوحي وقداسة الالهام ويظهر في تلك الفترة الجليل والسخيف والرائع والمضحك وتجلى المتناقضات
 والحوارق والمعجزات وتبرز جوانب الروح المختلفة ونواحيها المتناقضة وقد ظهرت في العصر الذي
 ارسل فيه المتنبي حكمه الخالدة في مسمع الايام حماقات الشاعر ابن سكرة وسخافات ابن حجاج
 وعهود الاستقرار عهود اتران وانسجام نفوس اهلها هادئة مطمئنة غير مأخوذة بروعة
 المجهول ولا سكرى بنشوة الجهاد والمكافئة، ولتوضيح ذلك سأوازن بين شاعر يمثل عصرأ من
 عصور الاستقرار النسبي كالبحتري وآخر يمثل عصرأ من عصور المشادة والقلق مثل المتنبي،
 والبحتري والمتنبي شاعران متناقضان في كل شيء، البحتري رجل حضارة فهو سلس الطباع
 غير ناغم ولا متسخط والمتنبي نائر الطبع غير مستقر النفس، والاول مجييء في عصور الاتزان

وقد استفادت الحضارة واسبغت ظلها . والثاني لا يقبل الى الدنيا الا في اوائل الحضارة او في نهايتها ، في ثورة التكوين او في اضطراب الانحلال ، والبحري أتى صياغة وأرشق معرضاً ولكن المتنبي يذهلك عن هيئات أسلوبه ويعيوب فنه بقوة روحه وشدة طبعه ، وقد ظهر الاول والخلافة لم تذهب بعد هيتها ولم تعصف العواصف بقوتها فكانت شخصية الخليفة تستغرق كل الشخصيات وتنف عليها وتبسط ظلها فوقها . ولكن الثاني جاء في وقت ملكيات محدودة متعددة الاشياء والنظائر فنمت شخصيته ولم تجدد قوة تصدها وهزمها ولذا ترى الاول يتناسى شخصيته ويفنى في شخصية ممدوحه بينما المتنبي يفيض على ممدوحه من صفات نفسه وشمالها وتنسج له حلة من خياله ، والاول كالبحيرة الصافية تحرك علية النسائم عذب مياها وتحدث بها موجات لطيفة هادئة . والثاني كالبركان النائر يقذف بالحجم المستعرة ويغلب عليه الألم الدائم والشكوى المستمرة وسوء الظن بالبشر والتقلب بين العطف القوي عليهم والكره الشديد لهم والبحري ناعمة بالملك نشوانه عامرة بالذات اوقانه وأحدهما نفس وادعة مطمئنة والثاني نفس متحرقة لا تأوي الى ظل من الامن ولا ترد مترع الراحة وترى في شعر كل منهما صورة من عصره ، فالبحري ينظر الى الاشياء القرية المنال الدانية من الفهم ويتجنب كل ما يحسر الفكر ويكد الذهن ويراعي في شعره موازنة عجز البيت بصدره ويدخر الكلمات الرشيقة والالفاظ الطلية ليقفل بها القافية ويحاول ان يوجد توازناً ملحوظاً بين الفكرة والتعبير عنها ويقدر لذة الاذن ومتعة السمع فيتخير الالفاظ الرقيقة المهدبة ويطرح الغريب الوحش والحشو والزوائد في شعره بلاغة وبراعة وتنخله موسيقية هادئة منسجمة وأوضح صفاته التناسق والسلاسة لا الحرارة وقوة الروح وعبقريته عبقرية مترنة وليست عبقرية متفحمة جريئة كعبقرية المتنبي ، وعواطفه هادئة لا تترأى الى الحدود البعيدة والغايات القاصية فهو رجل بلاط قبل كل شيء ولوع بالزينة والتظرف وانتقاء العبارات السائفة المقبولة ، وهو يحبس في نفسه مشاعر ويكظم فيها اهواء ولا يرضى الوجود والحياة لسكل فكرة تمر بخاطره وعاطفته تخرج بنفسه وأما يتناول الافكار التي اقرها المجتمع واصطلح عليها العرف حتى لا يصطدم بمذهب ولا يستخف معتقداً ، وانك لتلمح في استهانة المتنبي بأوضاع اللغة وشذوذه عن القياس مع طول باعه وتضلعه من العربية صورة واضحة عن فوضى عصره وشذوذه ولكنك تسمع خلال شعره نبضات قلب كبير وزعزعات روح طموحة لم تلن ولم تذلل وهو يأخذ الحياة مأخذ الجد فلا يكثر في شعره من التجميل والزخرف ولا يجري وراء المحسنات والمرققات ولا تفارقه في شعره تلك النظرة الاخلاقية النافذة التي امتاز بها عن سائر شعراء العربية والتي هي اساس فلسفته في الحياة وخلاصة تأمله الطبيعة البشرية ، وخلاصة القول ان البحري مثل صادق واعموذج تام لادب الصنعة والزخرف الذي يظهر في عصور الاستقرار كما ان المتنبي خير عنوان لادب القوة والابتكار الذي يسود في عصور المشادة والقلقل والاضطرابات

الدستور

والنصراة المزمعة

للمنيسى المقرسى

استاذ الادب العربي بجامعة بيروت الاميركية

إن من يعرف الشرق العربي قبيل الدستور يعرف ما بلغه من الاختلال الاجتماعي والاقتصادي . فسياسة الحكومة الخرقاء والدعايات الاجنبية المختلفة كانت من افعل الوسائل لتوسيع شقة الخلاف بين ابناء البلاد حتى اصبحت البغضاء الطائفية مستحكمة الحلقاات وكثيراً ما كان ذلك يفضي الى « حوادث » دامية وشرّ مستطير . ومهما نحاول تخفيف الامر فلا سبيل الى انكار ما كان في العهد الحميدي من حزازات بين الاكثرية والاقلية ، بل بين الفروع التي تنتمي الى كلٍّ منهما . وفي ذلك يقول سليمان البستاني وهو عثماني صميم ومن الذين خدموا الدولة نائباً ووزيراً « لم يكن من مصلحة ظلمة الاستبداد في الحكومة الفائرة ان يؤلفوا بين القلوب اذ كانوا يعتقدون لجهلهم ان وفاق الامة يدك ماقل صولتهم »^(١) والى هذه الحال يشير بطل الانقلاب نيازي بقوله من خطبة القاها في جمعية الاتحاد والترقي وذلك قبيل اعلان الدستور^(٢) « تعلمون ان سفالة الحكومة وجبنها وهونها صيرتنا سخرية بين الناس والذي يجب ان نقوم به لقاء الحكومة ولقاء مؤامرة اوربا على تقسيمنا هو ان نثبت فعلاً في ثورتنا هذه اننا نحب المسيحيين كاخواتنا ونساوي بينهم وبيننا . فليست ثورتنا ضد الاشخاص والعناصر بل هي نهضة ضد اصول الادارة التي اوقعت العداوة بيننا وبين اخواتنا في الوطن . فنيازي هنا يصرّح بهذه الحقيقة المؤلمة ويعزو اللوم في ذلك الى سوء الادارة من جهة والى سياسة المستعمرين من جهة اخرى . ولقد يصح ان نستثني مصر لما كانت تتمتع به من حرية اجتماعية بعد الاحتلال . على ان سائر البلدان العربية ولاسيما سوريا كانت — كما هو معروف — تتخبط في دياجير التعصب

(١) كتابه عبرة وذكرى (١٩٠٨) ص ١٠١ (٢) من تأملات نيازي راجع المورد الصافي ١ — ٦٤

وتقاسمي منه الاهوال . فلا عجب اذا رأينا السوريين واللبنانيين يهاجرون الى وادي النيل او يضرّبون في آفاق الارض سعياً وراء الرزق والحرية . وقد اصاب حافظ ابراهيم اذ قال في وصف هؤلاء المهاجرين (١) —

لم يحممهم عَلمٌ فيها ولا عددٌ سوى مضاء تحامى ورده الثوبُ
لهم بكلّ خضمٍّ مسرب نهج وفي ذرى كل طودٍ مسلك عجب
ما عابهم انهم في الارض قد نثروا فالشهب منثورَةٌ مذ كانت الشهبُ

ولا ينكر ان كثيرين من العقلاء كانوا يرغبون في الحسنى . وفي القضاء على هذا الاختلال الاجتماعي المؤذي ، لكن السياسة على ما يظهر لم تمكّنهم من ذلك فلما أعلن الدستور ونودي في الناس بالحرية والمساواة والاخاء زال الضغط فجأة عن الصدور حتى رأينا من غريب المشاهد ما كان له اثر عميق في ادب ذلك العهد . زعماء الطوائف يتعانقون في الساحات العمومية ويتعاهدون على المودة الاخوية . قال الدكتور هورد بلس من خطبة له القاها في الجمعية الجغرافية الوطنية باميركا (في ١٨ ديسمبر ١٩٠٨) ذاكرًا تلك الحال في بيروت — (٢) « فأطلقت حينئذ الحرية في المدينة ولم يعد الناس يتماكبون ضبط نفوسهم عن اظهار بهجتهم — والناس الذين قضوا السنين القارية والعداوة بينهم مستحكمة صاروا الآن اصدقاء اعزاء في الحفلات والمجتمعات وصار رؤساء الدين من المسيحيين والمسلمين يتضامون ويتعانقون . قطعت الاغصان من الاشجار وآتي بالبسط من المنازل واكتظت الشوارع بالناس فكانوا يضيفون اخوانهم الذين فقدوا صداقتهم زماناً طويلاً . وكانت امارات المودة والالفة ظاهرة في كل مكان حتى بين الرعاع وذوي الجرائم »

ولترك لاديب بيروني معروف وصف مشهد من هذه المشاهد وهو انموذج لما حدث في امم الحواضر العربية قال — (٣) « من أبهج ما رأيت من هذا الوفاق ان نفراً من شبان حي السراي (حي اسلامي) ركبوا العربات فسارت الى محلة الجسّيزة (حي مسيحي) فجذبوا عهود الاخاء مع اخوانهم المسيحيين بعد ان ابلاها الجهل ورجال السوء . هناك تاخى الفريقان وتحابّب القميلان وعلموا ان العثمانيين جسم واحد تديره روح واحدة »

ويذكر هذه الشهادة ما ذكرته مجلة الهلال عن بيروت اذ قالت (٤) — « اظهر اهل بيروت بعد اعلان الدستور ما ادهش العثمانيين من الاتحاد والحرية الشخصية وصحة المبدأ . فقد كان أهلها اول من تصافح فيهم الشيخ والقسيس . واطهروا في اثناء انتخاب النواب لمجلس الامة

(١) من قصيدته الشهيرة (لمصر ام لبّوع الشام تنتسب) (٢) راجعها في المقتطف ٣٤ — ٣٥٠

(٣) مصطفى الفلايبي في لسان الحال ١ آب ١٩٠٨ (٤) الهلال مج ١٧ — ٤٩٦

استقلالاً في الفكر واتحاداً في الكلمة. ولما وثب بقية حزب التقهقر بجمعية الاتحاد والترقي بالاستانة كانوا في مقدمة الناقلين على الوائين. وقاموا يؤيدون الدستور بخطبهم ورسائلهم. وعثروا على بعض الجواسيس يسعون في التفريق بينهم فقبضوا عليهم. وجدّدوا الوفاق بين طوائفهم. وقالوا اذا تباضت الطوائف في كل المملكة فنحن متفقون في نصرة الدستور الى آخر بسمة من الحياة « وللشعراء في هذا الوفاق وفي الحضر على نبذ التعصب القديم قصائد كثيرة تجتري منها بعض مقطعات على سبيل التمثيل. فمن ذلك هذه الايات (١)

قد صرتم امة في الارض واحدة من آل عثمان لا عرباً ولا عجماء
فلا تفرقكم احيالكم فرقا ولا تقسمكم اديانكم قسما
كم قيدوكم بها اسرى وكم سفكوا دماءكم او احلوا فيكم النقا
واليوم جرد سيف الحق صاحبه وهاجم الظلم حتى فر منهزما
تعاقد الشيخ والقسيس واصطحبا من بعدما افترقا ضدين واختصما
تآخيا في حمى الدستور واتحدا ورفرفت راية التوحيد فوقهما

وهذه النغمة تسمعها في بيروت كما تسمعها في دمشق وبغداد وسواها. فمن دمشق مثلاً قول أحد أدبائها (٢) من قصيدة : —

أيها الشرقي قد بلغت ما كنت ترجوه فهل ثم خلل
فانيد البغضاء والحقد ودع كل ما فيه فساد وزغل
كل من في الشرق اخوان فلا فرق بين الخلق من كل النحل

ومن العراق قول شاعره (٣) —

أكرم بعصر حباننا بالمساواة وخصنا بالتهاني والمسرات
عصر به قد تآخينا فليس ترى بعد الأواء طريقاً للعداوات

والذي يظهر من مراجعة النقات الدستورية ان هذا الشعور الأليم بمساوي التعصب الديني كان أبرز في الشعر السوري اللبناني منه في سائر الاقطار العربية. ولعل من أسباب ذلك أن مسألة « الاكثرية والاقلية » لم تبلغ في مكان ما بلغته في الاقطار السورية. فصر كما ذكرنا كانت تحت نفوذ الاحتلال، والعراق قطار اسلامي لا قوة للاقلية فيه وبالتالي لا تنافس طائفي موجب للبغضاء. وان كان شيء من ذلك في ذلك الحين فيبين المسلمين أنفسهم من سنية

(١) من قصيدة لنقولا رزق الله الهلال ١٧ — ١٧٢ (٢) محمد شاعر ياسين: شيخو ٢ — ١٦٥

(٣) من قصيدة: راجع شيخو ٢ — ١٦٤ (ولم نجد لها في ديوان الشاعر)

وشيعية . ولم يظهر في الشعر العراقي من إشارة الى احتكاك المسلمين بالمسيحيين إلا في عهد الانتداب ، كما رى في قصيدة وجهها الرصافي الى المسيحيين ومطلعها ^(١) —

أما أن أن تُنسى من القوم أضغان فيبني على أس المساواة بنيان
علام التعادي لاختلاف ديانة وإن التعادي في الديانة عدوان
إذا جمعنا وحدة وطنية فإذا علينا أن تعدد أديان

وهي طويلة وتشف عن خوف العراقيين من السياسة العاملة على هدم السكبان القومي بالتفريق بين طوائفه . وسنرجع الى ذلك بعد

أما سوريا وبنوع خاص منطقتها الساحلية التي تشرف عليها جبال لبنان فقد كان التنافس الطائفي فيها على أشده ، وكانت دائماً أكثر تعرياً للدعائيات الأجنبية وأكثر اختلاطاً بالحضارة الغربية . فنشأ عن ذلك ضغائن ووقائع دموية كان لها أثر عميق في النفوس . فلا بدع أن رى الشعر السوري واللبناني في ذلك العهد أشد تهجاً على التعصب الديني وأكثر ترحيماً ورجاء بالعهد الجديد . وقد حملت النشوة الدستورية بعضهم على الخروج عن جادة الاعتدال . فلم يقفوا عند حد التهليل بالأخاء والدعوة الى نبذ الاحقاد ، بل تجاوزوه الى درجة التطرف فصاروا يعززون الى الدين ورجاله كل أسباب التعصب والشقاق ، ويرجعون اليهم كل ما أصاب الشرق من البلايا الاجتماعية ، كقول احد شعراء المهجر ^(٢)

ولمي ليوهيني تقسم أمتي بأديانها والشر بين المذاهب
متى ينتهي كهاتنا وشيوخنا فنخلص من حياتهم والعقارب
شقيناً لنمهم وراحتهم فهم يسوقوننا كالعيس نحو المعاطب
فما الدين إلا نسخة بعد نسخة يزخرها للناس أهواء كاذب

وفي الشعر الدستوري كثير من مثل هذا التطرف (ومعظمه في الاوساط المسيحية) . فلا عجب اذا رأينا رجال الدين ينكرون ذلك ويقاومونه كما فعل الاب لويس شيخو في كلامه على الحماسة الدستورية إذ قال ^(٣) . « وأسوأ من هؤلاء (أي المبالغين والمتهوسين) أولئك الذين توسلوا بالدستور فاستباحوا في شعرهم ذمار الدين وانهكوا حماه ونجسوا حق ممثليه . فترى هذا ينسب الى الدين كل الشرور وأسباب النفور ، والدين كما لا يخفى يأمر بالأخاء والنحابة

(١) ديوانه (١٩٣١) ١٥٠ (٢) ابو الفضل الوليد في «أزاريذ وعواصف» ٤٠ (٣) آداب القرن التاسع عشر ٢-١٦٨

وغيره يدّعي أن الدين لا دخل له في العمران وأنه من المسائل العرضية (كقوله)
 خلّ قسّي وشيخكم في جدالٍ وأحك لي في المسائل الجوهرية
 وإذا ذكر الذين حُكم عليهم بالظلم وقت الاستبداد تعجّب أنهم لم يكرّموا كآلهة
 مثل السيد المسيح

مات عيسى فاللهة أُلوف وأُلوف ماتوا وراحوا ضحيّة
 « ويجعل آخر كلّ الأديان متساوية وكلها صحيحة » ... الى ان يقول .. « فنشددكم الله
 ايها الشعراء صونوا قرائحكم من كل امتهان ولا تبذلوا موهبة جاد بها عليكم المنان »

ولا بدّ لنا من القول ان هذه الحرب التي اثارها الشعر الدستوري على التعصب الديني قد
 احدثت شيئاً من التقارب المنشود، لكنه لم يكن ثابت الاركان . فظلت الطائفية اساس الاجتماع
 والسياسة في البلدان العربية . وظلت مسألة الاكثرية والاقلية عقدة من العقد المستعصية ، حتى
 في مصر حيث كانت السلطة الاحتلالية تقوم بدور الحماية لحقوق الاقليات . ففي سنة ١٩١١
 عقد الاقباط في اسبوط مؤتمراً عاماً للمطالبة بامور تتعلق بطائفتهم ^(١) وازاء ذلك عقد المسلمون
 مؤتمراً في عين شمس ^(٢) ومن بواعث الرضي ان جوّ المؤتمرين كان مشبعاً بروح الوئام . الا ان
 المدقق في البواعث على انعقادها لا يسمعه الا ان يرى شبح الطائفية فيهما ماثلاً للعيان . وكذلك
 كان هذا الشبح في سائر الاقطار العربية

فالدستور أُرهِف الشعور الاخوي بين الطوائف حيناً ، وفتح للاحرار باب التهجّم على
 التعصب ، حتى ظنّ كثيرون ان اسباب الجفاء الديني قد زالت من الشرق العربي ، وان ابناء
 الشرق ، على اختلاف نحلهم ، سينعمون في ظل العثمانية الجديدة بعهد جديد تنقلب فيه روح
 الوطنية الحرة على النعرات الدينية الهدّامة . والحق يقال ان الشعر العربي لم يتصرّف في الدعوة
 لهذا العهد الجديد ، ولم يأل جهداً في اثارة النفوس للتخلص من قيود الاوهام وبما ورثته من
 سخائف القرون المعروفة بقرون الظلام . لكن تلك النعرات على ما يظهر كانت أرسخ من ان
 تستأصلها الثورات الكلامية ، فعادت الى الظهور ولا تزال الى الآن تعمل عملها في حياة الشرق
 الاجتماعية والسياسية . وسرى انه قد ظهر بعد هبة الدستور هبّات اخرى هي ابصاراً أرهفت
 الشعور القومي وأهابت بالشرقيين الى الاخاء والوئام . على ان عوامل التفريق لا تزال تعمل
 في الشرق عملها المعيب ، ولا يزال الشرق برغم الجهود المبذولة بعيداً عن هدفه الوطني المنشود

(١) الهلال ١٩ - ٥٠٦ وكان كاتب هذه السطور من اتّبع له حضور هذا المؤتمر

(٢) » ١٩ - ٥٠٧

﴿ بعد النشوة الدستورية ﴾ حاولنا فيها سبق ان نؤرخ العواطف العربية بوصفنا الاثر الذي أحدثته الدستور لاول وهلة في نفوس العثمانيين ولا سيما ابناء الشرق العربي . وقد رأينا كيف برز الشعر في مفتتح العهد الدستوري بحلل قشبية من الحماسة سداها الامل ولحمها الاستبشار . على انه لم يظل كذلك طويلاً . فلم تكدمر سنة على اعلان الدستور حتى رأينا كثيراً من النفقات الشعرية مصطبغة بألوان قائمة من الاشفاق والحذر . ولو تحررنا الاسباب لوجدناها متباينة الاصول . فمنها نفسي ومنشأه ذلك التراخي الذي يعقب عادة شدة الانفعال او الثوران العصبي . فخذ الغضب مثلاً فهو يثير النفس ويشعرها موقناً بشيء من القوة ، لكنه لا يلبث ان يزول ويعقبه « رد فعل » مقترن بالضعف والهبوط . ومثله الاغراق في الجبور او الحزن والامل وما الى ذلك من الظواهر النفسية . وذلك ما حدث في الهبة الدستورية . فقد كان الشعر على اثرها متواتراً شديداً الحماسة ثملاً يترنخ بخمرة الاغتيال . فهزج ورقص وصخب ما شاء . ثم عراه في بعض الاوساط هبوط تدريجي التي عليه مسحة من التشاؤم

ومن اسباب هذا التشاؤم خيبة الامل في النظام الدستوري . كان الناس يرجون من الدستور المستحيل . يرجون منه ان يقلب الاحوال ويغير الطباع وان يهيء لهم فجأة اسباب التقدم والسعادة . على ان النظام وحده غير كاف ، ولا بد من اتحاد الزمن والعلم والاخلاق للوصول الى الغاية المنشودة . وكما ان الشجرة لا تنمو الا اذا تهيأت لها اسباب النمو ولا تثمر الا متى حان الاوان ، كذلك كل دستور . وما على القايمين به الا تعهده بحكمة واخلاص ، وتدريب الناس تدريجاً منظمًا على السير بموجبه والعمل بمقتضياته . ولا شك في ان العثمانيين عموماً لم يكونوا على استعداد كاف للحياة الدستورية . وقد ظهر في تطبيقه نقائص لم يكونوا يتوقعونها مما اثار في النفوس احساسات معكوسة ظهرت في الادب بمظهر الحيرة والفشل

واذا عرفنا ذلك عرفنا الدافع الى قول جرجي زيدان بعد زيارته لسوريا ولبنان عام ١٩١٠ مشيراً الى التشاؤم المستحوذ على بعض النفوس . ومخبراً من البادي في ذلك ^(١) « وطائفة تعجبت استثمار الدستور فهي تريد ان تصير المملكة العثمانية التي قضت قرنين في حال الاحتضار وقد نضبت مالياتها وأجدبت أرضها وأظلمت مدنها وتحررت طرقها وشوارعها وفسد كل شيء فيها حتى اخلاق أهلها . واختل نظام اجتماعها وفرق التعصب بين طوائفها ومذاهبها — تريد هذه الفئة من المنتقدين ان تصير هذه المملكة في سنتين مثل أرقى ممالك أوروبا وهذا مستحيل » فقد أدرك زيدان يومئذ ما كان يشعر به الناس عموماً من سوء الظن بالحكومة الدستورية وخيبة الامل بما أعلنته من الاصلاح ، فلم يحارهم في النقد بل رأى التريث والصبر أولى وأضمن

للوصول الى الغرض المقصود . وقد شاركه في ذلك كثير من المفكرين . الا ان بعض الشعراء لم يستطع الصبر على هذه الحال فاندفعوا في سبيل التهم والانتقاد ، كقول الرصافي من قصيدته شكوى الى الدستور (١)

فهل أيها الدستور تسمع شاكياً بك اليوم يرجوان يرى نهضة الشرق
لقد جئت من أفق الصوارم طالماً علينا طلوع الشمس من منتهى الأفق
فصادفت مناً أمة قد تعشقت لقاءك حتى جاوزت مبلغ العشق
وظلنا نرجسي منك للخرق راقعاً ولكن تراخي الامر متسع الخرق
وقول الشاعر القروي في البرازيل (٢)

جاءت فكبرنا وشق هتافنا قلب العنان تيمناً بالجائي
ودعا الفقير لها وسماها أخو البؤس الشديد بأعذب الاسماء
حتى اذا فتر التحمس وانجلي صبح الحقيقة عن دجى الضواء
نادى فلم يجد النداء ودعا ف لباء غير تجاوب الاصداء

ولولي الدين يكن قصيدة موضوعها (الاسترقاق في أيام الحرية) صدر بها أحد فصول كتابه الصحائف السود سنة ١٩١٠ . وفيها يقول عن الحرية

تشتاق في عزها ذويها وحصنها دونهم حصين
حاتم هذي القيود تبقى يارب قد كالت المتون

وقد عبّر عن عواطف كثير من الناس حين قال على طريقته الشعرية النثرية (٣)

« قلت حين نبذوا لنا جيفة الدستور : نؤازر هؤلاء القوم القائمين فينا بالامر . ربما أصابوا من حيث لا يشعرون . وكم رمية من غير رام . وقلت اطمئني أيها القلوب واسكني يائثرات النفوس . ووقف اخواني العثمانيون يتفرجون فما راعنا الا مذابح وفتن ، وغارات تتلوها غارات ، وصخب وضجيج ، يننا نواب الامة يتجاذبون أطراف الفوائد كل يريد ان يسمّن كبشه » ثم يقول « اخواننا الذين يظلمهم الدستور العثماني لا قبل لهم بمعارضة الحكم وهم معذورون . ثم شفار أرهفت ، وسيوف سلّت تقتطف الرقاب كما تقتطف الثمار »

ويبلغ به التشاؤم مبلغه في هذين البيتين (٤) مخاطباً رجال الدولة
أفلا يزال السوط حاكمكم وأبو السياط يلدز ذهاباً (٥)

(١) ديوانه (١٩٣١) ٣٧٥ (٢) الرشيديات (سان باولو ١٩١٦) ٧١ (٣) راجع كتاب التجارب (١٩١٣) ٢٥٢٤ (٤) راجع كتاب التجارب (١٩١٣) ٤٢ (٥) اشارة الى انقضاء العهد الحميدي

ونقول أحرار فتمدحكم لا حرّاً فيكم . كلنا كذبا
على ان أهم ما يذكر له في هذا الباب قصيدة موضوعها « بين أنقاض الوطن » قالها يصف
حال الدولة وما وصلت اليه على يد الدستوريين وهي تنيف على الستين بيتاً^(١)

حلمنا بشيء وانتبهنا بضدّه وما يجتني من كاذب الحلم حلمٌ؟
أقيم بناءً بالعراء على شفا ولم تقو أساس له ودعائمُ
فما ظنّ منه قائماً فهو مائلٌ ومن ظنّ منهم بانياً فهو هادمُ
وأربعة^(٢) مرّرت ولم تحلّ لأمري تهادت على الاقطار وهي سمامُ
تعوّض بأساً من غدا وهو آملٌ وشام يقيناً من سرى وهو واهمُ

ومثلها تشاوماً وسخطاً قصيدة موضوعها « التعصب يخرج الحرية من ديارها » . قالها حين نفى
الحكام جميل الزهاوي من بغداد ومطلعها « اسيرٌ بدار الظلم اعياء أسره » وفيها يندد بالجور
والتعصب ويلوم اولي الامر على انتهاك حرمة الدستور . وهي تبلغ ثلاثين بيتاً ويتجلى لك
روحها في قوله^(٣) —

أحين هوى عبد الحميد بعشره وغبره بالذم في الناس غابره
يقوم اناس يستعيدون عهده وفيما نيازي قائم وعساكره
ألا لا ترجي العدل والعدل دوتنا موارده بحمية ومصادره
تجلى زماناً ثم لم تبسم لنا اوائله حتى استسرت اواخره

فولي الدين ينسب الى الاتحاديين الاستبداد بالامر والضغط على الحريات مما يجعل
الدستور نظاماً أجوف لا خير منه . وقد يقال ان هذا الشاعر عصبي المزاج يميل الى سوء
الظن فيبالغ في نقده سيئات الدستوريين . على انه لم ينفرد بذلك والذي يراجع ادب ذلك
العهد يجده مشبعاً باليأس والمرارة . او على الاقل مصطبغاً بصبغة عدم الرضا كما ترى في مقال
لرفيق العظم موضوعه الاحزاب في الامة^(٤) ينتقده الاتحاديين واستثنائهم بالسلطة النيابية
فيقول — « ان الاحزاب في البلاد الدستورية كالقواعد التي يشاد عليها بناء الدستور . ولا
يمكن لقاعدة واحدة ان ترفع ذلك البناء . فهل لاخواننا الاتحاديين ان ينعموا في هذا الامر
قليلاً ليعلموا ان القوة لا تبلغ بحزب واحد يحمل ذلك البناء الثقيل بازاء امة جامدة مثل هذا
الجمود الخفيف . فهي في حاجة الى من يسوقها الى ميدان السياسة ويرشدها الى فضيلة الحكم

(١) راجعها في التجارب ١٠٨ (٢) أربعة اعوام مرت على اعلان الدستور (٣) راجعها في

التجارب ١٩ (٤) المورد الصافي ٢ — ٢٤٢

الدولي ألا وهي الاحزاب فانها هي التي تتولى تمرين الشعب على ذلك الحكم وتشويقه اليه لتكون يدأ واحدة في المحافظة على الحرية والدستور» وهذا الكلام كلام عارف بأحوال البلاد مطلع على دخائل الامور. نعم ليس فيه لنوع ولي الدين ولكن فيه ما يشير الى الاسباب التي اثارت كوامن نفسه الحساسة ومن المنتقدين من رأى الحلل في الشعب نفسه لا في القائمين باصلاحه او المتولين لشؤونه فن الاجحاف عندهم ان تلقى كل التبعة او معظمها على عاتق الذين احدثوا الانقلاب وتولوا الاحكام. وان يعزى اليهم وحدهم هذا الفشل في تطبيق النظام. وعلى ذلك يقول الاستاذ الدكتور فيليب حتي من خطبة له موضوعها من الموم^(١) — «ما لنا قائمة قيامتنا ابدأ على حكومتنا ورجال الحكم فينا ولا لوم على هؤلاء ولا تريب. انما اللوم كل اللوم علينا نحن كامة اذ ان الاحكام ليسوا الا بعض افرادها يرتقون بارتقاءهم وينحطون بانحطاطها. يقولون الداء اختلاف العناصر والدواء اثتلافها وامتزاجها — يقولون الداء «المركزية» والدواء توسيع المأذونية والسلطة الادارية — يقولون ويقولون والواقع غير ما يقولون. الداء الحقيقي هو جهلنا حقائق الامور وانحطاطنا علمياً وأديساً كأفراد وبالتالي كجموع، والدواء التهذيب الحقيقي. وما الضعف القومي سوى عبارة عن مجموع الضعف الافرادي. اتنا في حاجة الى تهذيب عام يشمل الفتيان والفتيات — حاجتنا الى مبادئ قومية الى آداب حصينة — الى رجال». وتصف لنا الشعور نفسه قصيدة للمؤلف موضوعها «العامّة في الشرق» وقد نظمت على اثر بعض الحوادث المؤسفة عام ١٩٠٩ ومنها^(٢) —

سلانك (٣) حي الجند عنا وسلمي عليهم سلام المستهام المتيسم
وهبت لنا الدستور منك تكراً وما نحن اهل للعطا والتكرّم
ضجيج وأوهام هو الشرق كله فهل من فعول في الشدائد مقدم
يقولون ان الشعب في الشرق حاكم وربك ما السلطان منه بأظم
أنبروا أنبروا الجاهلين فاننا بني الشرق نسري في الظلام الخيم
أنبروا أنبروا الجاهلين وبشروا بدستوركم في عالم الشرق ينعم
فما الشعب بالرأي العمومي ناهض الى ذروات المجد من غير سَلَم

ومما زاد الحالة تفاقمًا والنفوس تشاؤماً ما نشأ بعد خمود الثائرة الدستورية من مشادات عنصرية بين العرب والأتراك. فبعد تلك الهبة المتفائلة التي نراها في الادب ما بين سنتي ١٩٠٨ — ١٩٠٩، والتي كانت تميل الى تعزيز الجامعة العثمانية والتباهي بها أمام الاجانب، أخذ التشاؤم يتسرّب الى بعض الاوساط العربية. فتنبّه العرب الى المطالبة بحقوقهم وصاروا يلجئون بقوميتهم ومقامهم في السلطنة وتلك هي الشرارة الاولى من النار التي تأججت بعدئذ في الثورة الحجازية ثم في الحركة القومية العربية بعد الحرب الكبرى. وسنفرّد لهذه الحركة ولائها في الادب العربي فصلاً خاصة وتقدم هنا الى كلمة ختامية في الحرب العامة (١٩١٤ — ١٩١٨) وأثرها الادبي تنمة لما نحن بصدد

(١) القاها في ١٥ ك ١٩١١ راجعها في المورد الصافي ٣ — ٢٠٥ (٢) راجعها في المورد الصافي مجلد ١ جزء ٣ (٣) سلانك هي المركز الرئيسي للانقلاب الدستوري

حضارة الميثانيين

بقلم قبصر صادر

عضو الجمعية العاديات السورية

لا ندحة لمن اراد ان يتتبع تاريخ الحضارة الحثية في سوريا الشمالية من اب يلّم بتاريخ سائر الحضارات التي ازدهرت بجانبها لارتباط بعضها ببعض الى حد كبير ونخص منها بالذكر الحضارة الميثانية التي لا تكاد تذكر في بطون التاريخ الا لما لا احتجاجها وراء طيات متراكمة من الاسرار والادهار، على اننا سنحاول ان نميط اللثام عن آثار هذه الحضارة القديمة وندرسها على ضوء المكتشفات الحديثة التي أخرجها العلم للعبان من جوف الاطلال وحسرن وجهها آكام الاتربة فتوفر منها لدينا بينات لا يرقى اليها الشك ساعدت على تحديد تاريخ تلك الحضارة وتبع تطورها تدل بعض الاسانيد التي ترتقي الى فجر الالف الثالثة قبل المسيح على انه كان يُطلق اسم السوبارو على منطقة واقعة في شمالي ما بين النهرين تمتد من جبل زاخو^(١) حتى ضفاف نهر الفرات وتشتمل على حدود اشور وميتانيا^(٢) وان مشاحضات قوية كانت تقع ما بين سكان هذه المنطقة والمملكة الاكادية التي كانت منتشرة في انحاء بابل وبلوح من بعض الآثار ان الحضارة الميثانية قامت على انقاض الحضارة السومرية في هذه المنطقة وتشرّبت من اصولها . وقد دلت بعض الاسماء المنقوشة على لوحات عثر عليها في خرائب أور وسامرا على وجود عنصر اسيوي بجانب العنصر السامي الاشوري في شمالي شرقي بابل منذ الالف الثالثة قبل المسيح ويبدو لنا هذا العنصر أشد قوة وأكثر انتشاراً في الالف الثانية اذ نلاحظ اشتقاق كثير من الاسماء من لغته الصعبة وقيام المملكة الحورية الميثانية في تلك المنطقة على سواعد ذاك الشعب الاسيوي

﴿ خارطة المملكة الميثانية ﴾ ان المملكة الميثانية التي كانت تعتبر من اهم المواقع السياسية في تاريخ الالف الثانية ق.م كانت تحد قديماً بضفاف النهرين اي الدجلة والفرات ثم اتسعت غرباً حتى بلغت شواطئ العاصي وقد كانت عاصمة هذه المملكة «واشوكاني» التي يعين العلامة الاثري

(١) Zagros زاخو سلسلة جبال قائمة في القسم الأدنى من اسيا يتألف منها الحد الغربي لمرتفع ايران وهي تمتد من تخوم كردستان حتى حدود بلاد العرب والقرص ويبلغ علوها ٤٧٠٠ متر في قمها العالية تقطنها اليوم عشائر كردية ولورستانية وبختياربة (٢) راجع مقال الاستاذ تورودانجان العالم في الآثار الخفية المنشور في مجلة سوريا Syria العدد الثاني عشر عام ١٩٣١

المسيو هروزني موقعها في رأس العين على ضفة الحابور . وكانت هنالك مملكة حورية متاخمة لها او بالحري مدغمة بها في كثير من العلاقات والشؤون وكانت قاعدة هذه المملكة الحورية اورفه على ما يُعتقد وكانت مقدرات هاتين المملكتين مرتبطة بحكم الجوار ارتباطاً وثيقاً بعضها ببعض ولا سيما ما يتعلق منها بتعزيز الدفاع عن تخومها حتى ان الاشوريين لم يفرقوا بينهما فأطلقوا عليهما اسم مملكة هانيجلباد . على ان هذا الارتباط بين المملكتين لم يدم طويلاً فبينما نرى المملكة الميثانية آخذة بالاتساع والسيطرة على مرور الاحقاب ، لا تكاد الاسانيد التاريخية تحدثنا عن مصير جارتها التي بدأ يحبو ذكرها على ما يظهر ثم يستدل من كثرة اسماء الاعلام الحورية الواردة في ألواح كركوك^(١) وفي غيرها من الآثار المكتشفة في بلاد كنعان وفينيقيا على تشتت شمل الحوريين واندحارهم من مملكتهم خلال الالف الثانية وهجرتهم الى تلك الديار

﴿ تاريخ المملكة الميثانية ﴾ ان الكتابات الاثرية المكتشفة ليومنا بمختلف اللغات القديمة من حثية واشورية ومصرية أتاحت وضع تاريخ المملكة الميثانية منذ القرن الخامس عشر ق. م فقط بعد ان ظلت احقاباً طويلة أثرأ منسياً في غياهب الجهل ولعل الحفريات القادمة كفيلة بنش تاريخ ما قبل ذلك العهد من الارض التي طوته تحت طبقاتها العميقة منذ الوف الاعوام فليس بوسعنا اليوم اذاً غير ان نبدأ منذ عام (١٤٥٠) ق . م اذ نقف على صولة ملك الميثانيين «سوزارطابن پارسطر» الذي استطاع ان يوسع حدود مملكته ويحلب لعاصمته واشوكاني ابواباً من الفضة والذهب من بلاد اشور . وقد عثر على رسالة مبسوطة بخاتمه يباهي فيها بسيطرته على املاك واسعة في شرقي مملكته مما يستدل منه على بلوغ سطوته حتى اعالي جبال زاخو . ويؤخذ من كتابة الفرعنة ان الميثانيين بعد ان صدوا غارة الملك نخوتمس الاول في مجدو عام ١٤٨٣ ق. م ما لبثوا ان خضعوا له واستسلموا لمشيئته ثم اندحروا في حروب آخر فولوا الادبار . وروى انهم اختبأوا في الدياميس هرباً من بطش جيوشه الظافرة . وكذلك تكرر اندحارهم عند ما حمل نخوتمس الثاني (١٤٤٧ — ١٤٢٠) ق . م في اوائل عهده حملته المشهورة على سوريا وعبر العاصي متجهاً نحو قادش حيث زحف عليهم وأسر منهم (٥٥٠) جندياً — من نخبة جنودهم الاشداء الذين كانوا يؤلفون الحرس المارياني . بيد انه سرعان ما انقلبت تلك العداوة الى تحالف وصارت مملكة ميثانيا تعد في مقدمة الممالك الموالية لمصر . وقد وصف امنوفيس الثاني بالكتابة المنقوشة على المسلة الشمالية القائمة في معبد السكرنك استقباله كبراء الميثانيين الذين أتوا اليه حاملين الجزى على ظهورهم مستمدين منه نفقات الحياة باعتباره من مصاف الآلهة

ومما زاد في تعزيز أواصر الصداقة بين المملكتين على توالي الايام زواج نخوتمس الرابع (١٤٢٠ — ١٤١١) من ابنة ارتطاما الاول ملك الميثانيين . على أن رضا ملك مصر بأن يتخذ

(١) نعتي بألواح كركوك تلك المجموعة الثمينة التي اكتشفها بعثة أمريكية في يورغان تيه (العراق) سنة ١٩٢٥

له زوجة شرعية خارجاً عن الاسرة الفرعونية كان مما يثير العجب لعلنا بشدة حرص الفراغة على نقاء الدم الجاري في عروقهم . فيجمل بنا إذاً ان نبحث عن الاسباب التي حملته على هذا الزواج في ميدان السياسة فنرى في هذا القران رغبة من فرعون مصر في التقرب من الميتانيين لخطب ودهم وحلهم على مناوأة الحثيين من الخلف لاشغال هذا الشعب الباسل الذي كان ينحش زحفه على وادي النيل بعد ان جمع شمله وشكل وحدة قوية في تلك الآونة وأخذ يتطلع الى توسيع حدود مملكته جنوباً . على ان هذا القران على الرغم من شدوده في بلاط مصر عن الاصول المرعية لم يكن ميسوراً من الجهة الثانية كما يظن ، لان البلاط الميتاني كان منقسماً الى حزبين فمنهم من كان راغباً في هذا القران تقريباً من مصر ومنهم من كان راغباً عنه حرصاً على حسن العلاقات مع الجوار . ويذكر تחותس الرابع انه اضطر أن يوفد رسوله سبع مرات متتالية بطلب عروسه ويظهر أنه لم يتسن له ان يحظى بها إلا عندما رجحت كفة الحزب الاول . وقد اشترط عليه ان يجعلها مليكة البلاط الكبرى وكذلك كان . وقد عرفت هذه الملكة باسم ميتوميا وكانت كبيرة الشأن في البلاط . ويلوح من نص رسالة أخرى وجدت في حفريات تل العارنة موجهة الى امنوفيس الثالث (١٤١١ - ١٣٧٥) ق . م . من ملك الميتانيين «توزارطا» بن الملك «سوطارنا» ان هذا الاخير كان أكره على تقديم ابنته المدعوة «جبلوهيا» حظية لامنوفيس الثالث الذي احتقر مسألة تذكارية بهذه الحادثة الخطيرة . وقد جاء في هذه المسلة انه في السنة العاشرة من عهد ملكه قبل من سوطارنا ملك الهرين الكبير ابنته حظية مع حاشية بلغ عددها ثلاثمائة وسبع عشرة امرأة . فكانت ترحي المملكة الميتانية من وراء ذلك الى تأمين سلامة حدودها من جهة مصر كما كانت مطمئنة الى علاقاتها مع بلاد آشور القائمة في جوارها والتي كانت خاضعة لها تستمد عونها في الحن والحروب منذ القرن الخامس عشر . ق . م . كما تبث ذلك الكتابات المحفورة على أنصاب المدافن الاشورية التي تذكر أسماء كثير من قتلى الضباط الاشوريين المتطوعين في الجيش الميتاني تحت أمرة الملك هانيجلباد الكبير . على ان السلام لم ينجح طويلاً على البلاد الميتانية فما كاد يتوفى الملك سوطارنا حتى نشبت في البلاد الحروب الاهلية واغتال شخص يدعى بريهي ولي العهد «أرطازورما» فاعتلى أخوه «توزرطا» العرش مكانه وكان حازماً فاستطاع ان يجعل رعيته تخلص الى السكينة وأعاد الى البلاط الطائفة بعد ان انتقم من قتلة اخيه في عاصته واشوكاني . بيد انه لم تتسن له السيطرة على المملكة كلها فانقسمت البلاد على ذاتها ونازعه أخوه الثالث المدعو «ارتطاما» الملك على مقاطعة الحوريين التي استولى عليها بمساعدة الملك الحثي «سيبلوليوما» فسرعان ما استحكم العداء واشتدت المنافسة بين الاخوين مما حمل ارتطاما على مناجزة اخيه للاستيلاء على مقاطعة الميتانيين نفسها ولكنه فشل في هذه المحاولة فشلاً ذريعاً ورجع القهقري فاغتم توزارطا فرصة هذا الاتصار وبعث بهدايا ثمينة من المغنم التي سلبها من اخيه الى امنوفيس



رأس الحيول — من الحجر البركاني الازرق يزيد عن حجم الرأس الطبيعي قليلاً وجد في
ملاحة الحيول التي تبعد أربعين كيلو متراً شرقي حلب ونقل الى متحف
اللوفر وهو يعد من أهم الآثار الميثانية [حضارة الميثانيين]



قرص شمسي مجنح من الحجر البركاني الأزرق بحجم (١٣٢ × ١٣٩ × ٣٤٠ متر)
 اكتشف في تل حلف ونقل الى متحف حلب يمثل الاله أنكيديو المشهور في الاساطير الدينية
 القديمة بكونه نصفه انسان ونصفه ثور مع رفيقه جيلجماش يسندان مظلة مزينة بزهر الاقحوان
 فوقها قرص الشمس مجنحاً على الطريقة المصرية

[حضارة الميثانيين]

الثالث فكان بينها عجلة مذهبة مع خيول مطهمة وزوجان من الحلي لزينة صدر اخته جيلوهيا. فلما درى سيلوليوما بهذا التقرب من فرعون مصر تحاشى ان يشن الغارة مباشرة على توزارطا كما كان مزماً للاخذ بثأر حليفه ارتطاما ولكنه اخذ يطوق المقاطعات السورية التي كانت خاضعة لنفوذ الميثانيين وينزعها منهم بالحنكة والدهاء شيئاً فشيئاً حتى دانت له كل البلاد الواقعة غربي الفرات. ولما شعر الاشوريون بصعف شوكة توزارطا قاموا يطالبون بخلع نيره عن بلادهم فاضطر الى التخلي عن معظم تلك البلاد ايضاً وتحاذلت بذلك صولة مملكته تحاذلاً راعياً. واتفق بعد ذلك ان بعث امنوفس الثالث في العام الخامس والثلاثين من عهد ملكه برسول الى توزارطا يطلب اليه يد ابنته «تادوهيا» فطال التداول بين الفريقين ثم انتهى بالموافقة على اعطائها وقد عثر على قائمة الهدايا التي قدمها توزارطا مع ابنته الى فرعون مصر واستوعب تعدادها ٢٣٥ سطرّاً من سطور المسلات الكبرى. ولكن امنوفس الثالث الذي كان قد شاخ ما عثم ان مرض وأشرف على الخطر وبعث يتوسل الى حميه ان يرسل اليه تمثال الآلهة عشتار من نينوى ذاك الآله الذي كان معتاداً ان يلتمس الشفاء من يده إذ يظهر من جواب الملك الميثاني الذي أرفقه بالتمثال المذكور انه سبق لهذا التمثال ان حل في وادي النيل قبل بضعة أعوام وأتى بمعجزات خارقة. فيستدل من ذلك أن البلاد الاشورية مابرحت حتى ذاك العهد خاضعة اكثر مقاطعاتها لحكم الملك الميثاني مما أتاح له أن يتصرف بالآلهة اشور المقدسة هذا التصرف الحر. على انه بالرغم من وساطة الآلهة عشتار مالبث امنوفس الثالث ان قضى نحبه فخلفه امنوفس الرابع (١٣٧٥-١٣٥٨) وزوج من ارملة الصبية تادوهيا الميثانية التي يذهب بعض علماء الآثار الى أنها نفس الملكة نفر تيقي المشهورة التي عثر على تمثالها النصفي الجليل في تل العمارنة ونقل الى متحف برلين. وهاكم مقطعاً من نص الرسالة الانيقة التي وردت على فرعون مصر من حميه مهتئاً باعتلاء العرش. «عند ماتوفي أخي امنوفس الثالث بكيت عليه أياماً طويلاً مع لبايتها وانقطعت عن الاكل والشرب حزناً على فقدانه بيد أنه عندما علمت ان ابنه الكبير امنوفس الرابع حل محله ايقنت ان أخي لم يميت واطمأنتت على بقاء العلاقات بيننا على ما كانت عليه»

﴿التحالف مع الحثيين﴾ غير انه ما عثم ان تبدل مصير العلاقات المصرية الميثانية وضعف نفوذ الحزب الموالي لمصر في مملكة ميثانيا مما أهاب بالحزب الموالي لأشور ان ينقلب عليه عام ١٣٧٠ ق.م. ويحمل ابن توزارطا على قتل أبيه طمعاً في اعتلاء عرشه ولكنه لم يكده ينشر خبر وفاة الملك توزارطا حتى اتحد ارتطاما ملك المقاطعة الحورية مع آشوربالي ملك المقاطعة الاشورية وحاولا اقتسام المملكة الميثانية. فعند تطور الحال الى هذه الخطورة نجح رئيس الحزب الموالي لمصر بما تيعودا ابن مليكة توزارطا الصغير وهرب مع سائر أمنائه بماثي مركبة الى بلدة بابل بيد انه لم يحسن هناك وقادته وعمول معاملة الاعداء الفظة فحسر أعوانه وباع أمتعته وخرج بما تيعودا من بابل بثلاث عربات من خدمه واللباس الذي عليه وسلك طرقاً غير مسلوكة

كاد يموت فيها جوعاً حتى وصل الى مقر الملك الحثي سيبلوليوما وطلب الالتجاء اليه فلم ينجب ظنه بشهامة هذا الملك الكبير الذي كان بالامس عدو أبيه اللدود فأخذ بنصرته وزوجه من ابنته وأرفقه بأحد أولاده المدعو « يباسيل » وكان هذا قد استولى حديثاً على كركيش فهاجم الاميران معاً مغتصبي البلاد الميثانية ، واستولوا عليها فاختص يباسيل بالمقاطعة الحورية وعاد ماتيعودا الى عرش أبيه باحتفال باهر بايعه فيه سيبلوليوما بالملك بيد انه كان قد تأخر حال البلاد كثيراً وتبددت ثروتها وسلبت غنائمها ، سلبها مستعمروها الذين استنفدوا خيراتها كلها لمنفعة المملكة الاشورية واستعادوا الى عاصمتهم ابواب الذهب والفضة التي كان جلبها الملك سوزارطا الى واشوكاني .

وقد عثر في مكتبة بوغازكوي على نصوص المعاهدة المعقودة ما بين سيبلوليوما وماتيعودا بنسختها المتبادلتين مكتوبة باللغة المسهرية الاكادية التي كانت بمنزلة لغة دولية في ذاك العهد وهي من المعاهدات التي أملت فيها ارادة الجانب القوي على الضعيف وقد سردت في مقدمتها الحوادث الماضية والحروب الواقعة ما بين الفريقين ثم كيفية التجاء ماتيعودا الى البلاط الحثي واقترانه بابنة الملك الكبير وتويجه ملكاً على ميثانيا وبحث في صلب المعاهدة عن نظام معيشة زوجته ابنة الملك الكبير في البلاط الميثاني وعن الميزات التي يجب ان تكون لها في التقدم على سائر زوجات ماتيعودا اللواتي حدد عددهن بعشر فقط . وعن حق تبوء اولادها وحدهم العرش من بعد ابيهم وعن الطاعة المتوجبة على الرعية لهذه السلالة المباركة والمواالة الدائمة للمملكة الحثية ثم تلا ذلك بنود الاتفاقات السياسية التي تحتم على الشعبين ان يكونا على وفق دائم وان يوحداهما جهودهما لدفع غارات العدو عن بلادهما وان يسلكا سياسة واحدة في معاملة العبيد الهاريين من احد الفريقين الى الآخر . ويحتم سيبلوليوما لنسخته بتسمية نفسه منقذ ميثانيا الاكبر . اما نسخة ماتيعودا فتكاد لا تفرق نصوصها عن الاولى الا في الحوادث الماضية التي تختص بشخصه فيسهب في بيانها ويزيدها ابضاحاً وتحتم هذه النسخة بيمين مغلظة يقسمها بالمحافظة على الولاء وقد ألمع في ذيلها الى ان كلاً من المليكين قد اودع صورة من هذه المعاهدة في هيكل الاله الذي يدين به واستنزل اللعنة على كل من يعيث بها غير انه لم يكتب لماتيعودا في لوح القدر ان يبقى على العرش زمناً طويلاً فما كاد يتوفى سيبلوليوما حامي بلاده في سنة ١٣٤٧ ق.م حتى انتهز الاشوريون فرصة ضعفه بإبواب صولتهم وهاجموا البلاد الميثانية التي كانوا يرمقونها من بعيد بميون ملؤها الجشع والتي لم يكن لها من الحصون الطبيعية ما يرد عنها غائلة الاعداء فخارت امام قواهم الغالبة عزائم ملكيها الضعيفين فاستولوا عليها وضموها الى سائر اجزاء المملكة الاشورية الكبرى التي طغت لبان صولتها على كل الممالك الصغيرة المجاورة لها . وفي ذلك باد ذكر الميثانيين من تاريخ الامم في اواخر القرن الرابع عشر ق.م ولم يبق لهم من اثر غير بعض النقوش المدفونة التي انقلشها العلم حديثاً من بطون الارض وأخذ يقرأ اساطيرها الغابرة على ضوء مصباحه المنير

أبو العلاء المعري

ونظره الى الحياة

لعبد الرحمن شكري

إذا قرأ القارئ شعر المعري أذكره نظره الى الحياة بنظر شوبهور وإن كان الفيلسوف
اللاماني قد باعد بين سلوكه في الحياة ونظره اليها واختلف قوله وفعله فهو في قوله يحث على الزهد
في الحياة وفي فعله يغم مغائم لذاتها وفي قوله يرى السعادة في رفض لذاتها وفي فعله ينافس
الناس فيها . أما المعري فقد وافق قوله فعله فزهد في قوله وزهد في فعله وهو أيضاً يرى السعادة
في رفض مطامع الحياة وجشعها والنقاتل عليها ولو أنه في بعض قوله قد أدرك بثاقب فكره
اختلاف مظاهر السعادة في النفوس فقال : —

تناهت العيش النفوس بِغَيْرَةٍ فإن كنت تَسْطِيعُ النَّهَابَ فَنَاهِب
وقال : — أن الشيبية نار أن أردت بها أمراً فبادره أن الدهر مظفها
وقال وقد عرف أن من الناس من يجد لذة وسعادة حتى في الاقدام على المهالك :
ومن حب دنياهم رموا في وغاهم بغيض المنايا بالنفوس الجباب

فهو في اعترافه بمظاهر السعادة التي يجدها أناس في غير الزهد كما يجد سعادته في الزهد
بذكرنا بأناتول فرنس وكيف أنه صور الناس في قصة تاييس وكل ينشد السعادة فبعضهم
ينشدها في رفض مطامع الحياة وبعضهم في نشدان مطالب الآخرة وبعضهم في الاقبال على
الحياة فنظرة المعري أعظم وأشمل لحاجات النفوس المختلفة . وإذا كان في نظر المعري الى الحياة اظهار
لمعائب النفس ولشروور الحياة فإن الانسانية قد أفادها اظهار تلك المعائب والنفوس حتى وإن خالف
الناس الشاعر أو المفكر المظهر لتلك العيوب في بأسه إذا كان يائساً من معالجتها فلا يستقيم طلب
امثل العليا إلا بسخط هؤلاء الساخطين وبانكارهم ما ينكرون وبلغت الناس الى عيوب النفس وشروور
الحياة والمعري يفعل ذلك وهو يعترف بعيوب نفسه قبل أن يلوم الناس على عيوبهم فتراه يقول :
بني الدهر مهلاً أن ذممت فعالكم فاني بنفسي لا محالة أبداً
ويقول ومن المعائب أن كلاً راغب في أم دفر وهو من عيائها

(أم دفر هي الدنيا) والحقيقة ان عائب الدنيا انما يعيها لانه يود لو كانت أهناً وأسعد فهو
اذاً يرغب عنها لشدة رغبته فيها وفي السعادة التي كان يأملها فيها ولم تستقم له
وقد رأينا في كثير من عصور التاريخ ان رؤية السعادة في الزهد في الحياة وفي رفض
مطامعها والامتناع عن التقاتل عليها مبدأ يذيع في العصور التي تعم فيها الشرور وتضطرب فيها
الاحوال السياسية حتى يود الناس ان يجدوا ملجأً يحتمون به من شرور الدنيا كما كان البوذيون
يفعلون في معابدهم والمسيحيون في أديرتهم والمسلمون في تكاياهم وحتى يريد الناس ان يتجردوا
من التأثير بحوادث الحياة فلا فرح ولا حزن كما قال المعري

ومن عاب الدنيا بعين من التهي فلا جزل يفضى اليه ولا كبت

الا أن المعري مع ذلك علم علم المفكر ان عظة التجارب لا تغلب على الطباع في كثير من الاحايين فقال :

فهم الناس كالجهول ولا يظفر الا بالحسرة الحكماء

وقال : — نزول كما زال آباؤنا ويبقى الزمان على ما نرى

وقال : — العقل يسعى لنفسه في مصالحها فما لطبع الى الاقات جذاب

ومن أجل ذلك كان المعري يرى ان الفضائل والرزائل طباع وأن الوعظ والزجر والوعيد

والوعيد لم تغير من أساس النفس الانسانية على مر الدهور فقال

كم وعظ الواعظون منا وقام في الارض أنبياء

فانصرفوا والبلاء باق ولم يزل داؤك العياء

وقال : — ولو أن الانام خافوا من العقابي لما جارت الحياة الدماء

ولكنه مع ذلك لا يأس من اصلاح النشء بتعهد الوليد ومن العجيب ان المعري كان

يتعصب لاحد بن أبي الطيب المتنبي وشرح ديوانه وأسماء معجز أحمد على اختلاف مزاجيهما

في الوسائل والقوى وان اتفقا في النظرة الى الحياة والى النفوس الانسانية فيقول المتنبي

ومن عرف الايام معرفتي بها وبالناس روى رحمه غير راحم

فليس بحر حوم اذا ظفروا به ولا في الردى الجاري عليهم باثم

أنظر الى قوله (روى رحمه غير راحم) وهو لا يرى إثمًا في أن يصول بمن وصفهم من البدو في قوله

شيخ يرى الصلوات الخمس نافلة ويستحل دم الحجاج في الحرم

ولا نحسب ان استحسان المعري لفن المتنبي في شعره هو وحده الذي جلب له هذا الاعجاب

وإن كان في فن المتنبي من حكمة المتأمل ما يغري المعري بل لعل من أسبابه أيضاً ما يطمح اليه

صاحب المزاج الذي يضعف عن الكفاح في الحياة وما ينزع اليه من الرغبة في مجاراة المسكفين في

الحياة المقاتلين عليها وهي رغبة تولد إعجاباً وهذه الرغبة وهذا الاعجاب قد يكتفيان في النفس بسبب

مزاجها النافر من القتال على الحياة ولكنهما قد يظهران في بعض الأحيان بالرغم من محاولتها التخفي وبالرغم من لوم النفس التي يخفيان فيها المقاتلين على الحياة وتهجينها جشعهم وأي النفوس لا تنزع الى القتال على الحياة بالرغم من نفورها منه ومن الشرور التي تنشأ منه والتي يصفها المعري في قوله:

إن العراق وإن الشام مذ زمن صيفران ما بهما للملك سلطان
ساس الامور شياطين مُسلّطة في كل مصر من الوالين شيطان
من ليس يحفل خص الناس كلهم ان بات يشرب خمرأ وهو مبطان
مق يقوم لإمام يستقيم لنا فتعرف العدل أجيال وغيطان

وهو في البيت الاخير ينشد اماماً عادلاً قادراً يدفع الشر بالشر ويقضي على شرور (الشياطين المسلّطة) فهو اذاً يحجز القتال على الحياة وإن كان مزاجه ينفر من مظاهر ذلك القتال ووسائله بل هو ينظر ايضاً الى نفوس (الشياطين المسلّطة) والى نفوس المجرمين والى الوحوش فيقول:

وما ذنب الضراغم حين صيغت وصير قوتها فيما تدممي

ولكن هذا لا يمنع من طلب لإمام قادر يستفيد منهم بقوته ولا يمنع ان يقول المعري: —

ما الظافرون بعزها وبسارها إلا قريبو الحال من خيائها

ولعل هذا الفكر كان يبعث في نفس المعري رحمة شاملة بالرغم من لومه ذوي العز والبسار والسلطة في قوله (من ليس يحفل خص الناس كلهم) وهذه الحالة النفسية تذكرنا بحالة الطغرائي النفسية التي جعلته يقول:

أوالي بني الايام نظرة راحم وان ظننت الجهال اني حاسد

لهم في تضاعيف الرجاء مخاوف ولي في تصاريف الزمان مواعد

على ان المعري قد بالغ في بعض قوله غاية اليأس وان كان بعض قوله يدل على ان تحت اليأس من صلاح النفس والدنيا رغبةً وأملًا في صلاحها فان الامل كثيراً ما يتخذ من قوة سخط اليأس بياناً وقوة يستخدمهما في اصلاح ما يريد اصلاحه فيظهر الامل أملًا معكوساً محولاً الى يأس للاستعجاء بقوة سخط اليأس وبيانه وبلاغته وأثره في النفوس وهذا هو ما يظهر به بعض المصلحين من اليأس في قولهم اذ لولا ان سربرهم تبرد ان تستحث النفوس الى الاصلاح بتخويف النفوس من نتائج هذا اليأس من صلاح الحياة لما لجوا وأمعنوا واستطالوا وأطالوا في بلاغة يأسهم من غير نفاق. لكن المعري كما قلنا قد تجاوز هذه المنزلة من اليأس الى ما هو اشد منها اي الى اليأس من الفن وبلاغته وعلومه ولذته كما في قوله:

أف لما نحن فيه من عنت فكلنا في تحيّل ودليس

ما النحو ما الشعر والكلام وما مرقتش والمسيب بن علس

طالت على ساهر دجنته والصبح ناء فن لنا بفلس

وربما يدهش القارئ اذا قلت ان هذا من اشد اليأس ولا يهنا مرقش والمسيب بن علس
 فلعل الوزن والقافية وحضورها في ذهن المعري أثناء النظم هي الاسباب التي ادت الى ذكرها
 ولكن مظهر اليأس هو ان الانسان سواء أشاعر أو كان ام غير شاعر اذاً دهمه الهم في الحياة
 لجأ الى الفنون كي يجد فيها لذة وعزاء وسلوى ومهرباً وقوة لاستئناف الحياة والمهرب من الحياة
 قد يكون قوة لاستئناف الكفاح في الحياة اذ ليس المهرب هنا الا تراجع طالب الراحة وتجديد
 القوة فالرجل من العامة ينقّس عن نفسه بفنون العامة من آهات او ادوار غناء والرجل من
 الخاصة ينقّس عن نفسه بما يناسبه من الفنون والشاعر ينقّس عن نفسه بشعره والمعري في هذه
 الايات يتساءل عن قيمة الفحو والشعر والكلام ويرى انها عنت وتحيل ودلس ولكنه لم ييأس
 منها تماماً لانه لو كان قد يئس منها حقيقة لما التجأ اليها كما فعل عند ما نظم هذه الايات نفسها
 الا ان التأفف منها منزلة من منازل اليأس من الفنون . وهذا شوبنهاور الفيلسوف الالماني
 يقول (ان الانسان يداوي قبح الحياة بالفنون) وهذا ينشئه الفيلسوف الالماني يقول (انك
 تكره الحياة وتكرها اذا حسبت لها مغزى خفياً ولكنك تحبها وتقبل عليها اذا أيقنت ان لها
 مغزى فنياً) وأساس تركية هافلوك ايلس للحياة في كتابه المسمى (رفصة الحياة) هو اعتباره
 الحياة فناً في جميع مظاهرها . ولكن المعري لم يكن همه ان يزكي الحياة ولا ان (يتحيل) كي
 يحبها ويقبل عليها بان يعد مغزاها مغزى فنياً لا خلقياً كما يريد تنشئه الفيلسوف الالماني بل لعله
 خشى ان يمنع اطمئنان الانسان بسبب تحيل الفنون في تزيين الحياة من الرغبة في اصلاحها والقيام
 بما يحقق هذه الرغبة لان نظرة المعري الى الحياة كانت نظرة خلقية قبل ان تكون فنية . وللمعري
 آيات يخيل للقارئ فيها انه فكر في بعض جوانب نظرية النشوء والارتقاء انظر الى قوله :

جائز ان يكون آدم هذا قبله آدم على إثر آدم

ولكن لو دل هذا البيت وأمثاله على ان المعري فكّر في بعض جوانب نظرية النشوء
 والارتقاء فان شعر المعري لا يدل على انه قد تملكته نشوة أمل كنشوة الامل التي تملك
 الاوربيين عند أول ظهور هذه النظرية ولكنها نشوة عقبها يأس في أوروبا فهل مرت نفس
 المعري بمثل هذه الاطوار؟ وهل بقيت في نفسه بقية من نشوة الامل وهل هي التي جعلته
 يستعين ببلادة اليأس والسخط لتحقيق آماله الخلقية للحياة والنفوس كما بقيت بقية كبيرة في أوروبا
 عقب نشوة الامل الناشئة من نظرية النشوء والارتقاء ؟؟ لا شك اننا نبالغ في نسبة آراء
 هذه النظرية الى المعري وأبالغ برهان على المبالغة انها لو كان قد انفجر فخرها في أفق نفسه
 لأحدثت نشوة أمل لبلا بل صدره كنا نسمع أنغامها في شعره ونذكر معانيها واضحة فيه من
 غير لبس او شك

بعد عهدى

بعلم الفلك

للكنور فارسى نمر باشا

— ٢ —

كنا في عهدنا نعلم اسماء نجوم قليلة من النجوم التي ثبت انها متحركة في الفضاء مثل السماء
الرايح والنسر الطائر و٦١ الدجاجة ، ولكن الفلكيين اكبوا بعد عهدنا على تتبع حركات
النجوم وتسجيلها في قوائم ، فنشر الفلكي « لويس بوس » سنة ١٩١٠ قائمة بـ ٦١٨٨ نجماً
متحركاً ، ومن ضمنها كل النجوم اللامعة (من القدر الاول) في السماء وتلاه مرصد « كرونيجن »
فنشر قائمة بـ ١٢٣٦٨ نجماً متحركاً ، اتصل فيها إلى نجوم القدر التاسع التي لا تراها العين الا
بالآلات . والذي ساعدهم على ذلك التصوير الضوئي وغيره

كان عدد النجوم المزدوجة المعروفة في عهدنا نحو ٦ آلاف نجم من مزدوج بصري ،
ومزدوج حقيقي ، ويعرف بالثنائي^(١) ، فبلغ ١٧١٩٠ سنة ١٩٣١ ، وكان عدد النجوم الثنائية

(١) النجم المزدوج — والنجوم المزدوجة Double Stars تنقسم الى قسمين : الازدواج الحقيقي ،
والازدواج البصري فالازدواج البصري ينشأ من وجود نجمين قريبين أحدهما من الآخر ، ولكن على
مسافات مختلفة عنا . فيظهر ان النجم مزدوج لانهما يقمان على الخط البصري تقريباً . أما الازدواج الحقيقي ،
وهو ما يسمى الازدواج الطبيعي ، فينشأ من ان كليهما يكونان على مسافة واحدة منا تقريباً ، ويدور كل
منهما حول الآخر ، ويطلق عليها اسم النجوم الثنائية — Binary وكثير من الثنائيات قد لا تظهر الحركة
الدورية فيها الا بالمطياف Spectroscope ولذا تسمى الثنائيات الطيفية Spectroscopic Binaries وعند
ما يمر مستوى الدورة بالشمس ، قد يتفق ان ينكسف النجم فيسمى الثنائي المنكسف Eclipsing Binary
واليك تقسيمها العلمي :

Double Stars.
Optical Pairs
Physical Pairs

— Binaries
{ (1) Visual Binaries.
{ (2) Spectroscopic Binaries.
{ (3) Eclipsing Binaries.

* (عن الدكتور محمد رضا مدور)

أي المزدوجة حقيقة لوجود علاقة بينها نحو ٦٠٠ نجم ، فبلغ ١٠٥٤ سنة ١٩٢٤ ، لمساعدة المطياف على اكتشافها ، وقد توسعوا في البحث في هذه النجوم الثنائية ، وتوصلوا إلى معرفة كثير من خصائصها مما لم يكن معروفاً في عهدنا . وقل مثل ذلك في النجوم المتعددة أي الثلاثية والرابعة فأكثر حتى تدنو من القنوان أو العناقيد في شكلها

والنجوم المتغيرة والمؤقتة وهي التي يزيد نورها تارة ويقل أخرى ، كان عددها في عهدنا نحو مائة ، وكان المعلوم منها قليلاً لا يروي غليلاً . فكشفوا ما كشفوا منها بعد ذلك ، حتى بلغ عددها ٧٠٠ نجم متغير ، وقسموها إلى نجوم مؤقتة ، ونجوم متغيرة طويلة المدة ، ونجوم لا يقع تغيرها تحت ضابط . والنجوم المتغيرة في صورة « قيفاوس » وتعرف بالقيفاوية . والنجوم السكاسفة مثل النجم المعروف « بالغول » ، فإنه يدوم مشرقاً يومين كذبح من القدر ٢٦٣ ، ثم يقل نوره شيئاً فشيئاً حتى يصير خمس ساعات من القدر ٣٥ ، ثم يزيد نوره مدة خمس ساعات حتى يعود إلى إشراقه السابق ويبقى كذلك ٢٦٥ يوم . وهم يعللون ذلك التغير بأن « الغول » نجم مزدوج ، وأحد الزوجين مظلّم أكثر من الآخر . وهما يدوران حول مركز ثقتهما . فتتسبب المظلّم أمام رفيقه ، حجب كثيراً من نوره عنا ، فيكسفه . وبذلك يقل نور هذا النجم تارة ويزيد أخرى — وقد أثبت المطياف ذلك . وتوصلوا في رصد المتغيرات القيفاوية في السديم المعروف « بغيمة مجلان » الصغرى في القسم الجنوبي من القبة الزرقاء ، إلى اكتشاف ناموس سموه ناموس المدة والإشراق ، وبه وصلوا إلى قياس أبعاد القنوان في المجرة وغير ذلك من معجزات علم الفلك ، التي شرحها المقطف في عدد شهر ديسمبر الماضي في مقالة عنوانها « ذرع الفضاء والاعلام التي يعتمد عليها في قياسه » فالإشارة إلى تلك المقالة تغني الآن عن شرحها وقد توخى فلكيو هذا الزمن من الضبط في تعيين أقدار النجوم ما لم يبق وجهاً للشبه بين ما كان في عهدنا وما هو في هذه الأيام . فحسبوا القدر الظاهر للشعري اليمانية ١٦٦ ، والقدر الظاهر لا خفي النجوم التي صورت بالتصوير الضوئي ٢١

كان رأي الفلكيين في عهدنا أن الشمس ونظامها من السيارات وغيرها ، سائرة في الفضاء نحو نقطة في صورة « الجاثي » بسرعة ١٤٨٦٤٠٠٠٠٠ ميل في السنة . ورأيهم اليوم أنها سائرة نحو نقطة لا تبعد كثيراً عن « النسرة الواقع » بسرعة ١٩٠٠٦ كيلو متر (١٢٠٢ ميل في الثانية) العناقيد أو القنوان محال في السماء نجومها ملزوزة ومزدحمة ، تشبه العناقيد أو قنوان النخل ، منها ما ترى نجومه بالعين المجردة كالثرثريا والدبران ، ومنها ما يحله المنظار إلى نجوم مفردة وهي كثيرة . وأهمها في بحوث الفلكيين القنوان الكروية الشكل وعددها المعلوم الآن ٩١ عنقوداً كروياً ، أحملها عنقود الكروي في صورة « الجاثي » . وقد عدّ مرصد جبل ولسن فيه ٥٠

الف نجم . والمظنون أنه إذا أُطيل عرض اللوحة الفوتوغرافية ، كشفت عن عدد لا يقل عن ١٠٠ الف نجم ، كل نجم في كثير منها يفوق شمسنا ألوفاً من المرات في اللعان والاشراق . وقد قاس الفلكي « شيلي » أبعاد ٦٩ عنقوداً من هذه العناقيد الكروية ، فوجد أن أبعادها تتفاوت بين ٢٣ الف سنة من سني النور و ٢٢٠ الف سنة . والنور يقطع ١٨٦٠٠٠ ميل في الثانية ، فتأمل . ويرى هذا الفلكي أن هذه العناقيد الكروية غير داخلية في عالمنا ، أي في النظام المجري أو نظام النجوم التي شمسنا ونظامها داخلية فيه . بل هي خارجة عن عالمنا ، وفي رحاب متاخمة له من رحاب الفضاء

السدم لطخ نيرة في السماء تشبه الضباب الرقيق ويرى اثنان منها بالعين المجردة . أحدها السديم الكبير في صورة « الحيار » ، والآخر السديم الإهليلجي الشكل في صورة « المرأة المسلسلة » . والباقي يرى بالمنظار . وقد كان عدد المعروف منها الى عهدنا يفوق أربعة آلاف سديم . ولكن التصوير الضوئي كشف ألوفاً كثيرة منها ، حتى لقد قدر الفلكي Perrine أن عدد ما يرى منها بعاكسة مرصد « لك » لا يقل عن نصف مليون سديم . وقد توسع فلكيو هذه الأيام كثيراً في البحث عن هذه السدم ورصدها وتقسيمها وتصويرها ودرس طيفها بالمطياف ، وقياس أبعادها وحجومها وتعيين مواقعها ، مما لا يستوفي شرحه إلا في كتاب على حدة . فلا أحاول شيئاً من ذلك في هذه المحاضرة . وإنما أستطرد منه الى ذكر الرأي السديمي

الرأي السديمي

وصاحبه العلامة « لا بلاس » وملخصه ان النظام الشمسي كله كان سديماً يشغل من الفضاء مساحة اعظم من مساحة أبعد السيارات عن الشمس ، وان هذا السديم الغازي الحامي حوياً شديداً ، كان يدور على نفسه ، وبذلك تكوّنت منه السيارات والأقمار والمذنبات وسواها ، بانفصالها عنه في حلقات تحوّلت الى اجرام السيارات والأقمار ، او بقيت حلقات كحلقات « زحل » وأول من ذكر هذا الرأي باللغة العربية أستاذنا المرحوم الدكتور فان ديك في كتابه أصول الهيئة . وعقبنا عليه بمقالة مسهبة تلوناها في المجمع العلمي الشرقي في ١٤ من فبراير سنة ١٨٨٣ وذكرنا فيها تجربة « بلاتو » لاثبات هذا الرأي بالتجربة . وقد توسع « وليم هرشل » في هذا الرأي ، فعمل به تكون العوالم كلها من نجوم ثابتة ، وقنوان ، وسدم ، وظل هذا الرأي متبعاً بتفاصيله نحو مائتي سنة ، حتى قام العلماء في بدء هذا القرن وانتقدوه . واتفق رأي اكثرهم اليوم على انه وإن كان أصل الاجرام سديماً ، لكنها ، وعلى الأخص السيارات ، لم تتكوّن بانفصالها عن السديم الاصيل بصورة حلقات ، لا سباب واعتبارات شتى لا يسعنا الآن ذكرها ، بل تكوّنت من مرور جرم كثيف بقرب الشمس فصددها وقدّ بصدماته أجزاء منها . وهذا على

قول بعضهم . وعلى قول الآخرين ، وهو المرجح عندهم الآن ، ان هذا الجرم اجتذب مادة الشمس فكوّن مدّاً بعد مدٍّ ، وهذا المدّ انقذ عن الشمس ، وكوّن سياراً بعد سيار . وخلاصة ذلك أن السيارات لم تتولد من الشمس إلا بعد ما مرّ كوكب صدمها فقدّ بصدماته أجزاء منها ، أو جذبها وأحدث المد فيها ، فانفصل بذلك أجزاء من أحشائها . فكان فلكي هذه الايام يرون ان كواكب السماء تولدت بالمزوجة وليس بالانقسام ، سائرة في ذلك على سنة التولد في عالم الاحياء على وجه الارض . فعدول المحدثين اليوم عن رأي « لابلاس » السديمي ، بعد من الانقلابات العظيمة في الرأي ، وبضارح في عظم الشأن مذهب « اينشتين » في النسبية وتحذب الفضاء ، وكون الجاذبية ليست قوة من القوى الطبيعية ، بل خاصة من خواص الزمان والمكان والحركة ، مما أعاد العلماء الى البحث في تعاليم « نيوتن » وقواعد الجاذبية

الى هنا اكتفي بالاشارة الى بعض ما جدّ بعد عهدي بعلم الفلك وأردفه بالملاحظات العمومية التالية . كان الناس ، في بدء امرهم ، يدرسون علم الفلك ليفتقوا به في أمور دنياهم ، كما لا يزالون يدرسون كثيراً من العلوم الى اليوم — فكانوا يقيسون به الزمان ويتنبهون النصول في تواليا كل سنة ، ويعلمون به كيف يسلكون الصحارى ويجوبون القفار ، ثم كيف يسلكون البحار . وزعموا انهم بعلم التنجيم ومراقبة الطوالع ، يكشفون الغيب ويعلمون مستقبل الانسان وحظه من سعد ونحس ، ثم صححوا خطأهم فانتقلوا الى معرفة المستقبل ، ولكن مستقبل حركات النجوم وسير الكواكب بدلاً من افعال البشر وأحوالهم ، حتى لقد بلغ منهم اليوم ان يقضوا زمانهم في الإنباء بمستقبل العالم ونهاية الكون . وما حمل الانسان على التنجيم ، غير زعمه ان للعوالم والممالك واعظام الأنام وسائر بني البشر ، قدراً عظيماً وشأناً جليلاً ، حتى ان حركات الاجرام السماوية على جلالة قدرها ، إنما وجدت لتكشف حجب الغيب عن مستقبله وتدل على حظه . ولكن لما اتسع علم الانسان وأدرك انه زري الشأن في هذا الكون الى حد أن وجوده وعدم وجوده بيان ، نزل من عليائه وهبط عن كبريائه ، وضرب علم التنجيم ضربة قاتلة ، بحيث لا يعيش الآن إلا حيث يخيم الجهل ويخبو نور العلم ، وعاد الانسان لا يطعم كثيراً بالاتفايع بعلم الفلك في دنياه ، واقتصر ذلك على ما نشاهده الآن من ضبط الساعة والنوقيت وإرشاد السفن الى سلك البحار ، وتحولات رغبته الى الناحية العلمية المحضة ، حتى انه لبهم الآن بأمر سديم من اخفى السديم وأبعدها ، أكثر مما لبهم بنجم يضبط به الساعة ليوقت بها . وكذا يغفل شأن المربخ او المشتري وغيرها من اقرب الكواكب البينا ليرصد نجوماً بعيدة عنا بعداً سحيقاً ، فلا يصل الضوء منها البينا في مئات بل ألوف بل ألوف الألوف من السنين . وقد اصبح لعلم الفلك شأن وأي شأن منذ صار حلقة في سلسلة العلوم وأدمج فيها كجزء منها لا ينفصل عنها ، ويعم الاكتشاف فيها الجواهر المتناهية

في الصغر ، كالسحاب التي لا يبلغ قطر السحاب منها جزءاً من مليون مليون جزء من المليمتر ، كما يعم السدم المنتشرة في الفضاء والتي يفوق قطر السديم منها ملايين الملايين من الاميال . وازدياد علمنا بالفلك يزيد علمنا بالطبيعات والكيمياء ، والعكس بالعكس . فقد فات الزمان الذي كانت النجوم تعامل فيه معاملة نقط صغيرة نيرة في قبة السماء ، وأصبح كل نجم منها يعد كأنه بوتقة حامية حمواً لا مثيل له على الارض ، تعمل الطبيعة فيها عملياتها وتجرب تجرباتها على درجات من الحرارة والضغط ، لا يتسنى للكيمائي او لعالم طبيعي تجربتها على الارض ومعرفة نتائجها . وبذلك قد يمكنه أن يعرف للمادة خصائص لا تتيسر له معرفتها في الاحوال الطبيعية التي هو فيها — خذ لذلك المادة او الهيليوم في بعض السدم . فقد تكون كثافتها أقل بمليون ضعف من كثافة أي مادة كانت على الارض . او خذ بعض النجوم ، فقد تكون مادتها أكثر بمليون ضعف من كل مادة على الارض . فهذه ان ندرك طبيعة المادة من مجرد التجارب التي نعملها في معاملنا ، حيث لا نستطيع ان نأقن الا جزءاً واحداً من مليون مليون جزء من الكثافة التي في الطبيعة . وزد على كل ما تقدم ان الانسان يجد في علم الفلك من اللذة والبهجة والروعة والجمال ما لا يجده في غيره من العلوم والفنون التي يمتاز بها الانسان على سائر الحيوان ، كما يجد فيه اعظم رافع له عن خباثات الحياة وخسائسها ، ويدرك صغر الدنيا وحقاقتها بالنسبة الى عظمة الكون وعجائبه

لا اريد ان ازيد التثقل على مسامعكم بذكر ما وصل اليه علماء الفلك في اطلاقهم العنان للعقل والخيال في رحاب هذا الفضاء ، وفي ما بجوانبه من الاكوان ، تارة للاحصاء والوزن والقياس ، وطوراً للوصف والتعليل . فكل من يتصفح كتاباً من كتب علماء الفلك الحديث ، يجد في صفحاته عد النجوم بالملايين وملايين الملايين ، ووزنها بملايين وملايين الاطنان ، وقياسها وقياس ابعادها وسرعة حركاتها بالملايين وملايين الملايين من الاميال ، وغير ذلك مما لا يجده العقل ولا يكاد يدرك منه غير معان غامضة لالفاظ عامة . ان ابسط ما يقال عندهم وأقربه الى الادراك عبارات مثل هذه : ان الانسان وجد على الارض منذ ٣٠٠.٠٠٠ سنة ، وان الاحياء من حيوان ونبات ، وجدت على الارض منذ ٣٠٠ مليون سنة ، وان الارض وجدت في الفضاء بعد انفصالها عن الشمس منذ ألفي مليون سنة . والدنيا كلها بالنسبة الى الكون أصغر من اصغر نقطة في اعظم دائرة ، ولا تحسب شيئاً بالنسبة الى كل نجمة من ملايين النجوم الخفية التي لا تكاد العين تراها لبعدها في المجرة . ولو زالت الارض كلها من الوجود ، لم يشعر بزوالها أحد الا سكان ثلاثة او اربعة من النجوم السيارة التي هي جاراتها لو كان فيها سكان يشعرون ان اقرب نجم الينا من هذه النجوم التي لا تزال نسميها ثوابت ، مع انها كلها أجرام

متحركة ، بعد عنا ٢٥ مليون مليون ميل . فضوؤه لا يصل إلينا إلا بعد ٢٧ سنة . أي أكثر من ٤ سنوات وثلاثة أشهر . والضوء يقطع ١٨٦ ألف ميل في الثانية الواحدة ، وكذا أمواج اللاسلكي ، فإذا فرضنا أن في هذا النجم سكاناً مثلنا ، وأنهم يسمعون الأصوات التي تنقل باللاسلكي كما نسمعها ، وأرادت محطة الاذاعة أن تنقل إليهم أقوالي هذه وأنا أقولها ، فأنهم لا يسمعونها إلا بعد أربع سنوات وثلاثة أشهر . ومن يدري أين أكون أنا في تلك اللحظة ؟ أأكون باقياً على هذه الأرض أو أأبعد عنها من الشعري الجمانية ، التي لا تكاد أصوات الراديو تصل إليها بعد نحو ٢٤ سنة ، وليس ٤ سنوات فقط ، مع أنها معدودة أيضاً من أقرب النجوم إلينا . فلهذا اخترت أن أختم محاضرتي هذه بإيراد شرح النموذج للكون كله محفوظة فيه نسبة بعض مقاساته إلى بعض ، على حسب تصميم وضعه الفلكي الانكليزي « جيمس جينز » ، ليقترب تصور الكون من الافهام . قال : إن الأرض تدور في فلكها حول الشمس بسرعة تفوق سرعة قطار الاكسبريس ١٢٠٠ مرة ، فتقطع ٦٠٠ مليون ميل حتى تتم دورتها في سنة كاملة . فلتتصور اننا صغرنا هذه الدائرة الهائلة الاتساع (أي ٦٠٠ مليون ميل) حتى جعلناها أضيق من سم الحياط أي أضيق من ثقب الإبرة أو طابع دبوس قطره $\frac{1}{3}$ من البوصة الواحدة ، ولنجعل هذه النقطة (أو الدائرة الصغيرة) المقاس الذي نقيس عليه بناءنا . وعليه نصغر الشمس حتى تصير شبه ذرة صغيرة من ذرات الهباء المتطاير في الهواء ، أي حتى تصير كرة قطرها $\frac{1}{100}$ من البوصة ونصغر أرضنا أيضاً حتى تصير كلها أصغر من أن نراها ، ولو نظرنا إليها بأقوى المكبرات ، وبعبارة أخرى حتى نحذف وجودها من بنائنا لصغرها . وعلى هذا القياس يكون مكان أقرب النجوم منا (وهو في صورة قنطورس) على بعد ٢٢٥ يرداً من ذرة الشمس . وعلى هذا القياس أيضاً يجب أن نكبر أنموذجنا حتى يصير طوله ميلاً وعرضه ميلاً وعلوه ميلاً ، لكي يسمع الـ ١٠٠ نجم التي هي أقرب النجوم إلى شمسنا . وهكذا نسير في البناء فنحسب النجوم كلها (بلا فرق ولا تمييز بينها) ذرات من الهباء في حجمها ، ونضع بجوار ذرة الشمس ذرات أخرى على بعد ربع ميل ، الواحدة من الأخرى . ونضعها في أماكن أخرى على أبعاد أعظم من ذلك ، الواحدة من الأخرى . وإنما زدنا أبعادها لأن النجوم الأخرى التي هي أقرب منها إلى الشمس ، تمثل عنقوداً من النجوم ملزوزة ومزدحمة أكثر من سواها

وعلى هذا النمط يزيد في البناء مسافة مئات من الأميال في كل مرة ، حتى إذا وصلنا إلى جهة بعيدة عن سطح الجرة ، نجعل محلات ذرات النجوم متفرقة وتجمعاتها رقيقة ، لئلا نأقاربنا هناك حدود النظام المعروف بالنظام المجري (أسوة بالنظام الشمسي) وفي سطح الجرة نفسها نبني مسافة ٧ آلاف ميل ، قبلما نصل إلى أبعد عنقود كروي ، ومع ذلك نبقى داخل النظام

المجري — فلتأمل ما تقدم قليلاً — صغرنا فلك الأرض الذي يبلغ مداره ٦٠٠ مليون ميل، حتى صار كلُّه نقطة أضيق من سم الحيايط، وصغرنا الشمس حتى صار قطرها $\frac{1}{34,300}$ من البوصة وصغرنا النظام المجري، أي الكون الحايي الشمس ونظامها وكل النجوم التي تظهر في السماء في المجرة وعلى جانبيها وما فيها من نجوم مزدوجة وثنائية ومتعددة، ونجوم متغيرة وقنوان كروية وغير كروية — هذه كلها صغرناها على نسبة تصغير فلك الأرض. فكان النظام المجري مع ذلك نحو سبعة آلاف ميل، وبعبارة أخرى ان سعة فلك الأرض الى حجم النظام المجري، كنقطة أضيق من سم الحيايط الى قارة أميركا كلها

وبعد ما تنتهي من هذا البناء الهائل الذي يصل الى سبعة آلاف ميل، للدلالة على النظام المجري أو العالم الذي شمسنا نجمة منه، يجب ان نسير مسافة ٣٠ ألف ميل حتى نصل الى حيث نبني الجزء الثاني من بنائنا. وهناك نضع طائفة ثانية من طوائف النجوم ربما كانت اصغر من طائفة نجومنا المجرية، ولكنها اكثر منها لزاً وحشكاً وازدحاماً، وتحكمها في عدد نجومها

وعلى هذا النسق، نبني بناءنا ونضع فيه جزءاً جديداً على بعد ٣٠ ألف ميل اخرى من الجزء الآخر، لطائفة اخرى من النجوم تعد بالآلاف الملايين، وهكذا حتى نبني كذلك اجزاء للمليوني طائفة من هذه الطوائف، ومتى انتهينا من ذلك يكون اتساع البناء الذي بنيناه نحو اربعة ملايين من الاميال، في كل جهة طولاً وعرضاً وارتفاعاً. هذا البناء الهائل الذي بنيناه، هو مع ذلك غاية في صغر المقاس، يمثل لنا ما نراه في السماء بالمنظار، وبعد ذلك يبقى بناء ما لا نعلم كمه ولا كيف، وإنما نعلم أن ما بنيناه لا يمثل الا جزءاً من الكون كله

كل نظام مجري من الانظمة التي بنيناها مكانها في اعمودجنا، وكل سديم خارج عن نظام المجرة، يحوي ألوف الملايين من النجوم، أو من المادة الغازية التي سوف يتكوّن منها ألوف الملايين من النجوم — ونحن قد توصلنا الى معرفة مليونين من هذه النظمات، فعدد النجوم التي نراها الآن بالمنظار العاكس الذي قطر مرآة الشبح فيه ١٠٠ بوصة، يبلغ ألوف الألوف من ملايين الملايين من النجوم، هذا عدداً ما لا نعلمه في جهات السماء التي لم يصل نظرنا اليها. وعلى هذا القول، لا نخطئ اذا قلنا ان عدد الدوام في الكون أي النجوم في السماء، كعدد ذرات الغبار في جو مدينة لندن — تصوّر أيها السامع أن الشمس على عظم حجمها لا تبلغ حجم ذرة واحدة من الهباء المتطاير في هواء اوسع مدينة من المدن في العالم، وان الأرض كلها لا تساوي جزءاً من مليون جزء من ذرة غبار هذه المدينة. وحينئذ يقرب منك تصور نسبة العالم الذي نحن فيه، الى الكون الذي يحوي سائر العوالم

وهناك صورة نموذج آخر يمثل لنا منظر آخر من مناظر الفضاء الحايي هذه العوالم. لنفرض

اتنا اخذنا كل الغبار الذي في هواء لندن ، وفرشناه بحيث تقع ذراته بعضها من بعض على نسبة الابعاد الواقعة بين بعض النجوم وبعضها في الفضاء . فهذا يقتضي أن ذرات الغبار تبعد بعداً صغيراً جداً احداها عن الاخرى حتى لا يزيد متوسط بعدها عن كسر صغير من البوصة . وعليه اذا اردنا ان نجعل بناءنا على مقاس مناسب لمقاس ابعاد الذرات بعضها عن بعض ، وجب أن نجعل البعد بين كل نجمين نحو ربع ميل بدلاً من (كسر البوصة) واذا فعلنا ذلك تبيّن مقدار الفراغ في الفضاء ، لانه على هذا المقاس اذا فرضنا أننا فرغنا هواء محطة كبيرة كمحطة «واترلو» في لندن من كل الغبار ، ولم يبق فيه إلاّ ست ذرات فقط ، نكون قد مثلنا بذلك مقدار الفراغ بين النجوم في جوانب الفضاء ، وليس في جوانب الفضاء كلها بل حيث تزدهم النجوم داخل النظام المجري . واما بقية جوانب الفضاء ففيها مساحات واسعة خالية من كل نجم ، بين نظام ونظام ، بحيث اذا أردنا ان نحافظ على النسبة في بنائنا ، وجب أن نجعل متوسط البعد بين كل ذرة واخرى من ذرات الغبار ٨٠ ميلاً . فالكون في واقع الامر ، غير مملوء نجوماً ، بل هو مساحات واسعة خالية من النجوم إلاّ نادراً — فتصور هذا الاتساع

لنفرض اننا وقفنا في هذا الفضاء قرب الشمس ، وجعلنا نرقب حركات النجوم وهي تمر أمامنا بسرعة تساوي الف ضعف من سرعة قطار الاكسبريس في سيره . فلو كان الفضاء مزدحماً بالنجوم لكان مثلنا حينئذٍ كمثل من يقف وسط اكثر الشوارع ازدحاماً بالمارة من الناس والمركبات والدواب ونحوها ، وكنا في خطر من الموت سحقاً كل لحظة . ولكننا اذا حسبنا حساب حقيقة الواقع ، وجدنا انه لا خوف من أن يصدم منا نجم من النجوم ونحن واقفون بجوار الشمس حتى يمر علينا مليون مليون مليون سنة ، وبعبارة اخرى ، انه يظهر بالحساب انه لا يصطدم نجم بنجم آخر حتى يمضي عليه مليون مليون مليون سنة في سيره ، بحيث يمكننا ان تمام ناعمي البال ، ونقول لا خوف من اصطدام الكواكب على مرّ الاحقاب والازجال

أيها السادة : هذه عظمة الكون — هذه سعة رحاب الفضاء هذا عدد الملايين من العوالم والاكوان وملايين الملايين من نجوم السماء — فما اعظم هذه العظمة ، وما أنخم هذا الجلال ، وما أوسع هذه الرحاب . ولكن أليس من العجيب الذي لا يقل عن ذلك عجباً وعظمة وجلالاً وروعة ، ان يحل هذه الطلاسم والاسرار ، ويحيط إدراكها احاطة السوار بالمعصم ، جوهر لا أعلم ماهيته ، ولا أدرك سره ، وانما أعلم أنه هبة سنجارية اللون مركبة من الفسفور وعناصر اخرى قليلة في دماغ الانسان !

أتمنى أيها السادة لو اني ولدت بعد خمسمائة سنة ، لا أعلم سرّ ما تحتوي عليه هذه الهبة السنجارية ، كما أعلم سرّ الغاية من هذه العوالم والاكوان ، كما كان يتعنى أستاذي « فان ديك » رحمه الله ، واسكنه فسيح جناته

احمد علي

الاسكندري

ومذهبه في اللغة

فقد جمع اللغة العربية الملكي في نيف وعامين علميين من اعلامه العاملين الذين قضوا العمر في التحصيل والدرس والا كباب على التخصيص والفحص عن دقائق اللغة . ففقد الشيخ حسين والي الحجة اثبت في صرف اللغة وفقد احمد علي الاسكندري الاديب اللغوي الكبير العارف بتاريخ العربية ، المُشَبَّع بما توالى عليها من تطور خلال العصور التي كان فيها للمدنية الاسلامية الاثر الاول في تحضير العالم الحاف بمحوض البحر المتوسط والعالم المغمور في مجاهل أسيا من حدود فارس الى جوف الصين . ويكفي ان اقول هنا ان فقد عالمنا العظيم كان كارثة على مصر اولاً ثم على عالم الضاد ثانياً . بل اقول ان فقدتها خسارة لا تُعوَّض

يقول الاسقف « إنج » الانجليزي إن لكل انسان ان يعتقد ان الحياة في احتياج اليه ، ولكن ليس له ان يعتقد ان حاجة الحياة اليه حاجة قصوى . وهذا القول صحيح من وجوه كثيرة . فان فقد مصر لهذين العالمين سوف لا يفقد اللغة العربية صرفها ، وسوف لا ينسى الناس أدب العرب ، وسوف يقوم من المصريين من يعتنق مذهبهما في اللغة والادب . وإنما الذي يشعرونا بان فقدتها كارثة قلما تعوَّض ، فذلك الخزون الذي استخزنا من قواعد اللغة وآدابها وذلك الاتجاه الذي اتَّجَّه في تنمية موارد اللغة الفصحى ، وتلك الخواطر التي نماها البحث وصهرها التفكير والدرس حتى خلصت من تزوير الشك وارتجاج اليقين ، حتى لا بست في النهاية صورة من العقيدة ما كان ليزكو في نفسيهما من شيء فوقها اللهم إلا عقيدتهما في الدين . هذا ما فقدناه فيها ، وهذا ما نفتقده فلا نجده . فالصورة الكاملة المتحيزة المؤتلفة من مزايا الرجل العظيم ، صورة لن تتكرر بذاتها مرة اخرى . اما العظمة ، ذلك المعنى السكسي ، فقد توزع على العطاء من أبناء آدم متقمصة صوراً شتى . ولكن صورة واحدة منها لن تتكرر بذاتها اجزاء وكلاً ،

تفصيلاً واجمالاً . ولهذا أقول ، وأقول بحق ، ان فقد والي والاسكندري خسارة لا تعوّض ، بل كارثة قلما تزهى بملها دنيا الكوارث

انما نحن في فترة صراع . صراع بين قديم قائم على المأثورات والتقاليد ، وجديد يتطلع إلى دنيا جديدة . ولكل من القديم والجديد حقيقة قائمة بذاتها وحياة فياضة بشتى الصور الخلابية المحببة . قديم هو سجل ما توارثنا عن القرون الاولى ، وجديد هو مباءتنا ومسرح أحلامنا ومبعث ميولنا وشهواتنا ومعقد آمالنا والبراح الذي سوف يمرح فيه أولادنا وأحفادنا . فأيهما يقوى القلب على تركه ، وأيهما يهون نبذه على النفس ؟

هذه خطرات تعتلج في نفوس فئة من شباب هذا العصر وقليل من كهوله ، أدركتهم هذه « الحضرمة » العصرية ، حتى لبغز عليهم ان يهاجم مجد قديماً ، أو ينابذ نصير من أنصار القديم تجديداً . والمعركة دائرة الرحى في جميع مرافق الحياة ، في البيت وفي الشارع وفي دور العلم وفي الملاهي وفي الجامعة وفي الازهر . أما الغرض الذي تدور من حوله المعركة فاللغة العربية ، باعتبارها الاداة الاولى لحضارة شعب عربي الدم والميول والنزعات

أما فقيدنا الاسناد احمد علي الاسكندري فكان له مذهب في اللغة ما فرط فيه يوماً ولا تسمّح فترة في ان ينال منه أحد منالاً ولا فترت له في الدفاع عنه همّة . هذا المذهب لم يجعل لهذا الاستاذ العظيم من منزل يشغله في عالم « المحضرين » العصريين ، أولئك الذين يحاولون التوفيق بين ماضي اللغة وحاجات هذا العصر الذي نعيش فيه

كان يعتقد ان اللغة جسم يمكن ان ينمو ويربو بوسائله الذاتية من غير لقاح أو غذاء خارجي . فتعلق بفكرة ان اللغة العربية لغة اشتقاق لا غير ، ثم قصر إجازة الاشتقاق على الصيغ القياسية . والمقصود بالصيغ القياسية تلك الصيغ التي ورد فيها كثير من الكلمات المصوغة على وزانها . أما الصيغ الاخرى وهي الاكثرية الكبرى ، فكان يقول ، على مذهب قدامى اللغويين ، انها صيغ سماعية اي تسمع عن العرب فقط ولكن لا يقاس عليها . بذلك تحصر الدائرة وتضيق ويصبح وضع المصطلحات العلمية وأسماء الشؤون العامة مقتصرأ على استخدام وسيلة واحدة هي الاشتقاق من الصيغ القياسية في اللغة . هذا الى جانب المجاز وهو ان يوضع لفظ استعمال لمعنى قديم لبؤدي معنى جديداً تجوزاً ، لملاقة بين المعنيين ، سواء أكانت العلاقة كبيرة او صغيرة

كان من مذهبه في اللغة ان الفصح من كلام العرب وحده هو الذي يحق له البقاء . أما ما دون

ذلك فدخل لاحقاً له في الحياة او البقاء . ومعنى الفصح عندنا ما نقل عن العرب الى نهاية القرن الثالث الهجري ، قبل أن يولد المولدون في اللغة شيئاً وقبل ان تختلط اللغة الفصحى بعجمة العناصر البعيدة عن العربية السليمة . ولقد يُسلم بنا هذا القول الى ان اللغة العربية ملك للعرب ، وليس للعرب عامة وإنما للعرب الذين عاشوا الى نهاية القرن الثالث الهجري . ذلك في حين ان الثابت ، على مقتضى حكمة النشوء والارتقاء ، ان اللغة ملك لمن يتكلمها ويستعملونها ويتخذونها أداة للتفاهم تنمو بناتهم وتتطور بتطورهم وتصب في القوالب التي تدعوهم الحاجة اليها . والواقع ان لكل زمان حاجاته ، وان من التحكم ان نلزم تلك الاساليب التي انتحاها أسلافنا ، كما نأخذ غير مخلوقين لزمان بعيد عن زمانهم عشرات القرون

هذا يحمل مذهب فقيدنا الكبير . وهو مذهب الى الضيق كما ترى . غير ان اللغة العربية ان أريد بها ان تكون لغة علم وان تؤدي جميع المعاني العلمية والفنية ، وجب ان ينظر فيها نظرة أخرى وان تمد بوسائل جديدة . ولقد شعر بجمع اللغة العربية الملصكي بذلك فأجاز التعريب ، مقبلاً بأن لا يلجأ اليه الا عند الضرورة القصوى . والقيد حسن . لولا ان عبارة «الضرورة القصوى» قد جعلت القيد نافياً للإجازة تقريباً

على أن لدينا الى جانب الاشتقاق والتعريب وسيلتين أخريين ، ان تقررنا انفسحت أماننا آفاق مترامية الجنبات واسعة الرحاب ، وكملت بها عدة اللغة لتكون أداة كاملة القوة على الوضع الجديد ، بل على خلق الالفاظ الجديدة لتأدية المعاني المختلفة

أما الوسيلة الاولى فهي النحت ، وهو ان ينحت من كلمتين كلمة واحدة كأن يقال مثلاً «كهراطيس» للكهرية المغنطيسية ، «وخنائية» لكر بوهيدريت ، وبرمائية للحيوانات التي تعيش في البر والماء ، والاولى منحوتة من كهرب ومغنطيس والثانية من فحم وماء والثالثة من بر وماء . ولا خطر على اللغة مطلقاً من اتباع هذه السنة . والنحت من أوضاع العرب جبروا عليه منذ جاهليتهم . غير أن ما وصل الينا منه قليل . ولكنه كافٍ لنعرف انه من الاصول التي جرى عليها أقحاح العرب

هنالك الى جانب النحت وسيلة أخرى توسع من آفاق اللغة ، وهي وسيلة سميها «الاقنياس» وهي جديدة تكلمت فيها من عهد قريب ونالت استحسان جميع المشتغين بوضع الالفاظ الجديدة من اللغويين والعلماء . فقد لحظت ان الاكثية المعظمى من اسماء الحيوان والنبات ، قد اشتقت

من اصول ثلاثية او رباعية موزونة على وزن لَدَّ للعربي جرسه . بذلك يكون العربي قد جرى في وضع اسماء الحيوان والنبات على قاعدة اوحى اليه بها طبيعة الظرف الذي احاط به في مختلف البيئات التي عاش فيها وساعدته سلفته على تطبيقها . فاذا تأملت في الامر الفيت ان العربي كان ينظر في الشيء حيواناً كان ام نباتاً ام جماداً ، فيلاحظ فيه كثيراً من الصفات . فاذا غلبت في الشيء صفة ظاهرة صاغ له اسماً مستمدّاً من اللفظ الذي يدل على هذه الصفة في لغته . فقال العربي « الاساييج » وزان إفعيل نبات يسلمح الماشية ، وقال السُّلْت وزان فَعْل لنوع من الشعير ينسبت في قشرته ويكون كالبر سواء . وقال الشعارير وزان فعاليل وهي جمع فعول لصغار القمء لما يكون عليها من الزغب . وقال الخزير وأصلها الخزير وزان فعيل لصفة التخازر التي في عينه ، اذ يكسرها فتظهر كأن بها خزرراً ... وهكذا

والسبيل المعقول لتطبيق قاعدة « الاقياس » هو ان نكب على جمع اسماء الحيوان والنبات عند العرب ، ثم نعرف من اية الصيغ وردت ، ونحصر هذه الصيغ حصراً كاملاً قدر المستطاع ، ثم يجاز قياستها والصوغ عليها في وضع اسماء الحيوان والنبات ، على ان نلاحظ صفة في المسمى ظاهرة او خفية ، ونشتق من اللفظ الذي يؤديها في العربية اسماً علمياً له . فانتا بذلك لانخرج عن القاعدة التي جرى عليها العرب ما دمنا نلاحظ شرط ملح الصفة في المسمى على ما عمل اسلافنا ، واتباعاً لقاعدة قال بها الائمة وهي « ان ما قيس على كلام العرب ، فهو من كلام العرب »

اما السؤال الذي ينبغي لنا ان نسأل انفسنا فيه ازاء هذا فهو : هل يخضع العلم للغة ، ام تخضع اللغة للعلم ؟ لاشك ان من الطبيعي ان تخضع اللغة للعلم . لان اللغة اداة تخدم العلم . وعكس هذا بعيد عن الحكمة

فيما اسلفت بيان عن مذهبين سائدين الآن . اما المذهب الاول فلن يؤدي باللغة الا إلى الجمود . فلا هو يوسع من اقيسة اللغة ، ولا هو يجعلها وافية بمطالب العلوم والفنون . اما المذهب الثاني فاتباعه ضروري ، على ان يقتصد فيه الاقتصاد الواجب حتى لا تمس سلامة اللغة بما يفسدها وعلى الرغم من ذلك المذهب المحافظ الذي كان يعتنقه الاستاذ الفقيد ، فان المثل الذي خلفه لنا في الغيرة على اللغة والتفاني في خدمتها وعدم الضنء بها بمجهودها يشق ، او يبحث مهما تنسع آفاه وتتشعب مظانه ، لمثل يحتذى ، وما أقل ما بين ظهر انبنا من المشل ، وما أكثر حاجتنا اليها

نشوء علم الطبيعة

كتاب اينشتين وانفيلد^(١)

يواجه الانسان عالم الطبيعة بعينين وأذنين وأنف ويدين ولسان وحلق ودماغ ، وعليها يجب ان يعتمد في فهم ما يكتشفه من الاشجار والحجارة والهواء والضوء والرجال والنساء والعوالم السابجة في رحاب الفضاء . ما هي وهل هي ما تبدو لنا او حقيقتها شيء آخر . والرد على هذه الاسئلة ، وما كان من قبلها ، هو هم علماء الطبيعة والكيمياء والفلك والاحياء وكذلك الفلاسفة وقد تحوّل علم الطبيعة خلال العصور وفقاً للنتائج التي كان العقل يخلص اليها مما تشاهده أو تتبينه اعضاء الحس . فالأغريق كانوا يرون في الرياح انفاً من الآلهة . وكان أرسطو وفلاسفة القرون التي تلتها يعتقدون ان الارض مركز الكون . وكان هذا الرأي وذاك شيئاً معقولاً في نظرهم ولكننا ننظر الى الكون الآن على انه فقاعة آخذة في الانتفاخ ، ومع ما في هذه الصورة من الغرابة ، يرى كثيرون من المطلعين على الحقائق انها صورة معقولة . وقد غدونا في هذا العصر ، والزمان لا ينفصل عن المكان . فواقع الاجسام المختلفة يجب ان تحدّد بوقتها وزمانها في آن واحد . أما المادة فأصبحنا نتصورها دقائق كهربائية او مادية هي الى الكهربائية أقرب ، لا تخضع في صميمها لاي قانون . وأما الضوء فلانك واتباعه يقولون فيه انه مقادير من الطاقة لا يؤثر في سرعتها حركة مصدرها ولا شدة حماوته

والواقع اننا لا نزال في فهمنا للحقيقة النهائية بعيدين بعد الافدين عنها كيف تحوّل علم الطبيعة من الصور التي قال بها الاقدمون الى الصور التي يقول بها المحدثون ؟ ان كتاب العلامتين اينشتين وانفيلد ردّ بليغ على هذا السؤال . وهو خالي من المعادلات الرياضية ، ولكنه ليس من النوع السهل الذي يقرأ في القيلولة للتسلية . فالعلم له ثمن . وثمن الفهم الصحيح الذي تخرج به من هذا الكتاب هو المطالعة بصبر وانعام نظر . وانه لمن حسن الحظ ان يعنى عالمان عالميان كـ اينشتين وانفيلد في معالجة موضوع كموضوع « نشوء الطبيعة » في نحو ٣٠٠ صفحة وان كانا يتطلبان من المطالع جهداً ومثابرة

أما اينشتين فليس في حاجة الى التعريف . وأما زميله الدكتور انقلد ، فعالم كبير الشأن وإن لم ينل من الشهرة العالمية ما ناله اينشتين . ولد في كراكو ببولندا قبل أربعين سنة وتلقى العلوم العالية في جامعتها القديمة ، وفي جامعة برلين ، ثم حاضر في « لوفو » ثم قضى سنوات في جامعة كمبردج بانكلترا حيث عاون العلامة ماكس بورن في وضع نظرية جديدة تصل بين نظرية المقدار (الكوانتم) ومعادلات مكسويل الخاصة بالامواج الكهرومغناطيسية . وأخيراً انتظم في معهد الدراسات العالية بجامعة برنستون حيث يقيم العلامة اينشتين

ويؤخذ مما قرأناه عن هذا الكتاب ان انقلد هو الذي اقترح على اينشتين وضع مجلد من هذا القبيل فوق الاقتراح عنده موقع القبول لطول عهده بتقليد هذه الفكرة وتفكيره في تحقيقها . فقبل في الحال . واشترك العالمان في وضع برنامج الكتاب وتقسيم فصوله وبيان محتويات كل فصل ، ولكن كتابة الفصول نفسها قام بها انقلد وحده

تخرج من مطالعة هذا الكتاب بأن « غلييلو غيلبي » الايطالي كان حداثاً فاصلاً في نشوء الطبيعة الحديثة . به بدأت الصورة الميكانيكية للطبيعة ، والسعي الى نبذ الروحية (animism) منها . ثم جاء نيوتن فأتم الصورة ، ولا بلاس فتناهى فيها حتى لقد زعم ان الكون آلة تستطيع ان تعرف أوائلها وأواخرها من دراسة حاضرها وما يجري عليه

ولكن الصورة الميكانيكية قد تداعت . وعادت غير صالحة لتفسير الافعال الكونية صغيرة كانت او كبيرة . وغدا الكون في نظر علماء العصر مشكلة من مشكلات الهندسة العليا لا مجرد آلة . فالذرات ليست الا مجموعات من الدقائق لا تستطيع ان تجري عليها الا قواعد الاحتمال الرياضي . واذا كانت النظرة الميكانيكية قد شملت النجوم في الفضاء والذرات الدقيقة على الارض فالصورة الكونية الحديثة او علم الطبيعة الحديث علمان . علم للنجوم وعلم للذرات . وهذا يدل على ان فهمنا للعالم الخارجي ليس بالفهم الصحيح . هذه الشؤون وما كان من قبلها ، تراها مبسطة في كتاب اينشتين وانقلد ، بسطاً علمياً لا تعتوره المعادلات الرياضية ، ولا تشوبه شائبة التفلسف . نعم ان الكتاب لا يرتفع الى مستوى كتابات جينز وادفغتن من حيث الاسلوب الادبي ، اذ يعوزه التشبيه المبتكر ، والاستعارة الشعرية . ولعل هذا من الخير ، فمن وجوه النقد التي أخذت على العالمين البريطانيين ادخال غير قليل من الشعر والتفلسف في كتاباتها العلمية يروي محرر النيويورك تيمس العلمي ، انه لما ذاعت انباء النظرية النسبية ، بعد تقديمها الى دوائر العلم بثلاث عشرة سنة ، كثرت الكتابات فيها وتعددت مساعي العلماء والكتاب العلميين في تبسيطها . ولكن مقالة اينشتين في التيمس كانت خير مقالة في هذا الموضوع . ولعل كتابه هذا خير بسط لنظرياته — لان هذه النظريات هي على الغالب محور هذا الكتاب

المذاهب الاشتراكية

توطئة لبحث تأثير الماركسية في الادب

لحامى منرى

إذا اعتبرنا المساواة السياسية « مثلاً أعلى » للديموقراطية الحديثة فقد ظلَّ عدم المساواة الاقتصادية مسألة المسائل في الحياة الاجتماعية بل في الشؤون السياسية مما لم يعرض له العقل الاجتماعي بحل تطبيقي حتى اليوم . ويعزى هذا الاضطراب في التوازن الى التقدم الصناعي في القرن التاسع عشر . ذلك التقدم الذي بدأ صفحة جديدة في حياة المجتمع الانساني بل قد أوجد طبقتين في ذلك المجتمع طبقة « الرأسماليين » الذين ينعمون بأرباح طائلة لا حدَّ لها ويعيشون في رفاهية تامة وطبقة « العمال » الذين يتأثرون بحالة العرض والطلب أي حالة السوق التجارية وما قد يطرأ على الصناعة من تقدير معنوي . ولقد أصبح « العمال » منذ هذا التقسيم عرضة للآزمات الاقتصادية في كافة أنحاء العالم

ويرجع نشوء « الرأسمالية » الى سببين رئيسيين

أولاً — تأثير المبادئ التي أذاعها الاقتصاديون في القرن الثامن عشر والتي بدأ تطبيقها

العملي في اوروبا منذ النصف الاول للقرن التاسع عشر

ثانياً — التقدم الصناعي القائم على الاختراعات والاكتشافات العلمية في القرن التاسع عشر فالاقتصاديون قد دعوا الى حرية التجارة والصناعة والى إلغاء النظام الخاص بالنقابات . في حين أن هذه الحرية أفادت اصحاب الاعمال أي « الرأسماليين » دون غيرهم لان العامل البسيط كان عاجزاً عن ضمان مركزه الاجتماعي او الدفاع عن مستقبله وحقوقه كفرد في الهيئة الاجتماعية . أما التقدم الصناعي فقد أفضى الى تجمع وسائل الانتاج في أيدي قليلة من الممولين الذين يقيمون المعامل والآلات وينشئون الصناعات ويصمدون للمنافسات التجارية . ونتيجة هذا ان انهز هؤلاء الفرصة لأرهاب العمال وتخفيض اجورهم مما كان يؤدي حتماً الى أن يعاني الفريق الاكبر من الشعب سوء العيش

وإذا كان أصحاب السلطة قد نفذوا أيديهم من الشؤون الصناعية تنفيذاً لمبدأ الحرية السائد في ذلك العهد فقد نشأت المبادئ الاشتراكية التي عرضت لنقد مساوئ الاقتصاديين في الحرية ونسبت إليها انحطاط الإنتاج وسوء التدبير وفوضى الحياة الاقتصادية والاجتماعية ثم تطرقت الى نقد نظام « الرأسمالية » الذي يعطي الغنم كله لطائفة قليلة من الناس ويضع الصناع وأصحاب الايدي العاملة في حالة شديدة من البؤس والفقر. ثم ظهر على مسرح الاجتماع طائفة من أصحاب الآراء الاشتراكية لم تكن لهم خطة معينة لقلب اوضاع تلك الحياة الاجتماعية ولم يرموا صورة كاملة لما يجب ان يكون عليه النظام الجديد للاجتماع

﴿ المذاهب الاشتراكية ﴾ الاساس في الاشتراكية ان يُصْحي الفرد لمصلحة الجماعة، والاشتراكية في هذا تضاد « الفردية » او الحرية الاقتصادية بتعبير ادق. وهذه الفردية تعني المحافظة على الانسان وشرفه وشخصيته وهي تقوم على الحرية التي تعتبر اساس النظام الاجتماعي وأساس المجهودات الفردية. وهي لا تطالب الحكومات بالعمل لاسعاد الافراد ولكنها تعمل لكي تحقق الحكومات تيسير السبل للافراد للقيام بمجهوداتهم في دائرة اعمالهم الحرة على احسن حال. وتعتبر « الفردية » الهيئة الاجتماعية قائمة على نجاح الافراد في جهادهم الحيوي. وان تلك الهيئة لا تساوي اكثر مما يساويه افرادها. فتقدمها نتيجة لتقدمهم وسقوطها نتيجة لسقوطهم

اما « الاشتراكية » او « الاجتماعية » كما كان ينبغي ان نسميها، فهي لا تخضع لقوة او تحتكمي بسلطان وانما تستمد قوتها وكيانها من ساطة التطور الاجتماعي. والتطور الاجتماعي له عناصره الطبيعية والاقتصادية والنفسية وليس هنا مجال التعليق على هذه العناصر ومدى اثار كل عنصر منها. والمعروف ان الهيئات الاجتماعية تتطور وتعدل ويختلف مقياس هذا التطور باختلاف الجهاد العقلي وحالة هذا الجهاد بتقدم العلوم الاجتماعية وتطبيقها العملية. ويتوقف على هذا ان القوانين الوضعية والنظم المختلفة الخاصة بالمجتمع لا يلبث تأثيرها ان يزول ويتلاشى كلما دار الزمن دورته وبلغ العقل الاجتماعي شأواً بعيداً من التقدم. ولن يبق من تلك القوانين وهاته النظم الا « الانسب ». ولما كان النظام الاقتصادي القائم في العالم يستحضر طائفة كبيرة من الناس لمصلحة طائفة قليلة من « الرأسماليين » فهو نظام فاسد لا يقره الوضع الطبيعي للحياة ويتحتم تغييره لانه لا يقوم على الحق والمساواة بدأت الاشتراكية منذ أقدم العصور « نظرية من نظريات الفكر الانساني الذي ينحون نحو

النور والحرية وهي لما نزل كذلك على الرغم من المحاولة الروسية الجريئة منذ عام ١٩١٧ لإقامة النظام الاشتراكي في الحكم . وهذه النظرية أعرق في القدم من نظرية الحرية الاقتصادية . اذ لم تتخذ هذه هيئة مذهب إلا منذ القرن الثامن عشر . وطبيعي ان توالي العصور لم يضعف المذهب الاشتراكي بل أحياء وصبغة بصغات أخرى سياسية وثقافية

ترعّم الاشتراكية في فلتحة القرن التاسع عشر «سنت سيمون» و«روبرت اوين» الانجليزي . فسيمون كان له اتباع من جماعة الاشتراكيين الخياليين الذين لا تقوم تعاليمهم على مبادئ عملية وإنما تصطبغ بصبغة تصوفية فلسفية . وسيمون يذهب الى انه لكي يجب ان تسعد الانسانية ينبغي ان تستثمر الموارد الطبيعية ويكون توزيعها بطريقة عادلة وذلك بأن يشرف جماعة المفكرين والعلماء والعمال على الادارة الحكومية . اما «روبرت اوين» فقد اقترح الغاء النظام الرأسمالي ووضع نظام خاص للصناعة والزراعة والتجارة يسير على اساس التعاون . وان ننسى ونحن في هذا الصدد ان نقرر ان بعض هذه الآراء كان آمالاً خيالية اكثر منه حقائق ثابتة لبعدها عن الآثار العملية المترتبة على التطور الاقتصادي لهذا الزمن . اما في النصف الثاني من القرن التاسع عشر فقد اتخذت الاشتراكية مجالاً أوسع منها قبلاً وذلك بانتشار آراء «كارل ماركس» العلمية مما ستحدث عنه

أما مذاهب الاشتراكية فهي الشيوعية . والفوضوية . والجماعية . والماركسية . والماركسية الجديدة فالشيوعية يمثلها في الفلسفة اليونانية القديمة «أفلاطون» الذي حاول في كتابه «الجمهورية» ان يكون شيوعياً . وإنما جذب وجود طبقة العبيد لخدمة السادة وللقيام بالأعمال الصناعية وكان يعتبر العامة طبقة من الناس بعيدة عن الاندماج في نظام جمهوريته الشيوعية لأنحطاطها عن مستوى الطبقة الاربستقراطية . وتلك الجمهورية كانت مؤسسة على المبادئ الفلسفية الخلقية اي على الفضائل وقد جعلها المحور الذي تدور عليه حياة الانسان وعلى العدل الذي هو أساس الملك الموطن ولكنه أنكر حرية الفرد ودعا الى شيوعية النساء . ولقد ظهر في القرن السادس والسابع عشر زعماء للشيوعية سعوا الى نشرها بما كتبوه عنها أمثال «توماس مور» صاحب «جزيرة الاوهام» التي تخيل فيها طبقة من الناس يعيشون في جزيرة يقوم بالحكم فيها رجال القضاء بسلطتهم الادبية ولا يملك الفرد فيها حرية التصرف لانه في تصرفاته وأعماله يتبع الجماعة التي تقوم بالحكم . ويجب ان تقوم الشيوعية في الاصل على مبدآن

أولاً — ان يكون عدد سكان الجهة المرغوب نشر الشيوعية فيها قليلاً لا يتجاوز ٢٠٠٠ شخص فكل ما قل عدد السكان صار من السهل نشر الدعوة الشيوعية

ثانياً — أن تكون الهيئة الاجتماعية السائرة طبقاً للنظام الشيوعي فيها كفاية المحافظة على تقسيم الثروة بالزام كل فرد ألا يأخذ أكثر من نصيبه
أما الفوضوية فنوع متطرف من الشيوعية وهي تجمع بين الآراء الحرة والافكار الاشتراكية. فالفوضويون يتمسكون بحرية الفرد وشدة كرههم للحكومة وعدم قبول نظام الملكية الفردية وطرق استخدام العمال. ويعتبر پرودون Proudhon أول مؤسس للفوضوية وهو الذي قال ان الملكية هي السرقة بعينها. والفوضوية التي نعنيها هنا هي الفوضوية السياسية الاجتماعية. أما الفوضوية الفلسفية فهي التي تقوم في نفوس الافراد والجماعات ومنشؤها « الانانية » وحب النفس واول من دعا اليها M. Stirner وتنتهي رغبة اصحاب الفوضوية الفلسفية الى ان يتمتع الفرد بأقصى حرية فكرية ممكنة فهم يعتبرون الفرد قوة مستقلة ويفهمون انه طالما كان قوياً فالحصول على مطالبه شيء يسير. فهو مذهب « وبعدي الطوفان ». وكل من يقف في وجه المصالح الفردية يجب محوه وإزالته. وأما الفوضوية السياسية الاجتماعية فتدعو الى الحرية الفردية المطلقة لان كل طاعة يفهم منها التنازل عن حق من الحقوق الفردية ومذهبها الاعلى هو « يجب ألا تقيد الهيئة الاجتماعية الانسان بغير القيود التي أوجدتها الطبيعة ». ولقد تزعم الفوضوية بعد « پرودون » « كروبتكين » ثم « باكونين »

وأما الجماعية « Collectivisme » فترمي الى ان تكون وسائل الانتاج من ارض ومناجم ومعامل ومصارف مالية ومواد اولية وغيرها ملكاً للجماعة. أما فيما يتعلق بأمور الاستهلاك فتكون حقاً لمن أنتجها بمجده واجتهاده. ويجب ان نفهم ان الشيوعية لا تعترف بالملكية. أما الجماعية فلا تلقها وإنما تميز بين الانتاج ووسائله فيظل الانتاج ملكاً لمن أنتجه أما وسائل الانتاج فتكون ملكاً للجماعة وهذه الجماعة تحدد مسؤولية كل فرد من افرادها وهي تمد بكل ما يحتاجه لقيامه بعملية الانتاج. وإنما لا يكون المنتج حراً في بيع انتاجه اذ يجب عليه ان يسلمه للجماعة لتعطيه نظيره ما يعادله من الثمن بحسب مجهوده وعمله. تلك هي الجماعية الصناعية أما الجماعية الزراعية فهي التي تشترط ان تكون الارض ملكاً للجميع

والآن نقول ان الرجل الذي استطاع ان يركز طائفة كبيرة من الآراء والافكار الاشتراكية في هيئة مذهب علمي اقتصادي هو « كارل ماركس » واضع « الاشتراكية العلمية » او « الماركسية » وهذه الاشتراكية العلمية تتميز عن الاشتراكية الخيالية التي قامت منذ فجر التاريخ والتي تحدث عنها الفلاسفة وكبار « الطوبيين » امثال افلاطون وتوماس مور وولز وغيرهم

﴿كارل ماركس﴾ ولد كارل ماركس سنة ١٨١٨ في «تريفه» ببروسيا . وكان أبوه في الاصل يهودياً ثم ارتد الى المسيحية وكان موظفاً «قضائياً» بحكومة بروسيا . ولقد درس كارل ماركس في جامعتي بون Bonn وبرلين . وكان قد اخصّص في دراسة التاريخ والفلسفة والاقتصاد السياسي . وترك الحياة الجامعية عام ١٨٤٢ عندما بدأ محرر جريدة راديكالية هي «نهر الرين» وكان لما احتوته من جرأة فكرية وآراء حديثة ان اغلقتها السلطة البروسية ومن ثم هاجر كارل ماركس الى باريس وهناك نشأت صداقته الخالدة مع المفكر الاشتراكي الالماني «فريدريك إنجلز»

ثم طرد ماركس من باريس عام ١٨٤٥ بعد ان درس آراء الاشتراكيين الفرنسيين وذهب بعد ذلك الى «بروكسل» وتبعه اليها «فريدريك إنجلز» فأصدرا في يناير عام ١٨٤٨ «البيان الشيوعي» الذي دعوا فيه العالم الى الاتحاد والانضمام للدولة العاملة وقالا فيه . «ايها العمال من كافة البلاد اتحدوا» وبهذا النداء اتجهت الانظار الى المذهب الجديد عند ما نشر كارل ماركس مؤلفه «رأس المال» في عام ١٨٦٧

ولن يظفر الباحث بحلقة مفقودة بين الاشتراكية السابقة على ماركس واشتراكيته العلمية اذ يوجد في أصول الثانية كثير من أسس الاولى . فللماركسية مذهب اقتصادي علمي قام على دعاوة اشتراكية منظمة في وسط حركات ثورية ألبسته رداءً جديداً . ولقد كانت نتيجة هذا نجاح الفكرة الاشتراكية بوجه عام وذبوعها في مختلف الاوساط . وطبيعي ان هذا النجاح لا يرجع الى المذهب الاشتراكي في ذاته فهذا قديم قدم الحياة الانسانية نفسها وأما مرجع هذا الى تطوّر الفكر السياسي تبعاً لحق الانتخاب العام الذي جعل دعاة الاشتراكية يطمحون الى تولي السلطة بالوسائل المشروعة والتوجيه الاقتصادي الجديد للهيئة الاجتماعية . وتتلخص نظريات كارل ماركس في الآتي :

﴿نظريته في الحركة لاجتماعية﴾ تتلخص في ان المصالح المادية هي التي تحرك الافراد ومن ثم تؤثر في الاخلاق والنظم . «فللمادية التاريخية» Historical Materialism هي عكس «الروحية التاريخية» التي من مقتضاها ان الافكار هي التي تقود الافكار

وثبتت المادية التاريخية وجود نزاع مستمر بين الطبقات المختلفة للجماعة الواحدة وان الجماعة الحاضرة تسير نحو النظام الجمعي طبقاً للتطور الاجتماعي . وأما في القرون الوسطى مثلاً فقد كان الاشراف يستغلون الطبقة المتوسطة التي كلفت النظام الاقطاعي وهذه لما فازت بحقوقها أصبحت عبارة عن طبقة «رأسماليين» يستغلون طبقة العمال ويستولون على جزء من العمل بدون مقابل لعدم اعطائهم الاجور المناسبة . ويحدد ماركس الاجر العادل على الجهود الذي يصرفه العامل في العمل

وأما الرأسمالي فيستخدم الجزء من العمل الذي يستولى عليه من العامل في زيادة الانتاج. واذن فهناك جزء من الانتاج لا يستهلك وهذا ما يؤدي الى اضطراب في التوازن بين الانتاج والاستهلاك بل مما يؤدي حتماً الى أزمات قلة الاستهلاك لان العامل لا يستهلك أو لا يمكنه ان يستهلك ما يجب ان يستهلكه لقلة أجره.

نرى من هذا ان الطبقة الغنية صاحبة الاموال تعيش على عائق الطبقة الفقيرة التي هي طبقة العمال. ومن هنا نشأ كفاح الطبقات الفقيرة مع اصحاب الاموال اي «الرأسماليين». وينحصر بحث ماركس في هذا على قاعدة «عدم المساواة في طرق التبادل». واما بحث من تقدموه فينحصر في سوء نظام الملكية. وماركس يبحث الموضوع من الوجهة الاقتصادية البحتة. أما «سيموندي» و«برودون» و«سيمون» فكانوا يبحثونه من الوجهة الخلقية الاجتماعية. ويقول ماركس ان العمل ليس وحده اساساً للقيمة او سبباً لها بل هو جوهر القيمة او مادتها. وهو الذي يحدد قيمة الاشياء اي ان تلك القيمة تحدد بحسب ما احتاجت اليه من الوقت في صنعها. واذن فالمنفعة لاتصلح ان تحدد قيمة الاشياء وهو لهذا يضع النظام الاجتماعي الاقتصادي كالآتي :

(١) ان تكون وسائل الانتاج تحت تصرف الجماعة وان تكون اموال الاستهلاك تحت النظام الفردي لان الاشتراكية الجمعية خلاف الشيوعية لاتلغي الملكية الفردية الا في وسائل الانتاج (٢) تنظيم الانتاج وموازنته بالاستهلاك بواسطة الجماعة

(٣) احلال قيمة العمل مكان قيمة المبادلة المبنية على المنفعة وتكاليف الانتاج. ونظريته في التركيز Concentration تتلخص في ان المشروعات الاقتصادية الفردية والملكية الفردية تندمج الصغيرة منها في الكبيرة الى ان تنحصر هذه الاملاك في أيدي معدودات وعندئذ يسهل على العمال عزل رؤساء الصناعات الكبيرة ليحولوا محلهم ولتكون الملكية كلها من صناعات وعقارات ملكاً للعمال ولا يتم هذا التركيز الا اذا كانت المنافسة حرة.

ولقد كان ماركس يريد تحقيق نظرياته عن طريق التطور الاجتماعي الاقتصادي لنصبح وسائل الانتاج ملكاً للجماعة وحتى يصير ما ينتجه العمال ملكاً لهم وبهذا يزول الظلم عن الطبقة المغلوبة على أمرها طبقة العمال المهضومة الحقوق

﴿نظريته في تفسير التاريخ﴾ ويعتبر اكبر نخر لحياة كارل ماركس الفكرية هو ابتداعه لنظرية «التفسير الاقتصادي للتاريخ» ورأيه فيها ان قوى الانتاج هي التي تأتي بالنظام الذي يلائم المجتمع ولا ينبغي ان نطلب اصلاح المجتمع بناء على النظريات «المثالية» التي يقول بها

أصحاب المُسئَلُ العليا، وهذه النظرية تحدد الفوارق الاخلاقية والمادية للبيئات الزراعية والصناعية وان طريقة الانتاج والاستهلاك تحدد للامة توزيع الثروة وهي لذلك تقرر النظام الاقتصادي والسياسي والادبي وتأخذ هذه النظرية الحياة الاقتصادية للامة برهاناً على صحتها . فهو عند ما يوضحها يقول ان الامراء والاشراف كانوا يستولون على العقارات والارض لمصالحهم . فلما انتهى العهد الاقطاعي حلت الطبقة المتوسطة محلهم Bourgeois Capitalists وهذه هي طبقة الرأسماليين الذين يستغلون الآن الاموال والعمال في الارباح الهائلة التي يحصلون عليها ويصير هذه الطبقة ان تزول إذا استولى العمال على الارض والعقارات . فالهيئة الزراعية أتاحت للامراء الاستيلاء على الارض ثم جاءت الآلات والصناعة فأتحت للطبقة المتوسطة الاستيلاء على الاموال والاستبداد بالعمال وقد تأتي غداً الاشتراكية فقرر في العالم سيادة العمال وهكذا يبيد من الوجود طبقة الرأسماليين

ولقد نستطيع ان نقرر ان الجماعة لم تتحول حتى الآن الى النظام الجمعي الذي فرضه ماركس على المجتمع فرضاً وكذلك لم تهزم طبقة العمال « الرأسماليين » وقد كان ان ظهر في عصره جماعة شنوا عليه غارة النقد فحبذوا اعتبار المنفعة ونفقة الانتاج أساساً للقيمة وبدأ الكثيرون ينفضون عن مذهب ماركس الاقتصادي . فلقد أهمل « كوتسكي » Kautsky « كثيرأ من نظريات ماركس ولم يتفق معه على ان المادة وحدها ذات تأثير عظيم في تطور الهيئة الاجتماعية » النظرية المادية التاريخية « بل يؤمن ان الاخلاق لها تأثير كبير في التطور الاجتماعي . ولقد خالفه أيضاً في ان طبقة العمال آخذة في التدهور والفقر بدعوة ازدياد عددها مع اندثار الصناعات اليدوية وانتشار الصناعات التي تقوم على الآلات بل طبقاً للاحصاءات المتباينة في مختلف الاقطار مما تدل على ان حالة العمال آخذة في التحسين . ولقد كان كوتسكي هذا من انصار السلم والاستقرار . ومن عارض ماركس أيضاً برنشتين Bernstein . وبخاصة في نظريته عن التوازن الاقتصادي القائم على الانتاج والاستهلاك . وقال بوجود تحسين حالة العمال الحقيقية وأنه من الصعب ان يصل الباحث الى تطبيق نظرية التركيز الماركسية على الملكية وحصرها في يد واحدة أو في أيدي معدودات

ويقول برنشتين أيضاً ان الاشتراكية حركة والحركة هي كل شيء في الحياة الاجتماعية واما الغاية فليست شيئاً يذكر

وعلى هذه المبادئ التي نالت من بعض نظريات ماركس الى درجة محدودة وفي ظروف خاصة قامت الماركسية الجديدة وهذه الماركسية الجديدة هي النقد الذي وجهه النافذون المتقدمون

من أنت ؟

جواب الروح الانسانية : ليفيكتور هيجو

عن ديوان « الله ونهاية الشيطان »

Dieu et la fin de Satan

أنت يا من تساميت عن عالم الاحداث
طائما هنا وهناك ، ولا ينجلى لك سوى منحى واحد من الكائنات
ان روحي المنبثة في تضاعيف الكائنات هي روح الانسانية
التي ظهورها في كائن معناه ارتفاع مشعل الانسانية فيه
ان كلماتي الحية ، التي تتجاوب في حنايا النفوس
أشبه ما يكون بسريران طنين النحل في قفيره
اني ملتقى الكائنات على الدوام
ومدار عجلة الحياة
روحكم ، هو أنا ! الذي يقيد سكناتكم وحركانكم
وانا الذي يطوف على ثغوركم بالا بتسام ويجري بالدمع في ما قبكم
ويلهمكم الايمان وينير الشك والجحود فيكم
أنا ... أنا نفس الكل
أنا الذي أصبح في كل متحفز للعمل
حسبك ما فعلت : أنا الذات المشتركة بين البشر
ان مقاليد الامور في يدي ، فأنا الذي أقود وأدبر وأحرك
وان كان هنالك شيء ترتعد له فرائصي فهو تجاوز حد الاعتدال
فهو ان بدا لي في شبح الغباء مسني الخوف ، وفي نور الحكمة تولاني الرعب
اني أقبض على أعتة الغضب والشهوة
لكي لا ينحرفا عن طريق الخير
وليصحب الانسان اذن في قافلة الحياة أسد الغضب وكلب الشهوة ؟

[نقلها : الدكتور اسماعيل أحمد أدهم]

قاهر البحار

قصة مجلان : أول من دار حول الارض



تلخيص كتاب ستيفان زفيج اعتماداً على الملخص المنشور

في مجلة « ريدرز ديجست » الاميركية

[نقله : محمد مسعد فوزي]

قاهر البحار

قصة فرديناند ماجلان
أول من دار حول الارض

. كانت الرغبة في الحصول على الافاويه هي الدافع الاول لتلك الاعمال الباهرة . فقد كان طعام الاوربيين طوال العصور الوسطى تافهاً بسيطاً وكانت الفواكه التي يراها الآن كثيرة ، غير معروفة في ذلك العهد . والليمون والبطاطس والشاي لم تكن توجد الا في قصور الامراء الا ان هذه المواد كانت كثيرة في جزر الهند . كان الجميع يعرفون ذلك ولكن .. ما الفائدة ؟ فالطريق غير ميسور ، والقرصان اسياد البحار . وكانت الافاويه والبهارات تباع في أسواق اوربا . ولكن بأي ثمن ! . فالزنجبيل والقرقة كانوا يباعان بميزان الصيادلة ، أما الفلفل الاحمر الصغير فقد كانت حبيته تباع بوزنها ذهباً

ولقد كان الدافع الوحيد لتلك الرحلات البحرية التي لن ينساها التاريخ — رحلات كولومبوس ودياز وكابوت — هو البحث عن طريق قصير آمن للتجارة وتمهيداً للحصول على افاويه الشرق التي كان الاوربي يتوق اليها ولا يكاد — لندرتها — يراها في نومه وعندما نجح فاسكو دي جاما في الوصول الى الهند عن طريق شاطئ افريقية الغربي فحول رأسها الجنوبي سنة ١٤٩٨ بدأ عندئذ النزاع الطويل المستعمر بين الدول الكبرى لاستكشاف طرق التجارة واستعمار الشرق . وفي سنة ١٥٠٥ أرسل البورتغاليون اسطولاً لتأسيس مراكز تجارية في جزر الهند وكان فيها فرديناند ماجلان وهو برتغالي شاب في الرابعة والعشرين من عمره . ورجعت سفن ذلك الاسطول بعد ان وصلت الى جزائر ملقا بالقرب من سنغافورة وعلى احداها الشاب ماجلان وقد أصيب بمرض في ساقه . وكان يصحبه عبد سماء « انريك » فكان له على ما سئى شأن واي شأن في قصة صاحبنا

تمتحت أمام بطلنا ماجلان آفاق واسعة . أراد ان يصل الى (جزائر الافاويه) بالابحار عن طريق الغرب كما فكر قبله كولومبوس وفيسبوتشي وكورتيز وكابوت . ولكن الفرق بين ماجلان وبينهم أن هؤلاء كانوا يقولون « ربما نجد الطريق . . » وكان بطلنا يقول « أعرف الطريق . . » فتجح هو وأخفق الآخرون

تقدم البحار الشاب الى الملك عمانويل ملك البرتغال وطلب منه في حماسة الشاب ورجاء الواثق بنفسه ان يعطيه اسطولا ليحقق مايجول برأسه فرفض . فتقدم ماجلان بالطلب نفسه الى اسبانيا غرمة البرتغال في الاستعمار فوافق ملكها شارلس لا عن عقيدة بنجاح الفكرة ولكن لان حماسة الشاب وسحر الفاظه وعميق ايمانه أخذت بلب الامبراطور فوافق على المغامرة الهائلة . ولكن الصعوبات لم تنته عند ذلك ، فان ملك البرتغال تدخل بواسطة قفصه في اسبيلية ليحول دون إبحار ذلك الاسطول بيدت الريب والروع في نفوس البحارة . وواجهت ماجلان صعوبات عظيمة بشأن جمع البحارة لتلك الرحلة - رحلة الى آفاق مجهولة قد لا يعودون منها . وتمكن ماجلان أخيراً من التأثير في بعض البحارة فانضموا إليه . وكان بين البحارة شاب ايطالي اسمه بيغافيتا من اسرة كبيرة انضم الى ماجلان « ليرى روعة المحيط » كما زعم . ونحن مدينون لهذا الشاب كثيراً فقد كان يسجل حوادث الرحلة في مذكراته النفيسة يوماً فيوماً في اسلوب رصين منع . وفي صباح ٢٠ سبتمبر سنة ١٥١٩ وقفت في ميناء سان لوكار باسبانيا خمس سفن عليها ٢٦٥ بحاراً وعلى رأسهم الشاب الاعرج . وبعد ظهر اليوم نفسه نشرت السفن اشرعتها وضربت في عرض البحر باسم الله مجريها ومرساها

ولقد كانت أصعب مهمات ربان هذا الاسطول الغريب هو ان يوحد بين هذه المراكب الخمس الهرمة المتفاوتة السرعة . فصدر امر ماجلان بأن تتجمع السفن عند غروب شمس كل يوم وتقرب من « سفينة العلم » ونحيي الربان بهذه الكلمات : « ليحكم الله .. أيها السنبور الجزال الربان .. » ثم تتفرق بعد تلقي التعليمات في نظام وهدوء . ولقد كان ربان السفن الاربع يتوقعون ان يكون لهم يد في نجاح الرحلة وذلك باطلاعهم على الخرائط واشراكهم في المناقشات . ولكن ماجلان رفض ذلك رفضاً قاطعاً . وكان عليهم ان يتبعوا سفينته طول النهار ثم يقتربوا منها عند غروب الشمس ويحيوه التحية المعتادة في طاعة الجنود ولقد كانت الطريق المرسوم للرحلة هو جهة جنوب الغرب الى البرازيل ولكن ماجلان اتجه ناحية الجنوب على شاطئ افريقيا الغربي . وكان من أثر ذلك ان تقدم جوان كارتاجينا ربان السفينة « سان انطونيو » الى ماجلان سائلاً عن سبب تغيير طريق السير . وربما كان غرض ماجلان من ذلك الاتجاه نحو الجنوب ان يجد ريحاً موافقة ثم يغير طريق السير الى جنوب الغرب ولكن كان جوابه على اعتراض كارتاجينا « ليس لاحد ان يطلب مني الافضاء بشيء إليه ! » ولقد كان من شأن ذلك الرد الحاسم ان غضب كارتاجينا لسكرامته ولم يدن من السفينة الاولى عند الغروب للتحية المعتادة . وكان معنى ذلك عند بقية الربانة انه عاد لا يعترف بسلطة

الشاب البرتغالي الاعرج المطلقة . ولكن ماجلان لم يهتم بذلك . وفي اليوم التالي استدعى ربانة السفن لاجتماع هام يعقد على سفينته وكان بينهم كارتاجينا الذي صمم على الاشتراك والمساهمة في نجاح الرحلة او خيبتها . وكانما عزاً على ماجلان ان يخضع لرؤسهِ فرداً عليه ردّاً جاقاً فاما كان من هذا الا ان أعلن العصيان فبادر ماجلان وأصدر أمره الى مساعدته بالقبض على الربان الثائر فلم يسعه الا تنفيذ الامر . ولقد كانت السرعة التي اتبعها ماجلان في حسم تلك المسألة وتصميمه على رأيه تأثيرها الكبير في بقية الربانة فلم يبنس أحدهم بكلمة اعتراض . وعند ما وضعت القيود في يد كارتاجينا تقدّم أحدهم بخضوع وطلب من ماجلان الامتناع عن إهانة السجين لانه اسباني نبيل . ولم يرَ ماجلان من الحكمة ان يمضي في التعسف الى نهايته فرضي بالافراج عنه بشرط ان يتعهد لويس ده مندوزا — الذي عهد اليه بمراقبة الاسير — ان يجعل كارتاجينا رهن طلبه . وعين ماجلان ابن عمه مسكينا مكان كارتاجينا

واستمرّ الاسطول الصغير يضرب في عرض البحر أياماً وأسابيع بدون أي حدث مهم حتى وصل الى خليج ريودي جانيرو بعد احد عشر أسبوعاً . ولا بدّ ان ذلك الخليج وتلك الارض كانا عند البحارة منهوكي القوى بمنزلة جنات النعيم . فقد خرج الاهالي من أكواخهم وأخذوا يحيون الاغراب تملو وجوههم الدهشة ولا يشيرونظرهم الريب . وقد أشار بيحافيتا الى ذلك في مذكراته الى رخص الاشياء التي ابتاعوها او قايسوا عليها ووصف كثرة الخضروات والفواكه قال :

« وكان الاهالي البسطاء يعطوننا لقاء كل جرس معدني صغير سلة كبيرة مملوءة بالبطاطس . »
وأكثر من ذلك رخصاً كانت النساء في جمالهنّ الطبعي الخلاب أو كما كتب بيحافيتا في براعة « النساء اللاتي كان كل ما يغطي أجسادهنّ السمر الجميلة شعور طوال سود كالليل البهيم . »
قضى ماجلان في تلك الجنان ثلاثة عشر يوماً ثم استأنف المسير جنوباً على ساحل البرازيل وفي العاشر من يناير وصلت السفن الى رأس سانتا ماريا فشاهدوا وراءه سهلاً وفيه تلّ عالٍ سماه ماجلان موتيفيدي وكان الخليج الذي نزله مصب نهر اليروده لابلاتا . ولكن ماجلان لم يكن يعلم ذلك فقضى أسبوعين مستقصياً عليه يكون منفذاً ينفذ منه الى بحار الشرق فخاب ظنه عندما تبين له انه مصب نهر

اختفت أرض البرازيل المحبوبة واختفت معها أشجار النخيل الهائلة وفواكهها الربانة . .
ونسأوا الجميلات السمرات . اختفى كل ذلك ولم يعد الرفاق يرون غير الماء الازرق الصافي والسماء الزرقاء المنبسطة والافق اللانهائي — عادوا لا يرون إلا منظرأ واحداً لا يتبدل ولا يتغير حتى تملكم اليأس العميق . . الا الشاب الاعرج الذي كان يحذوه الامل ثم يخفت ثم يعاوده ثم يخفت وهكذا دواليك

ومضى الاسطول يضرب في عرض البحر ناحية الجنوب . وفي كل ساعة يزيد شقاء البحارة وفزعهم . فقد صارت الايام قصاراً واليالي طوالاً وتراكم الثلج على أشعة المراكب وتجمد على جبالها وهبت الاعاصير فتحطمت ساريات ثلاث سفن ... ها قد مر نصف عام على ابتداء الرحلة المشؤومة وليس هناك أمل في الوصول الى الهدف المطلوب

ابتدأ الهمس يدور بين البحارة . لقد أمضوا عقودهم لغرض الوصول الى جزائر الاقاييه حيث التوابل والذهب . ولكن اي مصير يخبؤه لهم ذلك الاعرج الصامت المشؤوم ؟ وما زال أسطول الرعب يضرب في عرض البحر ، تتركه زوابعه فينالها أعصار ، تأمها حاراً لا يدري اي طريق يسلك ، محارباً الامواج والزوابع والثلوج . محارباً الفشل . . متحدياً الطبيعة . . لاجل الحياة العزيزة الغالية

وفي ٣١ مارس سنة ١٥٢٠ رأى ماجلان أرضاً ولكنها لم تكن الا جزيرة مقفرة قاحلة . ولم يكن في استطاعة البحارة ان يسيروا السفن فرسخاً آخر لشدة ما قاسوا وما نالهم من مشقة وتعب . فرأى ماجلان ان يمضي فصل الشتاء فيها . وحجب ذلك الى البحارة ما رأوه في مياه الجزيرة الساحلية من اسماك وفيرة . وسميت تلك الجزيرة سان جوليان

ان صبر الانسان له حد معلوم ولا بد ان يعيل يوماً فتنفجر العواصف المكبوتة في صدره عياء جاهلة مدمرة لا تعرف لها حداً من نظام او قانون او عرف . ولم يكن كل بحار (ماجلان) ولم يكن لديهم شجاعة ماجلان وشبابه ومقدرته وشخصيته وعزمه . ولذلك ما لبث التذمر ان أعلن بعد ان كان يرى على قسبات الوجوه . وكان اكثر المتذمرين ربانة السفن الاربع فأعلنوا تمردهم وسمكن كارتاجينا (الربان الذي عفى عنه ماجلان) من استمالة ربانين آخرين وثلاثين رجلاً مسلحاً وهاجموا السفينة سان انطونيو والظلام يلفهم بردائه والرعد يخفت صوت بنادقهم فقتلوا ضابطاً وعلقوه من عنقه على سارية للركب وسجنوا مسكينا ابن عم ماجلان معلنين حرب الحياة والموت وانظر الان الى ما جابوب به الشاب الاعرج

ارسل خمسة من رجاله المخلصين وعلى رأسهم الضابط الشجاع إسبينوزا الى السفينة المتمردة ومعه خطاب الى لويس مندوزا الذي عينه الثوار رئيساً عليهم

ولتجاوز ان تتصور موقف اولئك الابطال الستة وهم يقتربون بقاربهم الصغير من السفينة المسلحة في ايدي المتمردين . واذا كان اليأس يسلب الانسان عقله ويتركه وحشاً ضارياً في ثوب إنسان ، فان هؤلاء الذين كانوا على ظهر تلك السفينة كانوا في اشد حالات اليأس والتوحش فقد صارت حياتهم جحيماً لا يطاق

هو ذا القارب الصغير يقترب رويداً رويداً من مركب الرعب حتى وصل اليه والمتمردون ينظرون اليهم من ضورها دهشين اذ لم يدر في خلدكم ان ستة رجال في قارب يجرؤون على مهاجمة سفينة كبيرة عليها ستون رجلاً . ولكن رجال ماجلان الشجعان لم يبدوا خوفاً ولا اضطراباً بل سعدوا الى ظهر السفينة يتقدمهم إسبينوزا وتقدم من الربان الثائر مندوزا وسلعه خطاب ماجلان يأمره فيه بالحضور الى سفينته

كان الفخ بسيطاً ظاهراً — ذلك ما قاله الربان الثائر وما لبث فيه ان انفتح على قهقهة مجلجلة حتى تقلصوا وانقلب القهقهة الى نجحة وعواء فقد طعنه اسبينوزا في رقبته طعنة مجلجلة لم يلبث بعدها ان سقط يتلوى في دماثة الفائرة

وكما ان ليس في الارض أشجع من الانسان ، فليس فيها أجبن منه ، فها هم ستة رجال عزل يرمون بأنفسهم بين برائن ستين ثائراً . وها هم أولاء يرون رئيسهم جثة هامدة والدم يتدفق من حلقه والزبد يسيل من بين شقيه . فلم يبدوا حراكاً ولم يظهروا أية مقاومة . وانقلب الفهد المتوحش الى هراً أليف فرموا بسلاحهم أمام الابطال الستة . ووقف الربانان الثائران كارتاجينا وجاسبار كيسادا أمام الشاب الاعرج المرعب ليدفعوا ثمن ما قدمت أيديهم

ولم يرض ماجلان ان يعاقب جميع البحارة المتمردين فقد كانوا يبلغون خمس مجموع رجاله . وكان جاسبار كيسادا هو الذي قتل الضابط وعلقه على سارية المركب فصمم ماجلان ان يجعله عبرة لغيره وعقدت المحكمة لمحكمة كيسادا وآتي بالشهود وترافع عنه محاميان من البحارة وسجل الكتبة ما دار في الجلسة وجلس ماجلان في كرسي القاضي واصدر حكمه الرهيب باعدام القاتل وعرض أمر تنفيذ الحكم على خادم كيسادا وكانت له يد كبرى في الثورة ومني بالعفو عنه فقبل وبضربة فأس واحدة أطاح رأس رئيسه المتمرد

وفي اليوم التالي أصدر ماجلان حكمه الرهيب الثاني على الثائر الآخر وزميل له . وكان الحكم القاسي يقضي بتركهما وحيدين في الجزيرة القاحلة مع تزويدهما بقليل من الطعام . ولترك تنفيذ الحكم الى ارادة الآله القوي القادر

ومما يستحق الذكر ان نفس الحكم صدر ثانية في البقعة نفسها بعد خمس وسبعين عاماً عند ما ثار أحد الضباط على الرحالة المستكشف الانجليزي فرانسيس دريك فخير هذا الضابط بين الانتحار كجندي شجاع على ظهر السفينة وبين ان يقاسى ما قاساه الثائران من قبل . واختار الضابط الشجاع ان يزهق روحه بيده على ارض الجزيرة . وهكذا تخضبت تلك الارض البكر بدماء ثلاثه رجال من البروآد . ولم تنته مصاعب ماجلان عند ذلك . وخيل اليه ان حادثة سان جوليان ليست الا شؤماً ونذيراً . ولم يخب ظنه ، فعند ما انتهى الشتاء بزواجه وأعاصيره أرسل ماجلان

السفينة سانتياجو أحسن السفن وأعزها لديه للاستكشاف في عرض البحر وكان ذلك آخر عهده بها . وتمكن بحارتها من الوصول سالمين الى ارض الجزيرة ورووا لرئيسهم قصة غرقها . ولم يمالك ماجلان نفسه وقتئذٍ فذرفت عيناه الدموع

وفي ٢٤ اغسطس سنة ١٥٢٠ اصدر أمره بالاقلاع من سان جولييان المشؤومة . ولم ينس رغم ذلك ان يرسل نظرة عابرة الى من حكم عليهم أفظع حكم نطقه به قاض نكون بذلك قد رويانا للقارئ تاريخ اثني عشر شهراً من أعظم اعمال الانسان بطولة وشجاعة . سنة كاملة مرت منذ أن اقلعت السفن الخمس من سان لوكارو عليها رجال يحملون بالثروة والغنى والوصول الى (جزائر الافاويه) وعلى رأسهم شاب أعرج شجاع . سنة كاملة مرت على بطلنا ماجلان .. لم يكتشف شيئاً ولم يرج شيئاً .. بل خسر وخسر .. يحارب الطبيعة القاسية .. يحارب اليأس يحارب شيطان الضعف في نفسه . فالى متى ينزهي هذا الصراع البشري ..؟!

ولو علم ماجلان وقتئذٍ انه أصبح قاب قوسين أو أدنى من النهاية لقضي عليه من الفرح . فقد نالت عليه المحن متوالية متتابعة في غير رحمة او هوادة حتى كاد ييأس من الوصول الى نهاية الرحلة . ولكنه كان شاباً ذا أمل

وتشاء الاقدار أن تصيبه بضربة اخرى أشد قوة وقسوة . ففي يوم ٢١ أكتوبر رأى جزيرة اخرى قاحلة وارتأى أن يستريح بسفنه جوارها بضعة أيام . وارسل السفينتين سان انطونيو وكونسبسيون لاستكشاف شاطئ الجزيرة على طوله . وهبّ اعصار في السماء حتى كادت ان تحطم سفينة ماجلان نفسها بين الصخور . وكان نفس القضاء لا بد حالاً بالسفينتين الاخرين . وبقي ماجلان ومن معه من البحارة على شاطئ الجزيرة منتظرين مترقبين بقلوب هالعة جازعة . وخيل اليه ان الاقدار تضحك منه وانها حكمت عليه نفس الحكم الذي اصدره على البحارين المتمردين . وبعد اربعة ايام من الانتظار الرهيب ظهرت السفينتان في عرض البحر تحتالان فوق الماء نيهاً وزهواً . لم يصدق ماجلان عينيه ولكن المدافع التي كانت تطلقها السفينتان باستمرار لم تترك للشك سبيلاً الى قلبه . ولكن — تساءل ماجلان — لم تطلق السفينتان البارود الثمين هكذا بدون توقف ؟ ..

كانت السفينتان العزيزتان تحملان أخباراً سارة لبطلنا اليأس . فقد هبت العاصفة المروعة عليهما وقطع كل أمل . فالرياح العاصفة تدوي من الخلف وتدفعهما ناحية الصخور الهائلة أمامهما . وعلى حين فجأة ، وكأنا ذلك عمل ساحر ، رأى ربان سان انطونيو ممرّاً صغيراً بين الصخور فاحتوى فيه ولحقت السفينة الاخرى . وكان في ذلك النجاة . ومع انهما لم يجدا المخرج الغربي لهذا الممر الا أن الرجال كانوا على ثقة بأنه مضيق

وتقدمت السفن الاربع وعلى ظهر الاولى ماجلان باضطراب ورهبة من الممر السحري الذي كان على أكبر جانب من الخطورة فإن أقل خطأ كان يودي بالسفن ويحطمها على الصخور ولم ينس بطلنا ان يطلق على ذلك الممراسم فسماه «تودوس لوس سانتوس» وهو يعرف الآن بمضيق ماجلان. وظلت السفن تتقدم ببطء في ذلك الطريق الضيق ولم يعلم أحد الى أين يفضي بهم وبعد شهر من الزمان من التعب والمشقة والحذر في اجتياز مضيق يعد اجتيازه من معجزات الملاحة على من عرفه فكيف بك على مكشفه، خرجت السفن سليمة من طرفه الاخر الى عرض المحيط الواسع فبكى الشاب الاعرج وتساقطت دموع الفرح والتأثر غزيرة على شعر ذقنه الطويل الكث

لم يكن فرح ماجلان لأنه وصل الى غرضه بل لأنه عرف الطريق الذي يسلكه بعد ذلك. وقد كان طريق الرجوع الى الوطن من ناحية المحيط سهلاً ميسوراً. هنا وقف ماجلان يتنازعه عاملان، هل يترك المهمة الكبيرة ويرجع الى الوطن المحبوب، او يمضي في رحلته الى النهاية؟ استدعى ماجلان ربانته السفن الاخرى لاستطلاع رأيهم في ما لديهم من الطعام المخزون. ثم بسط لهم حقيقة الامر في أسلوبه الساحر وحماسته المتوقدة. لقد حقق الجانب الاول من هدفهم فهل يمضون الى النهاية؟ ولكن التخيل شيء والحقيقة شيء آخر. ولم يكن من المعقول ان يتوقع ماجلان من زملائه موافقته على المضي في تلك الرحلة المرعبة. وفعلاً عارض أحد الربانته رئيسهم وكان أكثرهم تشبهاً برأيه استافو جوميز ربان السفينة سان انطونيو الجديد. وكانت هناك حقيقة مرّة يعلمها ماجلان وهي نقص المؤن نقصاً يندب بالخطر

وكان رأي جوميز انه اذا آتتهم الاقدار فانهم سيموتون جوعاً ولا ريب. وهو رأي تؤيده الوقائع. الا ان مجلان كان أكثر اهتماماً بعمل عظيم خالده منه بحياته الفانية ولذلك عزم على المسير وأصدر الامر الى ربانته السفن بان يخفوا عن البحارة قلة المؤن

وأرسلت سفينة بقيادة جوميز بعد ذلك لاستكشاف فرع من فروع المضيق ومضى الوقت المعين لذهابها وايابها ولكنها لم تعد، ففضى ماجلان أياماً في البحث عنها على غير جدوى واخيراً استدعى منجماً وسأله في أمرها، فتذكر المنجم أقوال جوميز عن التقدم والتكوص فقال لمجلان ان السفينة عادت الى أسبانيا

هنا واجه مجلان موقفاً حرجاً وتعين عليه ان يصدر قراراً خطيراً ذلك انه كان يعلم ان السفينة الناكسة، كانت تحتوي على معظم مواد الغذاء، فالسير في الرحلة كانت بمنزلة الانتحار. ولكن

وفي ٢٨ نوفمبر سنة ١٥٢٠ رفعت الثلاث سفن الباقية أشرعتها ضاربة في عرض المحيط المجهول ناحية الغرب

« .. وهناك في مكان بعيد وراء الأفق لا بد ان تقع جزائر الافاويه .. جزائر الدفء والثروة .. » كذلك قال ماجلان في نفسه ، « ولا بد » ان أجدها بلاد الصين العظيمة ثم هندوستان .. وبعدئذ .. وبعدئذ .. هناك في أقصى الافق لا بد ان أصل ثانية الى أسبانيا العزيزة .. »

واختلج بدن بطلنا الكبير من النأثر وسقطت دمة كبيرة على وجهه الاسمر الطويل الشاحب وأطلقت السفن الثلاث مدافعها تحية للمحيط الذي أخذت تحترق عبابه وهي لا تعلم مصيرها فيه

ويعتبر أول اجتياز لهذا المحيط المجهول من أبهر أعمال الملاحة التي سجلها التاريخ للانسان ولقد قيل عن رحلة كولومبوس أنها عمل فذ من أعمال البطولة مع ان سفنه كانت جديدة متينة ولم تزد الرحلة ذهاباً على ٣٣ يوماً . وكانت سفنه وافية الزاد ففي وسعه الرجوع الى الوطن اذ اثبتت عجزه عن الوصول الى ضالته

وها هو ذا الشاب الاعرج وها هي ذي رحلته الحقاء . ها هو ذا ماجلان يتجه باختياره الى فضاء لا يعلم له آخر مع بحارة يائسين هالكين يحوطهم الحرمان ويهددهم الجوع الذي لا يرحم . ها هو ذا ماجلان يرمي بنفسه في يد القدر وسط المحيط الهائل في ثلاث سفن هرمة هالكة تكسرت اشراعها ووهت حبالها . تلك هي رحلة ماجلان . ولما استكملت بعد ..

وسارت السفن تضرب في عرض المحيط الهائل اللانهائي . ومررت اربعون يوماً ثم خمسون ثم سبعون ثم مائة . . ولا أرض ولا امل في بلوغ أرض . ولم يكن ماجلان قد قطع اكثر من تلك ذلك المحيط الهائل الذي سماه « الباسيفيكي » أي الهادى . لأنه كان هادئاً حنوناً

وكان المحيط حقيقة هادئاً ولكنه هدوء الموت . فالماء الازرق لا تبديل في لونه والفضاء المتسع لانهاية له والسما الصافية المنبسطة والشمس في وسطها ترسل شواظها من نار . ونحلت وجوه الرفاق وغارت عيونهم في محاجرها جوعاً وتعباً ورعباً . واصبحت السفن الثلاث تحمل فوق ظهورها أشباحاً متحركة وأصبح كل شبح منهم مثلاً حياً للبؤس والفزع والجوع

والطعام .. . كان لا يزال موجوداً ولكن .. اي طعام ! .. فالماء العذب لم يعد عذبا بل غدا آسناً أشبه بماء المستنقعات والبرك . والحبز تعفن وتحلل وصارت ترعى فيه الديدان والسوس . والفئران أصبحت من اللذائذ المشتهاة وغدت تطارد في كل الجوانب . وأكل الرجال نشارة الخشب وجلود احذيتهم ليسكنوا صرخات الجوع القاسية في معدهم . ومات من البحارة الباقين مع مجلان عشرين وأشفق الرب أخيراً على ابنائه وشملهم برحمته في السادس من مارس سنة ١٥٢١ رأى ماجلان جزيرة عن بعد واقترب منها في حذر وأحاطت به قوارب

الاهلين ملوحين بسعف النخيل ولكن الاسبانيين الهالكين لم يفهموا تلك التحية بل كان الطعام كل همهم . فزل اربعون منهم مسلحين وحرقوا أكواخ الاهلين الامنين وسرقوا ونهبوا كل ما صادفهم في طريقهم . واستراح البحارة ثلاثة أيام أكلوا فيها فواكه وأسماكاً وشربوا ماء عذبا . وفي صباح اليوم الرابع نشرت السفن أشرعتها وعاودت الرحلة اللانهائية

وصادت السفن في طريقها عدة جزر أخرى متقاربة سماها ماجلان جزر الفيلين وهي الجزائر التي دخلت ضمن أملاك الامبراطور شارلس وقد بقيت في حوزة أسبانيا مدة أطول من جميع البقاع التي كشفها باسم اسبانيا كل من كولومبوس وكورتيز وبزارو

وفي ٢٨ مارس وصل ماجلان الى جزيرة مازافا حيث رحب به ملكها كالامبو واستضافه عدة أيام وزوده بمؤن كثيرة وأخبره ان أقرب الجزر اليه هي جزيرة زيبو فأبحرت السفن متجهة اليها هنا دهش ماجلان عند مارأى عبده « اريك » يفهم معظم ما يقوله سكان مازافا فعلم انه انتهى من تطويق الارض ، وان اريك أصبح في منطقة كان ماجلان قد بلغها اولاً في رحلته الاولى شرقاً . وبعد مسيرة نصف يوم وصل ماجلان الى جزيرة زيبو . وكان أول ما فعله ان أطلق جميع مدافع المراكب دفعة واحدة فأرعب الاهالي وأظهر ملكهم الذي دعاه ورجاله الى وليمة كبيرة فيها استعداده لتبادل المتاجر معه . ولقد توطدت الصداقة بين ماجلان والراجا حتى ان الاخير أعرب عن رغبته في اعتناق الدين المسيحي . وفي حفل كبير وطني اجتمع الراجا ورؤساء القبائل وقدموا الطاعة الى ماجلان باسم أسبانيا ودخلوا والاهلون في دين الله أفواجا وخيل الى ماجلان ان النجوم قد انحازت الى صفه وان السعد أصبح رفيقه وان النجاح أصبح اليه قاب قوسين او أدنى

وكانت بالقرب من زيبو جزيرة أخرى اسمها ماكاتان كان يذهب اليها البحارة في قوارب ويطاردون النساء الوطنيات ويحرقون أكواخهم أثناء الصدام . ورأى ماجلان ضرورة اظهار بطشه لاهالي تلك الجزيرة فصمم على ان يلقنهم درساً قاسياً . ولقد أظهر ملك زيبو استعداده لارسال الف محارب مع ماجلان ولكن هذا رفض وأخذ معه ستين بحاراً مزودين بالبنادق كان موقع جزيرة ماكاتان محصناً بالصخور من حوايلها ولذلك كان اقتراب القوارب منها لا يخلو من خطر . ركب ماجلان الزوارق مع رجاله وأخذ يقترب من الجزيرة واستعد الأهلون للنضال . وعلى رأسهم ملكهم مزودين بالسهام المسمومة والنبال . ولندع بيحافيتنا وقد كان من ضمن المحاربين يصف لنا المعركة :

« عندما رأى الاهالي المتوحشون ان نيران البنادق في الزوارق عادت لا تحميها هجموا علينا هجمة رجل واحد بقسيهم ونبالهم حتى ساد الاضطراب بين صفوفنا وانقلب هجومنا الى دفاع . ثم

أصيب القبطان بنبل مسمومة في ساقه أقعدته عن الحركة وهرب بقية البحارة شذر مذر ولم يبق بجانبه إلا خمسة رجال . ولقد ازداد توحش المحاربين عندما رأوا القبطان طريق الأرض فتحولوا بمجموعهم ناحيته قصد التنكيل به وتحقق ماجلان من الخطر المحدق به فتناسى آلامه وجروحه وقام يعدو صوب الشاطئ والدم ينزف من ساقه والسهام تتساقط حوالبه حتى وصل الى الشاطئ سليماً . ولكن لم تلبث نبلة ان اخترقت فخذه فوقع في الماء في وجهه وهجم عليه عشرات منهم بجراهم وسهامهم وظلوا يطعنونه حتى تهلّل جسمه وزهقت روحه .. »

وهكذا مات البطل العظيم افضع ميتة . مات ولم يحقق املة الذي ولد وعاش وتغرب وقامى لأجله . مات قبل ان يصل الى نهاية الرحلة وقد صار منها على قاب قوسين . مات ولم يرجع ثانية الى بلاده المحبوبة ولم ير الفخار والعزة التي كانت في انتظاره . . بل ان رجاله عجزوا عن استرداد جثة رائدهم وزعيمهم ! . .

لم يبق من البحارة وقتئذ الا ١١٥ بعد ان كانوا في بدء الرحلة ٢٦٥ فاضطروا ان يشعلوا النار في احد المراكب ويغرقوه لقلّة عددهم . واخذ سباستيان دل كانوا مكان ماجلان ولكن هبّات ان يملأه . وسارت السفينتان الباقيتان تريبيداد وفكتوريا جنباً الى جنب تأهتين وسط المحيط الخضم مدة ستة اشهر . وما زال القدر الغاشم يعبث بهما فما لبثت ان قامت عاصفة هوجاء ففرقت تريبيداد وعليها ٥١ رجلاً

واخيراً وصلت السفينة الباقية فكتوريا الى جزائر ملعة ، جزائر الافاويه والثروة بعد اسبوعين حيث اكرمهم الاهلون كثيراً ولبثوا فيها بضعة اسابيع وهم لا يكادون يصدقون ان تلك الرحلة المروعة قد انتهى نصفها . وحملوا السفينة كل ما تستطيع حمله من توابل وبهارات وابتدأ الشق الثاني من الرحلة — شق الطريق الى الوطن

ولقد كانت رحلة السفينة فكتوريا حول النصف الجنوبي من الكرة الارضية — بعد ان اتمت الرحلة حول نصفها الشمالي في ثلاثين شهراً — من اعظم اعمال الملاحة البحرية التي قام بها الانسان في كل العصور

وأخذت السفينة فكتوريا تهادى بحملها الثمين فوق مياه المحيط في طريقها الى الوطن الغالي وأعيدت المأساة مرة اخرى . فقد فسدت المؤن وتلفت لشدة الحر ووقع البحارة مرة اخرى فريسة الجوع القاتل . ولم يكن في وسعهم ان يأكلوا الفلفل الاحمر بدل الطعام او جوز الطيب بدل الخبز . واخذت حيتان البحر تتبع السفينة متلقفقة ما برعى من الجثث في البحر

وفي ٩ يوليو سنة ١٥٢٢ وصلت السفينة الهاسكة الى سنياجو في جزائر الرأس الاخضر (كايب فرد) التي كانت تابعة للبرتغال . وكان ذلك بدءاً لهم فأخذوا كفايتهم من المؤن وواصلوا الرحلة

ولم يكن قد بقي من السبعين رجلاً الذين ابجروا من جزائر الافويه الا ثقل بعد على اصابع اليدين فكان عليهم ان يبذلوا جهود الجبارة لتسيير المركب بحملها الهائل وفي ٤ سبتمبر سنة ١٥٢٢ وصلت السفينة الى رأس سان فسننت في أقصى الغرب من البرتغال وبعد يومين وصلوا الى سان لوكار حيث بدأوا الرحلة قبل ثلاث سنوات خلت . وربما الرجال بأنفسهم على الشاطئ . يقبلون أديم الارض ويعفرون بتراب الوطن وجوههم وفي صباح اليوم التالي أبحرت السفينة فيكتوريا نشطة سعيدة متجهة الى أسبيلية . وعند وصولهم اليها صاح الربان ان « أطلقوا المدافع جميعاً ! »

وكما أطلقوها مودعين الوطن قبل ثلاث سنوات ، وكما أطلقوها عند ممر ماجلان محيين المحيط الهادي ، وكما أطلقوها مرة ثالثة ورابعة محيين جزائر الفيلين ، أطلقوها مرة أخيرة محيين الوطن العزيز . ولم يكن لصوت البارود في آخر مرة شبيه في المرات السابقة ولم يكن يعادله صوت الموسيقى الشجية والرفاق يهتفون بين دويها :

« لقد عدنا . . لقد عملنا ما لم يعمل أحد من قبل . . لقد درنا حول العالم »

واجتمعت ألوف من الناس ليشاهدوا الاعجوبة وليروا السفينة المباركة وشحنها الهائلة وبحارتها الذين صيرتهم أهوال الثلاث السنوات شيوخاً هرمين وكان اول ما عمل اولئك الابطال عند ما نزلوا أرض الوطن في أسبيلية ان ساروا صفاً واحداً في خرقهم البالية الى بيت الله حيث ركعوا خاشعين شاكرين مترحمين على رئيسهم البطل ورفاقهم الشجعان

وبلغت اخبار تلك الرحلة جميع انحاء اوربا . ولم يدهش العالم (المعروف وقتئذ) او يعجب بحدث بعد رحلة كولمبوس اكثر من دهشته لتلك الرحلة واعجابه بأبطالها . وانتهت اعظم الشكوك الجغرافية في ذلك الوقت وصدق الجميع ان الارض كروية

ولن ينسى التاريخ ماجلان اول بحار اخترق ممر ماجلان . لن ينسى التاريخ ذلك الشاب الاعرج الذي برهن للعالم الى اي مدى يصل بالانسان عزمه . ماجلان الذي اصبح المثل الاعلى للشجاعة الخارقة والعزم الراسخ . ماجلان الذي مات قبل ان يرى ثمار عمله . ويرى رأسه مكلاة بأكاليل الغار

[محمد سعد فوزي]

جَذِيْقَةُ الْمُقْتَطِفِ

مختارات

من الشعر الرائع

للشاعر الفرنسي بودلير Baudelaire

[نقلها : خليل هنداوي]

بطرس وما صنع

للشاعر الفرنسي : جان ايكار

[نقلها : احمد أبو الحضر منسي]

الى الابتسام الهاجر

نموذج من الشعر الهندي

[للسيد ابو النصر أحمد الحسيني الهندي]

مختارات

من الشعر الرائع

للشاعر الفرنسي بودلير Baudelaire

١ — المجال

أنا جميلة أيها البائدون كأنني حلمٌ حجري .
وصدري ، حيث ينثني كل واحد عنه خائباً ،
إنما صنع ليلهم الشعراء ،
حباً أزلياً صامتاً صمت المادة الابدية !

انني أستوي في السماء كتمثال مبهم ، لا يفهم .
أجمع قلباً بارداً الى حلة الطيور البيض .
أكره الحركة التي تغير الملامح وتبدل الخطوط^(١)
ولن أبكي ولن أضحك أبداً .

والشعراء — ازاء اوضاعي السامية —
التي كأنني اقتبسها من أكثر التماثيل زهواً وكبراً ،
هؤلاء الشعراء سينفقون أيامهم في دروس صارمة^(٢)

لان لديّ — كي يجتذب نفوس هؤلاء العشاق الودعاء —
لدي مرايا صافية ، تجعل كل شيء ينعكس فيها وهو أنقى جمالاً .
هذه مرايا عيني ...
عينيّ الواسعتين للسمات الازلية .

(١) رمز لعدم الاحساس في القلب البارد ، والصفاء في لون الطيور . وهو يطلب ازاحة كل ما يتعلق بالحياة ، لان المجال — عنده — أمر يفوق الحياة
(٢) لان عشاق المجال الحقيقيين لا يستطيعون انفصالاً عن درس اعماقه

٢ - انشودة للجمال

هل انت تهوي من السماء العميقة او تخرج من الهاوية ؟
ايها الجمال !

ان نظرتك الجحيمية والالهيّة تنشر -- بلا نظام -- الجريمة والاحسان .
انك لتشبه الحمر فيها اثم كبير ومنافع للناس .

انخرج انت من الهوة السوداء او تنحدر من بين النجوم ؟
والقدر المقتون يتبع هُدّاب ثيابك .

وانت تغرس -- غرساً أعمى -- الافراح والنكبات .
تسيطر على كل شيء ، ولا تسأل عن شيء .

وتمشي -- ايها الجمال -- على اموات تسخر منهم .
وليس الهول بأقل فتنة وحسناً من حليك وزخرفك والقتل -- بين تحفك القيمة --
يرقص بهوى على صدرك المتكبر !

ما همي -- اذا كنت مقبلاً من السماء او الجحيم ! --
أيها الجمال ، أيها المسخ العملاق الباعث على الهول ، السليم القلب
ما همي اذا كانت عينك وابتهامتك وقدمك تفتح لي باباً من -- لانهاية --
أحبها وما عرفتها ابداً

ما همي -- ان كنت رسول شيطان او آله ؟ املاكاً ام ساحرة !
ما همي -- اذا كنت ياذا العينين الخميلتين ،
أيها الايقاع ، أيهذا العبق المنشور ، أيهذا الشعاع المسحور .
يا سلطاني الوحيد

ما همي ما دمت تجعل في ناظري هذا الوجود أقل قبحاً ،
وهذه اللحظات أقل ثقلاً على نفسي

٣ — سمو

فوق الغدران والوديان والجبال
والغابات والغيوم والبحار . . .
واقصى من الشمس ، واقصى من الاثير .
وأبعد من تخوم العوالم المسكوبة
تتحركين يا روعي برشاقة
وتفغذين — بغبطة — الى الفضاء العميق ، ولذة هادئة نشيطة كسباح ماهر يتعش في الماء
ألا ارتفعي بعيداً عن هذه الاجواء الموبوءة
وتطهري في الجو الاسمى .
وارشفي — كشراب صافي آسهي —
النار اللامعة السنا ، التي تملأ الافاق الساطعة .
وراء العجز والهموم الكثيفة
التي تنوء المادة البخارية بأثقالها .
سعيد ذلك الذي يقدر — بجناح قوي —
إن يغتدي الى المروج الزاهية النقية .
ذلك الذي تحلق أفكاره كالفبسات
يصعدن بحرية في الفجر نحو السماوات .
ذلك الذي يشرف على الحياة ،
ويدرك — دون جهد — لغة الازهار والاشياء الخرساء .

* * *

٤ — رسالت

الطبيعة معبد يضم دعائم حية
يخرج منها في بعض الاحيان كلمات مبهمه .
هنا يمر الانسان بغابات من الرموز التي تنظر اليه نظرات أنيسة .

الطيوب والالوان والالخان
تجاوب كالاصداء الطويلة التي تمازج بعيداً
في وحدة عميقة مظلمة واسعة كالليل وكالضياء .
هنالك طيوب ندية كابدان الاطفال الفضة .
عذبة كالزماير ، خضراء كالبروج .
وطيوب فاسدة غنية قوية !
تبيع اسرار الاشياء الانهائية .
كالند والمسك والبخور واللبان ،
التي تنغى باهجة الروح والحواس .

* * *

٥ — الغريب

— لمن حبك الا كبر ايها الرجل المبهم ؟
— ألا بيك ام أمك ، ألا ختك ام أخيك ؟
— لا أب لي ولا أم ولا أخ ولا أخت !
— ألا صدقاتك ؟
انك تلهج بكلمة لا يزال معناها عندي مجهولاً حتى الآن .
— أوطنتك ؟
انني اجهل على أية قمة يقوم هذا الوطن ؟
— الجمال ؟
— سأحبه بارادتي كالهة خالدة !
— اللذهب ؟
— أبفضه كما تبفض الاله .
— ما ذا تحب اذاً أيها الغريب ؟
— أحب الغيوم . . . الغيوم التي تسمى ! . . . هنالك . . .
هنالك : . . الغيوم المذهلة .

[نقلها : خليل هندواي]

بطرس وما صنع

التربية والثقافة في بلاد هؤلاء الغربيين الذين ناطحوا السحاب علماً وحضارة
انما تبدأ مع الرضاعة ، ويتكفل بها كل من أعدته وظيفته لذلك من اب وأم ومعلمين
وكتاب ، كأن بينهم على ذلك عهداً وإلاً ، ليس أحد منهم يغفل عن إداء حصته
الواجبة ، وقسطه المنوط بذلك . ولتجدن الناس يحاط بهذه التربية وهذه الثقافة ،
طفلاً وإفعماً من كل جانب ، وفي كل موضع وجبت فيه وحققت . فهي في البيت ،
وهي في المدرسة ، وهي في الحياة العامة ، وهي في الكتب والمجلات والصحف

أما الصحف والمجلات فقد أخرجت لهم صحف ومجلات خاصة بهم موقوفة
عليهم ، تفقههم بالحكاية والقصة والنادرة ، وتقهم بالوان من النقش والتصوير ،
حتى ان بعض الصحف الكبيرة مثل « الماتان » في فرنسا تفرد جانباً من صفحاتها
أياماً من الاسبوع ، تحفهم بالفكاهات ممتلئة بتصاوير مضحكة على أشكال الحيوان والطيور
أما الكتب ، فجميع كتب التعليم والدراسة قد استقصت ذلك بشكل عجيب ،
وأنت منه بكل فن غريب . وتجد الشعراء ينظمون مقطوعاتهم وقصائدهم في كثير
من مناحي التهذيب والتقويم مما ينفث في نفوس الناشئة ، وأعضاء الاسرة كل معاني
القوة وغرّ الاخلاق ، بل ان منهم من عرّف بضرب من الشعر والادب هو شعر
وأدب الطفولة ، من ذلك الشاعر المشهور جان إيكار (Jean Aicard) ، فقد خصّ
جانباً من أدبه البارع الفاض ، بالأطفال . وبجانب ما كتب وألف ، دجج للأطفال
ما دجج ؛ ومثله فرانسوا فاييه (François Fabié) وأوجين مانويل (Eugène Manuel)
وأشهرهم في ذلك جان إيكار فله كتاب الاولاد (Le livre des petits) وأغنية الطفل
(La chanson de l'enfant) . كل أولئك جمع منشورهم ونظمهم فأوعى ، من كل
ما يثقف ويهذب ويطلع نفوس الاحداث على الهمة والاقدام والتضحية ومحبة الوالدين
والوطن ، والتولع بالدرس والعلم ، وما الى ذلك من سائر أخلاق الرجولة التي بها
نجاح الفرد في الامة ، والامة في سائر من فطر ربك من خلقه

ومجلة المقتطف الغراء وهي أم مجلات الشرق أجمع ، ومكانتها ما تعلم من نشر
العرفان والآداب وضروب الثقافة ، ومحاسن الاعراق ، كما نراها تحفل بنشر كل
ما ينهض بالامة من ناحية تقويم الاسرة ، وتهذيب الطفولة وثقيفها ، جديرة بأن

تفسح لنا شِئَةً من صحائفها الغرّ ، لنشر هذه المنظومة البارة من نظم الشاعر
جان ايكار ، فانها من جهة ، مثل نسبوته على ما قدمنا من القول ، ومن جهة أخرى
قطعة من الخلق القويم العالي الذي يحب ، وتحب بحلة المقتطف الزهراء ، ان يتحلى
به أبناؤنا وفلذات أكبادنا ، رجال المستقبل لهذا الوطن العزيز الكريم
والى قراء المقتطف الافاضل ترجمة هذه القصيدة البديعة :

— بطرس وما صنع —

هذا ما صنع بطرس اذ كان حَدَثًا ناشئاً
قال لي ، كان ابي ملاً حاً فسافر ،
ناثياً عنا مراراً ، عاماً اجمع
(انما اكرر عليك ما قال لي بطرس)
.... رأيت امي في ليالي الشتاء غالباً
تبكي ، مطبقة الحُفنين ، تنصت للريح بأذن مرهفة
— فقلت لها : « ما بالك يا أماه قد اسبلت عينك ؟
— فقالت : « آواه ! يا ولدي . الله يحفظنا ويرعانا !
ذلك لا كون احسن نظراً في باطني . قال : وما ترين في باطنك ؟
— قالت : سفينة مائلة تلطمها امواج صاخبة ،
تحمل اباك في وجه هوجاء عاصفة .
حينئذ ادنت مني وجهها تقبلي .
اما انا فقلت لها في اذنيها هامساً ،
« اريد اراه مثلك ، ولن تجديني باكياً
* * *
وعاد ابي ، وافرحناه وواجدلاً !
نسيت الدار ما طانت من آلام الغيبة .
ولكني كنت لا أفتأ أتمثل ليالي الشتاء ،
اذ الريح تذكرني بالسفان يخضن البحار .
وكان ابي اذا هم بالخروج ولو ساعة ،
يقول أسيفاً : « ها إن بطرس يبكي ا » .

حينئذ كانت أمي بين ذراعيها تضميني :
وأبي أحياناً من تأثر لا يخرج .

* * *

ف ذات ليلة وكنت أبدو في إغفاءة الكرى
كانت أمي وأبي ، بعد العشاء خلا الحديث لهما
فقال أبي : « غداً السفينة ترفع ،
» جدد بعيد ولكنها في بعض الثغور تنزل ،
» وهناك أكتب إليك فاهدي بالاً وترقي .
» أما بطرس فطيب ، ولكنه شديد الضعف رفته بالفه ،
أني لا أحب هذي الدموع ، وذا العويل ، وذا الحزن الشديد .
إن أولاد الملاحين لا بد تكون نفوسهم أشد صلابة من الحديد !
يشق عليّ أن أغادر غلاماً في سنه
دون أن أقبله ، لئلا نخذه شجاعته
أني أريد أراه رجلاً لدى عودتي !
لو يعلم أني الفداء وجه النهار أسافر ،
لشد ما يحزن ! أروم الشخوص وهو في رقاده غارق . »

* * *

بمثل ذلك تكلم أبي ، وكنت أرهف مسمعي .
لا أنكر أنه ذمّني ممي تسمعي ،
ولكن ما افدته من ذا بعض العذر يكسبني
ذلك إني قلت لنفسي : « كن ذا نفس قوية يا بطرس ! »
وفي الفداء حين فتح الباب أبي ،
يدلف على أطراف قدميه الهويني ، الهويني ،
ألفاني لدى عرض الباب راقداً مستلقياً ،
فوق طنفسة للكلب ، كلانا جنباً إلى جنب ،
فأفقت . وأقبلت أمي ؛ أما أنا فقلت عالي الرأس مفاخرأ ،
هاء نذا لا أبكي ! أني رجل ، فانظر يا أبي ! ... »
فكان هو أبي ، هذه المرة الباكيا .

الى الابتسام الهاجر

[نموذج من الشعر الهندي]

ان عالم الحب عالم مستقل ذو عرف واصطلاح ورموز خاصة لا يعرفها
الا من طاقى الحب من صميمه . فالتكرار في جرات الحب أو ما يرمز
اليه أكثر لذة واستحسانا فيه من الجودة والطرافة في غيره

بالوصف !

طأطأ قلبي رأسه ^(١) العزيز لسلطان جمالك
وخاض مخاطر الحجب أشعتك الالامعة
فولد به في عالم لم يك يعرفه
وتقمص به حياة لم يدرك شؤونها
فكنفته كنف الطير فرخه
واسبغت عليه حنانك اسباغ الأم حنانها على الطفل
فكنت تغذين شعوره الحديث بتلاؤ جمالك حيناً
وتداعينهُ وتسلينه في كآبة انفراده بالتصويت والتصفير طوراً
فكان يتدلل عليك ويتفجع
ويجد في عطفك برداً وسلاماً من مفاجأة الهوى المضرمة
وفي حنانك سبباً للحياة والسعادة
فكنت كالمغنطيس المصوب اليه
ينجذب وينسحب اليك من حيثما حل واينما رحل
نعم ! من حيثما حل واينما رحل !

(١) طأطأ رأسه لفلان اي خضع له

فان الحب قد يعود بشجع محبوبه أو لا يعود
ولكن سهم المحبوب متى ابتنى الحب لا يخطئ

طأطأ عطفك بعنان^(١) قلبي
ليحضر في مرج نورك الزاهي
وليتنعم في حديقة جمالك الباهر
فقد أرتع به منطلقاً في جنة عالية
يشع فيها ضوءك قطوفاً دانية
لا ترى فيها شمس ولا زمهرير
تسقى فيها كوؤس روائك السلسيل
فأي نعيم أعظم من الذي أنى على غير انتظار
ما دامت الدرّة اليتيمة لا تبحث بل تبحث
وأي سعادة أكبر للقلب من هاتيه السعادة
ما دمت مسبغة عليه ما يتمناه
فان أسعد الحياة للسمك ليس إلا في الماء
وأطرب الانغام لديه وأعذبها ان هي إلا طبطة الامواج او خرير المياه

طأطأت ستر الغرابة^(٢) لقلبي عن وجهك الصبح
ورنوت اليه بعينيك النجلاوين الساحرتين
فأنقك به من أسر العقل
وانطلق من كبل التفكير
ينخوض غمار الشعور طليقاً
ويجوب آفاق السحر حراً
يتنعم بحرية لم تخطر بباله
لا في أسر العقل ولا في كبل التفكير

(١) طأطأ يده بالعنان اي ارسلها به للاحضار (٢) طأطأت المرأة سترها اي حطته

نعم ! « بحرية » ولدها الحب وربها الجمال
 فهي منيعة الدرك للعقل ووعدة الملتبس للفكر
 هي مزيج حلاوة الجمال ومرارة الحب
 ورحيق الضدين المجتمعين المرتفعين
 ليت أهل الحكمة والمنطق كانوا عشاقاً وشعراء !
 ليتهم جابوا فلولات الجمال ، وخاضوا بحار الشعور ، وتسوَّروا شرفات الحب
 فعرَّفوا تفاهة قوانينهم العقلية وخسة مبادئهم المنطقية
 ان في الحب يتحد الضدان ويندمج المتباينان
 إنه واحد واثنان في آن واحد
 إن في قطبيه يجتمع الفناء والبقاء
 ففي أحد طرفيه تميز شخصيتك فتقول : « ها أنا ذا »
 وفي آخرها تنعدم شخصيتك فتقول : « لا أنا إلا أنت »
 إن الحب ملق الحسارة والمنفعة
 فالحب يسلم نفسه كاني الزند ^(١) للحب
 ليتسلفها واري الزند ^(٢) في الحب
 نعم ! الحب عالم ، صعب الارتياح للعقل وأبي القياد للفكر
 لأن مدى العقل معرفة الصفات
 وأما مدى الحب فالاتحاد بالذات

طأطأت الركض في ثراء جمالك ^(٣) لي
 نجسنت به في القلب الاماني
 وحررت المواطف من أسر الرقود
 وخلقنت للحياة قيسماً جديدة لم نهجس في الضمير
 قبلت ما لم أعلم وشعرت ما لم أشعر

(١) أي خامراً (٢) أي ناجحاً راجحاً (٣) طأطأ الركض في زانه أي أسرع اتفائه وبالفتح

إن مصدر الحب بين القريين الصلة والدم
ومنبع الحب بين الجنسين العاطفة والشعور
يستظل الاول بالماضي
ويورف الثاني الحال
هو كالنار في الزند
إذا قدحت أحرقت ما حولها من التالد والطارف .
كنتُ بالأمس فاتح القلب لغيرك
واليوم أنا موحد القلب لغيرك
وبالأمس كنت بريئاً منك لهم
واليوم أنا بريء منهم لك
بالأمس رتعت في براءة الصغر
واليوم أمرح في براءة الحب

طأطأتُ نضرتُك في بذر الحب^(١) في قلبي
وسقاء رواءك وغذاه نور عينيك الساحرتين
فأصبح كجنة ربوة أصابها وابل فأتت أكملها ضعفين
رباه ! ما هذا الوجود ؟
فانه منذ حل القلب لم يعد الكون يزن به شيئاً
كلما طلع طلوع الشمس من برجها على أفق قلبي المظلم
طرب القلب على اوتار أشعتها
طرب الميضراب لنغمة الحب الصامتة
وقدر حركة الطرب فيه ونشاطها
حل العين من سحره سُكْرُ الحيرة سكونها

(١) طأطأ في الامر اي اشتد وبالغ فيه

حقاً وصفه عباد جنج في اسطورة ^(١)
 انه خلاصة الكون
 ولباب الجمال فيه
 كم شيء خاض الشعور قمره
 وهز الحياة قرارها
 فانشج الاسطورة او ارتدى القصة
 انهما دليلا الادراك الى الحقيقة المحجوبة
 واحسرتاه! قلبي يحترق شوقاً اليك
 والعرف يحول دون الوصول اليك
 كم قلوب دامية قدمت قرباناً لآلهة التقليد!
 كم أكباد رطبية أهدمت تقديساً للعرف!
 ان كل كاس شربتها من روائك على متن الاثير
 أضرمت شوقي وزادت غلتي
 ان نور الشمس يرد نظري كليلاً وخاسئاً
 ولكن نور محياك يزيد بصري حياة وشوقاً
 نظرة الى الشمس تغني عن الثانية
 ونظرات اليك لا تبرد لوعتي بل تزيدها
 انها جلال وانت جمال
 ان الجلال رمز العدل والنظام في الكون
 والجمال باعث الحياة والنشاط في الروح

[السيد ابو النصر أحمد الحسيني الهندي]

(١) جنج اسم نهر كبير في الهند يقده اتباع الدين البرهمي . وخلاصة الاسطورة عندهم هي ان الاله « توشترى » حين أراد خلق المرأة بعد نقاد مادة الخلق في تكوين العالم وصياغة الرجل بذل جهده في التماس الحيلة الى ذلك حتى اهتدى الى ان يجعلها شيئاً من كل شيء فصاغها من استدارة البدر ، وجمال هلالايا ، وقداسة جنج ، ونضارة الزهرة ، ولطافة النسيم ، ورشاقة الفصن ودموع الفناء ، وهديل الخائم ، ولحظات الشادن ، وقسوة الاسد ، وبهجة الطاووس ، والتواء الافعى ، ثم قدمها الى الرجل فكانت سحراً لناظره ، وفتنة لحاظه وحيرة لنفسه

سِيرُ الزَّمَانِ

البعث الألماني

وبده الانهيار في تسوية الحرب الكبرى

١ — بولندا وروسيا

٢ — النمسا وإيطاليا



البحث الألماني

وبدء الانهيار في تسوية الحرب الكبرى

[جالنا في هذا الباب طائفة كبيرة من كبار المشكلات السياسية العالمية ونحن نقف اليوم هنيهة لكي نلخص لقراءنا تيار الحوادث الاوربية في السنوات الخمس الاخيرة لتكون بمنزلة هيكل يضعون فيه كل مقال من مقالات هذا الباب في محلها . واعتمادنا في هذا التلخيص على كتاب لاستاذ السياسة الدولية في جامعة ويلز عنوانه : « العلاقات الدولية بعد معاهدات الصلح »]

في اليوم السابق لليوم الاخير من شهر يناير سنة ١٩٣٣ قلّد الهر أدولف هتلر رئاسة وزارة المانية، ثلاثة من أعضائها نازيون وثمانية وطنيون . وحلّ الريخستاج لاجراء انتخابات جديدة كان الحزب النازي قد أحرز ٢٣٠ مقعداً في الانتخابات السابقة التي تمت في شهر يوليو سنة ١٩٣٢ فغداً بها أكبر حزب في المجلس ولكنه لم يكن حزباً كثرية . ولذلك عقد أمله على احراز الاكثريّة في الانتخابات التالية . ولكن حدث في يوم ٢٧ فبراير — وكانت الانتخابات قد أصبحت وشيكة — ان شبت النار في دار الريخستاج في أحوال يحيط بها الحفاء والريب . فاتخذ هذا الحادث وسيلة لمطاردة الشيوعيين ومن قيل انهم شيوعيون او يعطفون على الشيوعية ، وقد تمّ بعض هذه المطاردة على أيدي البوليس ومعظمها على أيدي قوات غير نظامية مرتدية رداء النازي البني . وأسفرت الانتخابات عن زيادة أعضاء النازي في الريخستاج الى ٣٢٢ . ومن ثمّ اشتدّ اضطهاد اليهود والديمقراطيين الاشتراكيين والشيوعيين وأخذت طوائف كبيرة منهم من دورهم الى معتقلات خاصة حيث قست السلطات في معاملتهم . واعتُبل كثير منهم ولم يبذل سعيّ لمحاكمة مغتالبيهم . ولقيت الاحزاب الاخرى التي وجه أعضاؤها نقداً الى الدكتاتورية الجديدة ما لقيته غيرها . فما انتصفت سنة ١٩٣٣ حتى كانت جميع الاحزاب غير النازية قد حُلّت وغدت وظيفة الريخستاج ان يلتئم حيناً بعد حين للموافقة على أعمال الزعيم

وخطته . فلما توفي الرئيس هيندنبرج في شهر أغسطس من سنة ١٩٣٤ جمع الهر هتلر بين رئاسة الدولة ورئاسة الحكومة ووافقت البلاد على ذلك في استفتاء عام بأكثرية كبيرة

هذا في تطور الحالة الداخلية في ألمانيا ، أما في حلبة السياسة الخارجية فقد كانت تصريحات الحكومة الجديدة مما يبعث على الطمأنينة . فقد أعلن الهر هتلر أنه لا يقوي تقويض تسوية الحرب العالمية بالقوة ولكن الذين اطمأنوا الى هذه التصريحات نسوا أنه ندّد تنديداً شديداً — في كتابه « كفاحي » الذي ألفه سنة ١٩٢٤ وغدت نسخته المتداولة تعد بالوف بالوف في ألمانيا — بفرنسا . فقال انها عدوة ألمانيا التي يجب سحقها ، وطالب بضم جميع الاقليات الألمانية المتفرقة وراء حدود ألمانيا الى الرايخ الثالث وادماجها فيه ، ونظر الى شرق أوروبا على انها مجال واسع للاستعمار الألماني . يضاف الى ذلك ان تسلّح ألمانيا الذي كان سرياً حتى ذلك العهد ، زاد سرعة ونشاطاً وغدا يتم جهاراً ، وشرعت ألمانيا في انشاء سلاح جوي ، كان في انشائه كل معنى التحدي للعواد العسكرية في معاهدة فرساي . الا أن الهر هتلر ابدى في ناحية التسلّح البحري كثيراً من ضبط النفس لاعتقاده ان الخطأ الأكبر الذي ارتكبه السياسة الألمانية قبل الحرب الكبرى انما كان تنفير بريطانيا العظمى وتحويلها الى ناحية العدو

ووقع الانقلاب النازي موقعاً عظيماً في نفوس الشعوب المختلفة ، فتهرم فريق من الناس بما كان يروى عن اعمال الاضطهاد والفسوة الجارية في ألمانيا . وشعر فريق آخر بقلق عظيم مما لحقوه في بعض الاعمال والاتجاهات من تحدي للتسوية التي عقدت في سنة ١٩١٩

وكان الشعور الاول غالباً على بريطانيا واميركا ، فتفوق فيهما شعور الغضب مما يتم على شعور الخوف مما يتوقع ، فلم تتغير خططهما نحو ألمانيا تغييراً يذكر . اما في روسيا وايطاليا ، حيث انشئ النظام القائم فيهما باساليب لا تختلف كثيراً عن اساليب الدكتاتورية الألمانية ، فلم يكن ثمة مكان للغضب والتبرم بهذه الاساليب ، وأما غلب عليها شعور الخوف من عواقب ذلك ، فعمدت كل منهما الى تغيير الاتجاه في سياستها الخارجية

وسندين في ما يلي من الصفحات تأثير الانقلاب النازي في تغيير الاتجاهات السياسية في طائفة من دول أوروبا

بولندا وروسيا

وقد كان التغيير الاول انجهاً الى التفاهم . فرجال الصحافة والسياسة يعملون ان « الحب المفقود » بين بعض الدول كان على اشدّ بين ألمانيا وبولندا . فالجهاز البولندي الذي كان سبيل

بولندا الى بحر البلطيق ، فصل المانيا عن روسيا الشرقية فكأنه فصل عضواً حيويًا عن جسم حيٍّ قائم ، ومكّن للامان الاعتراض والشكوى من الشكوى من معاهدة فرساي . وكان في بولندا — ولا يزال — اقلية المانية فلم يكن هناك اقلية في اوربا اعظم منها شكوى واكثر شكاية الى عصبة الامم ولم يعرف في العقد الاول من حياة العصبة ان مسألة عرضت على المجلس اكثر من مسألة مدينة داننبرج حيث توارت اسباب النزاع بين هذه المدينة الالمانية التي جعلت « مدينة حرة » وحكومة بولندا التي منحت بعض حقوق في صلتها بها . وما كاد الانقلاب النازي يتم في المانيا حتى حدث نزاع خطير إذ أزيلت بولندا نحو مائتي أسيرة بولندية في مكان من مرفأ داننبرج بغير تصريح من حكومة المدينة

ومع ذلك لم تكف تمضي بضعة اشهر على تقلد المهر هتلر لازمة الحكم ، حتى تمّ التقارب بين بولندا و المانيا وفي يناير سنة ١٩٣٤ وقبيل الاحتفال بعيد هنلر الاول وهو في دست الحكم عند ميثاق الماني بولندي ، كان من أثره تحويل الاتجاه في سياسة بولندا الخارجية تغييراً تاماً ، وتعديل التشكيل السياسي الدولي في شرق أوربا . ولا يخفى ان ذلك الميثاق كان ينطوي على عهد بعدم الاعتداء مداه عشر سنوات . وكان من النتائج التي أسفر عنها ذلك الميثاق ، توقف الصحف الالمانية والبولندية عن التراسق بالكلام الناري — بعد ان دام ذلك خمس عشرة سنة — وزالت المشكلات الخاصة بالاقلية الالمانية في بولندا ومدينة داننبرج من برنامج عصبة الامم فكيف تمّ هذا الانقلاب ، وما الباعث عليه ؟

كان المهر هتلر قد أحدث هزة عيفة في العالم الغربي ، فكيف يتلافى ذلك ويصحح الميزان ؟ أجدّد خطة رابالو القائمة على التعاون مع روسيا ، وكيف يكون ذلك في وسعه أزاء خطته في سحق الشيوعيين في المانيا ؟ إلا أن الخوف من الانزلاق في حلبة السياسة الدولية خوف كبير ويضاف الى ذلك انه كان قد قرّر في نفسه — ولعل أصله النمساوي كان ذا أثر في اتخاذ هذا القرار — بان التوسع الألماني الاول يجب ان يتم في ناحية النمسا . واذن فالعوامل السياسية جميعها تدل على وجوب عقد هدنة مع جاراته الشرقية . فابتاع صداقة بولندا بتعهده ان يتمتع عن اي عمل ضدها مدى عشر سنوات

وكانت البواعث التي حملت بولندا على التقرب من المانيا قوية كذلك . ذلك بأنه كان قد انقضى عليها خمس عشرة سنة وهي قائمة كأنها على قتاد بين دولتين كبيرتين متنافستين . وكانت حليفها الوحيدة — فرنسا — بعيدة عنها . بل ان فرنسا نفسها كانت قد بينت بعقدها معاهدة لوكارنو (١٩٢٥) ميلها الى تغليب شؤون سلامتها على مصالحها البولندية . ثم كانت قد جرحت

بولندة في عزتها عند ما وافقت على عهدة الدول الاربع التي اقترحها موسوليني سنة ١٩٣٣ على اساس اشتراك الدول الاوربية الكبرى فيها وهي انكلترا وفرنسا وألمانيا وإيطاليا . ومع ان العهدة لم تصب نجاحاً ما الا أنه كان من عواقبها بذور بذور الشقاق بين فرنسا وبين حليفاتها التي رأت في قبول فرنسا لها تضحية بكرامتهن على مذبح الرضى الايطالي . يضاف الى هذا ان بروز ألمانيا ثانية في الميدان ، دولة قوية عزيزة الجانب ، جعل فائدة العون الفرنسي للدولة البولندية في الوقت الموافق امراً صعباً ان لم يكن متعذراً . وكذلك رأت حكومة بولندة ان مصالحها تقضي بأن لا تقف موقفاً يثير عداء جارتها ، فعلمها ان تختار صداقة احدها فاختارت الدولة التي حسبها اقوى من الاخرى ، وأجدر بالاعتماد عليها — نعني ألمانيا . نعم ان الميثاق البولندي الألماني كان موقوتاً بعشر سنوات ، ولكن من طبيعة هذه الاتفاقات ان تستمر اذا استطاعت الدول التي تعتمد عليها ان تحترمها وتنفذها تنفيذاً صادقاً مدى عشر سنوات

أما في روسيا السوفيتية فلا يسعنا وصف تأثير الحالة الجديدة فيها الا بالرجوع قليلاً الى ما قبل ذلك العهد . ففي سنة ١٩٢٧ كانت الحكومة الروسية قد أنشأت صلات رسمية مع جميع الدول الكبيرة ما خلا الولايات المتحدة الاميركية . وفي تلك السنة ظهر مندوبو روسيا في جنيف وعلى الرغم من صب جام نقمتهن ونقدنهم على المصبة ، اقبلوا آثار الحكومة الاميركية في التعاون مع العصبة في الاعمال الاقتصادية والانسانية والخاصة بنزع السلاح . فحضروا في تلك السنة مؤتمراً اقتصادياً في جنيف واللجنة التحضيرية لمؤتمر نزع السلاح . وفي تلك السنة ظهرت خطة ستالين القائمة على تحقيق « الاشتراكية في دولة واحدة » على خطة الثورة العالمية . ووضع مشروع السنوات الخمس الاول . وشرع في تنفيذه في أول اكتوبر من سنة ١٩٢٨ فكان معنى هذا ادخال عنصر من « رأسمالية الدولة » على النظام السوفيتي وهذا يعني تغليب مصالح الدولة العملية على المبادئ النظرية للثورة الشيوعية . فلما أنشئت العلاقات الرسمية بين روسيا وانكلترا في عهد وزارة مكدونالد الثانية سنة ١٩٢٩ بدا لمتتبعي الحالة الدولية انه لم يبق أمام روسيا الا التفاهم مع الولايات المتحدة الاميركية والانتظام في عصبة الامم حتى تصبح عودتها الى مجامع الدول كاملة بعد ان ظلمت مقصية عنها منذ ثورتها في سنة ١٩١٧

وانقضت ثلاث سنوات لم تقدم فيها روسيا الى تحقيق احد هذين الغرضين تقدماً يذكر . ولكن عقدت حكومة موسكو في صيف سنة ١٩٣٢ موافق عدم اعتداء مع إيطاليا وفرنسا . ثم حدث في الربيع الاول من سنة ١٩٣٣ ان تقلد الهر هالر ازمة الحكم في ألمانيا ، وخرجت اليابان من

العصبة فكان لهذين الحدين الخطيرين اثرهما في توجيه سياسة روسيا الخارجية . فشهد العالم في صيف سنة ١٩٣٣ تقريباً سريعا بين روسيا وفرنسا اساسه الخوف المشترك من المانيا . وتلا ذلك ظهور مقالات متعددة في الصحف الروسية ، تطوي على معنى المقاومة والتنديد بتنقيح المعاهدات القائمة . وفي الوقت نفسه حدث التقرب بين روسيا والولايات المتحدة الاميركية واساسه خوفهما المشترك من اليابان . فذهب الرفيق لتفينوف في شهر نوفمبر من سنة ١٩٣٣ الى وشنطن العاصمة وقطع نيابة عن حكومته العهود الوافية بالامتناع عن بث الدعاية الشيوعية في اميركا ومنح الاميركيين المقيمين في روسيا حرية الشعائر الدينية . وعندئذ اعترفت الحكومة الاميركية رسميا بحكومة السوفيت . وكذلك تمكنت السياسة الروسية كسب صداقة دولتين ، قد تكونان ذات فائدة في علاقتها بألمانيا من ناحية واليابان من ناحية اخرى

ولكن فرنسا اصررت على وجوب تقدم روسيا للانضمام الى عصبة الامم . فعد ميثاق روسي فرنسي ، يكون ولا ريب متسايا بسمة المحالفات السياسية السابقة للحرب الكبرى اذا ظلت روسيا غير عضو في جامعة جنيف . وقدثير مقاومة بريطانيا له . فالمصلحة المشتركة في الدفاع المشترك ضد اي اعتداء الماني ، يجب ان يفرغ في قالب الانتظام في عصبة الامم . وفي شهر يوليو من سنة ١٩٣٤ اقنعت فرنسا كلاً من انكلترا وايطاليا بوجوب السعي لاقناع اعضاء العصبة بتأييد انتظام الاتحاد السوفيتي فيها . وفي اجتماع الجمعية العمومية الذي عقد في شهر سبتمبر من تلك السنة ، قبلت روسيا عضواً في العصبة ولم يقرع ضد انتظامها فيها الاً سويسرا وهولندا والبرتغال

في هذه الحالة احتاطت بولندا لنفسها ضد روسيا باتفاقها معها ، على امتناع موسكو عن تأييد أي عمل تقوم به الاقليات الروسية في بولندا كتقديم العرائض الى مجلس العصبة للنظر في أمرها . وأعلنت في الوقت نفسه انها عادت لا تعترف بحق العصبة ان تعني بمسألة الاقليات المختلفة في بولندا . وهذا نقض فعلي لمعاهدات الاقليات التي وضعت بعد الحرب وكانت بولندا من الدول التي قبلتها

إلا أن ضمان السلامة الذي أصابته روسيا من انتظامها عضواً في عصبة الامم ، لم يكن كافياً لطامتها من ناحية المانيا . وكذلك مضت حكومتها في سعيها الى عقد اتفاق مباشر مع فرنسا . وكانت فرنسا حينئذ غير راغبة في رد هذا السعي رداً باتياً . فأكدت لروسيا ان انكلترا لا تعترض عقد ميثاق لضمان السلامة بين فرنسا وروسيا على شرط أن تدعى المانيا للاشتراك فيه ، على أن يكون هذا الميثاق من قبيل معاهدة لوكارنو ، أي مما يمكن تطبيقه على المعتدي سواء أروسيا كانت المعتدية أم المانيا . وكذلك أعدت الحكومتان الروسية والفرنسية مشروعاً يرف باسم « الميثاق

الشرقي» أو «لوكارنو الشرقية» وأهم ما ينطوي عليه التعاون المتبادل بين روسيا وفرنسا ضد اعتداء ألمانيا من جهة والتعاون المتبادل مع ألمانيا ضد المعتدي منها عليها من جهة ثانية. وبدا للعطلين على قواعدهم أن فيه ما ليس طبعياً إذ كان يصعب على الذهن أن يتصور أحوالاً تفوز فيها ألمانيا بمعونة فرنسا ضد روسيا أو بمعونة روسيا ضد فرنسا. ومع ذلك فقد وافقت الحكومة البريطانية عليه في فبراير سنة ١٩٣٥ وعرض هو ومقترحات أخرى على الحكومة الألمانية. فاعتزمت ألمانيا عليه اعتراضاً كان بمنزلة الرفض. وقد كان موقف ألمانيا هذا هو الموقف المتوقع منها في موسكو وباريس. فاغتنمتا هذه الفرصة ووقعتا ميثاق التعاون المتبادل المشهور باسم الميثاق الفرنسي السوفيتي. وقاعدته التعاون المتبادل بينهما إذا هاجمت أحدهما دولة أوربية ثالثة. وكذلك نرى أن من نتائج الانقلاب النازي في ألمانيا أحياء المحالفة الفرنسية الروسية التي كانت قائمة قبل الحرب الكبرى

النمسا وإيطاليا

كان قرار هتلر أن يجعل النمسا الهدف الأول من أهداف سياسته الخارجية غير موقَّع من نواح مختلفة. ذلك أن أحداً لم يشك بين سنتي ١٩١٩ و ١٩٣٣ في أن كثرة الشعب النمساوي كانت رغبة في الاتحاد بألمانيا. ولم يكن في معاهدات الصلح مادة أكثر تعرضاً للنقد من المادة القاضية بمنع هذا الاتحاد. إلا أن الانقلاب النازي كان قد أحدث نفوراً في نواح من الرأي العام النمساوي. فالاشتراكيون الديمقراطيون — وكانوا أكبر حزب في البرلمان النمساوي — واليهود وهم ذوو مقام ونفوذ في فيينا، لم يكونوا راغبين في أن يكون مصيرهم مصير اخوانهم في ألمانيا. ثم أن الكنيسة الكاثوليكية وكانت ذات مكانة في السياسة النمساوية تقرها ما لقيته في ألمانيا من شدة. ويضاف إلى هذا وذلك أن الطبع النمساوي الرضي لا يتواءم وصفات الخلق الألماني الغالبة على النظام النازي الجديد. والغالب — على الرغم مما تقدّم — أنه لو اجري استفتاء حر في النمسا في السنة التي تلت قيام هتلر لسكانت الاكثية في جانب الانضمام إلى ألمانيا. ولو لم تكن اكثية ساحقة

وكان الاثر الأول في النمسا للانقلاب الألماني الرغبة في تقليده. فوقف دولفوس في شهر مارس من سنة ١٩٣٣ الدستور النمساوي على الرغم من معارضة الاشتراكيين الديمقراطيين. وغدت الحكومة النمساوية منذ ذلك التاريخ تعتمد على تأييد هيئة عسكرية خاصة تدعى الهيئته المقاومة

قوة الاشتراكيين الديمقراطيين المسلحة . هنا دخلت الحكومة الألمانية الميدان . فشرعت تذيع من محطاتها في جنوب ألمانيا اذاعات تنطوي على حملة على الحكومة النمساوية . وجعلت الطائرات الألمانية تاتي على مناطق مختلفة من النمسا ثمّرات تحتوي على الدعاية النازية . وهرّبت الاسلحة والنقود الى جماعة النازي النمساوي . ورفع رسم التأشير على جوازات الالمان المفاصدين الى النمسا رفصاً كاد يكون منعاً باتاً . فردّت الحكومة النمساوية على ذلك بحل الحزب النازي النمساوي في شهر يونيو من سنة ١٩٣٣

وعلى الرغم من مقاومة الهيمنه ظلّ الرأي الغالب ان النمسا تنمو للضغط الألماني ، لولا تدخل الدول الكبيرة . فقد كان شعور السخط على أعمال الارهاب النازية على أشده في هذه الدول ، فجاءت الحملة على النمسا مؤيدة له . ولم يتخلف الرأي العام الانكليزي عن الرأي العام الفرنسي في وجوب الاحتفاظ باستقلال النمسا . فبذلت مساعد دبلوماسية في براين ولكنها لم تسفر عن نتيجة . وفي شهر اغسطس من تلك السنة عقد للنمسا قرض دولي اشتركت فيه انكلترا وفرنسا وايطاليا ودول أخرى

عند هذا الحدّ بدت ايطاليا في مظهر المدافع الاول عن استقلال النمسا . نعم ان ايطاليا كانت من دعاة تفقيح المعاهدات . وفي العهد السابق لقيام اهر هنلر كانت قد تقرّبت من ألمانيا فجرتا على خطة مشتركة في بعض المسائل . ولكن رجح الانقلاب النازي في ايطاليا ، كان باعثاً على توجيه سياستها الخارجية توجيهاً جديداً على نحو ما تمّ في روسيا

فايطاليا ترغب في تفقيح المعاهدات . ولكن اذا سمح لألمانيا بضمّ النمسا فقد تغدو ألمانيا جارة خطيرة على دولة سبق لها في معاهدات الصلح ان ضمت اليها جانباً من ولاية التيرول الجنوبي وفيها أقلية ألمانية لا بأس بها . ولذلك شرعت حكومة ايطاليا في شتاء سنة ١٩٣٣ تؤيد الهيمنه تأييداً خفياً ، لأنها كانت تعتقد انه السور الذي يصون استقلال النمسا . الا أن السنيور موسوليني طلب ثمن هذه المعونة والثمن الذي طلبه نزع ما للاشتراكيين الديمقراطيين من السلطة في النمسا ولا سيما في بلدية فينّا حيث كان زمام الامر في أيديهم ، وانشاء نظام من الحكم في النمسا على قواعد النظام الفاشستي . فليّ هذا الطلب في فبراير من سنة ١٩٣٤ بغير مقاومة تذكر . فسجن مئات من أقطاب الاشتراكيين الديمقراطيين . والعتت المعاهد الاشتراكية . واصبحت سياسة النمسا خارجية وداخلية رهن اشارة من ايطاليا

وكانت عاقبة هذه الاعمال ان فقدت النمسا كثيراً من العطف الذي كانت تتمتع به في انكلترا مع ان الحكومة البريطانية مضت في اعلان خطتها الرسمية القائمة على صون استقلال النمسا . أما النازي فجّدوا نشاطهم وضاعفوا مساعيهم في النمسا وفي يوم ٢٥ يوليو من سنة ١٩٣٤ احتل فريق

من النازي النمساوي مقرر رأسه الحكومة النمساوية الاتحادية بفينا وأصيب الهر دولفوس بجرح مميت وهو يحاول الفرار . ولكن التدبير خاب ، لان الجيش لم ينقلب الى مساعدتهم ولم تغب شمس ذلك النهار حتى كان في فينا حكومة خلفت دولفوس وفي يدها زمام الامر وكان الرأي ان تدبير هذه الفتنة لم يكن مستطاعاً لولا تأييد الحزب النازي الألماني وذهب بعضهم الى ان الهر هتلر يتحمل التبعة الادبية في مصرع دولفوس . وحشد السنيور موسوليني جانباً من جيشه على حدود النمسا الجنوبية . ولا يعلم هل كان بنوي فعلاً الزحف على النمسا لو نجحت الفتنة

الا ان هذه الحوادث كانت نقطة تحول كبير في شؤون النمسا . ذلك بأن الهر هتلر رأى ان خيبة الفتنة بينت موطن الضعف في سياسته النمساوية ، او لعله خشي حينئذ ان يفضي مضيه فيها الى الاصطدام بايطاليا . فغير خطته . وغدا النازي النمساوي لا يتلقى تشجيعاً على القيام بأعمال العنف . ووقفت الحملة على الحكومة النمساوية . وأكد الهر هتلر غير مرة انه ليس في نيته تهديد استقلال النمسا او التدخل في شؤونها الداخلية . وظل سائراً على هذه الخططة مدة سنتين . فلما خاضت ايطاليا معترك النزاع الحبشي وضعفت سيطرتها على اوربا المتوسطة ، عقدت النمسا اتفاقاً مع المانيا في ١١ يوليو من سنة ١٩٣٦ اساساً التعاون بينهما ، وقاعدته ان تتصرف حكومة النمسا بوصف كونها حكومة دولة جرمانية مستقلة . فلما انقطعت الاطاعة الايطالية عن الهيمفهر حصل . وكان من أثر ذلك ان اتفقت المانيا وايطاليا على ضرب من الاشراف الثنائي على شؤون النمسا

وصحب هذه التطورات تحسن العلاقات بين ايطاليا و المانيا ، نتيجة لموقف عصبة الامم من ايطاليا في النزاع الحبشي ، وفرض العقوبات عليها ، فانشىء محور برلين روما وزار السنيور موسوليني المانيا في اكتوبر من سنة ١٩٣٧ . وفي بدء هذه السنة — فبراير ١٩٣٨ — دعي الدكتور شوشنيج المستشار النمساوي الى مقابلة الهر هتلر في برخسجاردن حيث املت عليه شروط اضطر الى قبولها منها تعيين احد اقارب النازي النمساوي وزيراً للداخلية . وما انقضى شهر على ذلك حتى كانت الحوادث قد تطورت في النمسا تطوراً سريعاً افضى الى استقالة شوشنيج وميكلاس رئيس الدولة ، وضم النمسا الى المانيا وكان ذلك في ١١ مارس من سنة ١٩٣٨

اما عاقبة ذلك وتأثيره في موقف ايطاليا من المانيا — وقد اصبحت هذه جارتها عن مضيق برز — فلا يعلم بعد ، وان كان الحاكمان بامرهما قد اعلنا معاً ، عند زيارة الهر هتلر لايطالياني اوائل مايو ، متانة المحور بين العاصمتين وقوة العوامل التي تربط بينهما

« وفي مقتطف يوليو القادم نعالج : الاتفاق الصغير : الاتفاق البلقاني : نقض معاهدات الصالح »

بَابُ الْمُرَاسِلَةِ وَالْمُنَاطَاةِ

الشحم وضروبه

[للاب انستاس ماري الكرملي]

تلكسات كثيراً في وضع هذه المقالة ، لاسباب ، منها : إن بعض الادباء كتب إلي يقول لي ، بعد انتشار جزء يناير من المقتطف من هذه السنة (١٩٣٨) : إن فصولك في (الدهن وأنواعه) مفيدة ، لكنها غامضة في بعض مناحيها . وأفهمني آخر أنها مبتورة الموضوع ، لأنني لم أذكر ضروب الشحم ، بعد أن وفيت بحث الدهن حقهُ ، وألح عليّ آخر بأن أمضي في الموضوع قُدماً ، وأعرض أنواع الشحم ، مع تحليل ضروبها اللغوي ، وزارني خمسة اصدقاء في أوقات متفاوتة ، يلتمسون مني أن آيين منزلة المقالة الموسومة بـ (الدهن والشحم والقول الفصل فيهما) ، الواردة في المقتطف (٩٢ : ٢٣٨) . — فاعتذرت لاشتغالي بما هو أهم من هذا الموضوع . وفي هذا الاسبوع ، هجم عليّ فريق من المحبين ، وما غادروني إلا من بعد أن استوثقوا مني بأن ألبسي طلبهم ، بعد خروجهم من عندي ، فاضطرت الى أن أراقيق هذه السطور ، وفاء بالوعد ، وقياماً بالواجب ، لا حباً للرد ، وقد سئمت كل السأم

١ — الدهن

وأول كل شيء يتحتم عليّ تحقيقه ، معنى الدهن . فلقد أوضحنا سابقاً أن من معانيه : الزيت . لكننا قلنا ان الكلمة العربية تنظر الى اليونانية Demos . وزيدالآن على ما تقدم : أن أول معاني هذه الكلمة هو : « دهن الحيوان والانسان » ويقابله في اللاتينية Omentum او بمباراة ثانية تطيب لبعضهم : شحم الانسان والحيوان . وهذا المعنى سبق معناه الآخر الفرعي أي الزيت بمعنى ما يستخرج من الانبثة ، إذ ورد بالمعنى الاول في الايلازة في ٢٢ : ٥٠١ — و٢٣ : ٧٥٠ الى غيرها من المواطن . والعدد الاول يشير الى رقم القصيدة بموجب ترتيبها والرقم الثاني الى رقم البيت بحسب ترتيبه . وجاء أيضاً في الاودسة في ١٤ : ٤٢٨ الى مواطن عدة آخر . وكذلك في هسيودس الاسكري المتوفى بين سنة ٩٠٠ و ٨٠٠ ق.م ، في قصيدته الموسومة بثوغونية في البيت ٨٣٨ ، الى غير هؤلاء الشعراء والكتبة والمؤرخين اليونانيين ، بما يضيق المقام عن إيراد شواهدهم . وذلك « قبل الميلاد » . وأما الدهن بمعنى الزيت ، فكان في أوائل النصرانية ، وقيل الاسلام . فخصر العرب معنى الدهن بما ماع من الشحم ، أو بما يستخرج عصرأ من بعض الانبثة الدهنية او الدسمة ، وعليه : كان العود الى الدهن بمعنى الشحم ، أحمد وهو الوجه الاوجه والأشبه والاصل أحق ان يتبع لانه إذا جاز لنا ان نتخذ الفرع حجة لنا ، فبحجة أولى يحسن

بنا ان تتبع الاصل ، ويزيدنا إثباتاً لذلك وأخذاً به ، استعمال جميع الناطقين بالضاد في الربوع العربية اللسان ، بلا شاذٍ ومن أقدم العهد . ولا يهنا انكار المكابرين لهذا الشيوع والتعميم والعراقيون يستعملون (الشحم) بمعنى (السحف) أي هذه المادة البيضاء التي ترى في الحجرات وتتخذ الفقراء منها الشموع الى يومنا هذا وتسمى بالانكليزية Tallow وبالفرنسية Suif ، وهي تلك المادة التي سمّاها ابن بري ومن شايعة (الودك) كما سيوضح لك ذلك فيما يأتيك من الكلام . وهذا هو معنى (الشحم) في الكتب الدينية وهو الذي يعتمد عليه أهل البادية وبعض القبائل في طعامهم من مطبوخ وغير مطبوخ . ويرى موفوراً في سنام البعير

واليوم يقول العراقيون : شحمة شحم ، او شحمة من شحم ، ولا يقولون من دهن ، لاتا قلنا ان الدهن خاص بما يذوب من الشحم ، وإن كان المعنى الاصلي هو الشحم الجامد . ولهذا تسميهم يسألون صاحب المعجنات او الفطائر : هل في جُركك ^(١) دهنٌ حرٌّ أم دهنٌ لينةٌ ؟ فيجيب عن سؤالهم ذا كراً المادة التي اتخذها في عجن المِراث وهو اسم الجرك عند فصحاء العرب (راجع التاج مادة : (ر ت ث) فالدهن عندهم السمن وإهالة الالية . فاذا أرادوا التحقيق قالوا في الاول : « الدهن الحر » وفي الثاني : « دهن الية » أي الالية . ولهم كلام آخر وهو (اللحم الدهين) كما ذكرنا ذلك سابقاً ، ويراد بذلك : اللحم الكثير الدهن اي الشحم الذائب ومن ينكر ذلك يظهر انه غريب عن العراقيين ولا يفهم لغتهم ، ولهذا قلت سابقاً : (٩٢ : ٦٢) : (اذ في الالية دهن وشحم ، وفي الانسان دهن وشحم ، وفي الامعاء دهن وشحم) اي أن في كل هذه الحاويات دهناً (يذوب عند الحاجة اليه) وشحماً (اي جامداً او دهناً جامداً)

٣ — أصل كلمة الدهن ومعناها الاول

قد قلنا سابقاً ان العربية تنظر الى اليونانية (المقتطف ٩٢ : ٦٤) ومعنى ذلك انها تشبهها ، وليس معناه ان اليونانية هي من العربية ولا أن العربية هي من اليونانية ، كما يتوهمه بعضهم . ولما لم يكن عندنا كلام مدون يرتقي عهده الى ما قبل الميلاد ، بخلاف ما عند الاغريق ، نضطر الى النظر في هذه اللغة ، في الالفاظ المشابهة لالفاظنا ، في ما ورد في مدوناتهم لمعرفة قدمها عندنا وعند استشارة كتبهم ، وجدنا ان أول معنى الدهن الشحم الجامد وهكذا كان في لغتنا ، ولو كان عندنا من المدونات القديمة كما ترى منها عند الهلنيين لوجدنا أول معنى كان للدهن : الشحم الجامد ، ثم انتقلوا الى المعنى الثاني اي الى الدهن السائل والاهالة ، او بالحالة التي يكون عليها وهو في الجسم . وقد ذكرنا في صدر هذا المقال ، ما ورد من كلام اليونان ، وفيه ذكر الدهن بمعنى الشحم ، بقي علينا ان ننظر من أين جاءت هذه اللفظة ؟

(١) ضرب من الخبز ، هش جداً يميأ بالسمن (الذي قلنا ان العراقيين انهم يسمونه الدهن الحر ، وهو كلام فصيح) او دهن الالية اي ما يذاب منها وهو اهالة الالية . والطالب هنا توجيه نظر الباحث الى استعمال الدهن لشحم الالية اذا أُميع او أذيب . والجرك كلمة تركية وتكتب جورك أيضاً

أجمع فقهاء لغتهم على ان المادة مأخوذة من Da بمعنى جرى وسال . راجع المعجم اليوناني الفرنسي لبوازاق ص ١٨٢ وقد ذكرنا هذا المعجم في مقالتنا السابقة . — وأنت عليم ان العرب لا تنطق بفعل مركب من حرفين ، بل إما ان تضعف آخره ، مثل عدّ وسرّ ، فانهم يقولون فيها عدّ وسرّ ، واما ان يزيد في أوله واواً أو ياءً ، كقولهم وعدّ ويسرّ . وأصلهما من العدّ والسرور ، لان الواعد يعين عدد الايام التي يتم فيها كلامه في وعده ، ولان اليسر يدخل السرور على النفس . فالاصل (دآ) Da يقابله في لغتنا (ودَى) بواو في الاول اي جرى وسال ، كما في معاجم اللغة . قالوا : ومنه اسم (الوادي) للوطن الذي يخذله الماء ليجري فيه قلنا اذن ثلاثة أدلة منبهة القوي ، تؤيد ان الدهن ، هو هذا الجوهر اللصم ، الجامد في حالته والسائل في أصله ومصيره وهو كذلك في اللغات السامية واليافثية . وهذه الادلة الثلاثة هي : ١ — أصل الكلمة في وضعها الاول او في وضع نشوءها — ٢ — استعمالها بهذا المعنى في جميع الديار العربية اللسان ، منذ أقدم العهد الى يومنا هذا . أما سبب عدم استعمال القرآن لها فهو لان الآيات لا تصدى لجميع ألفاظ الضاد ولا لجميع معاني الألفاظ المستعملة . وهذا واضح كالشمس في رابعة النهار . — ٣ — أجماع أهل اللغات اليافثية على هذا الاصل . وهم لا يهتمون بتحزب ، ولا بفرض ، ولا بمكابرة . ولهذا لا يهتنا بعد هذا زعم من يجري في صراط غير مستقيم

اذن : الشحم كالدهن والدهن كالشحم بلا فرق ، اللصم إلا ان يقال ان الدهن يراد به اليوم « خاصة » المائع من الشحم ، فهذا عرض لا يؤبه له ، ثم اذا كان خاصاً بالسائل منه في البلد الواحد فهو ليس كذلك في جميع البلاد العربية اللسان . واما ان احدهم ينكر ذلك فيقول : ان في الالية شحم [كذا بحرفه والصواب شحماً] وفي الانسان شحم [كذا] ، وفي الامعاء شحم [كذا] ولا يجوز أن يقال : ان في الالية شحماً ودهناً وكذلك في الانسان والامعاء فليكونه لم ينتبه الى قولنا ان الدهن للعائع من الشحم . فانك اذا أذبت بعض الالية ، وأبقيت البعض الآخر منها فقد اجتمع عندك دهن وشحم . فهل بعد هذا التصريح تصرّح أوضح وأبين وهو لا يخفى على أيّ كان ؟ ولكون الدهن ورد بمعنى الذائب من الشحم او السائل منه جاز بجيئه بمعنى الزيت . ولهذا ورد هذا المعنى في اليونانية والعربية بعد ان عُرف مؤداه الاول كل المعرفة . ومثل هذا وقع (للدسم) فان كتب اللغة لا تذكر له إلا معنى الودك والوضر والدنس ، لكن كبار علماءهم ذكروا لنا انه قد يأتي بمعنى الزيت الذي يكون في بعض الالنبه . فقد قال صاحب اللسان في مادة (زهام) : « الدسم [شحم] لما أنبتت الارض كالسسم وغيره » اهـ . وهذا يبين ، كيف ان العرب تتوسع في معاني مفرداتها ، وتنقل بها من معنى الى معنى ، بجامع معنى الودك ، غير ناظرة الى ان هذا الودك جامد ، ام مائع ؟

٣ من مترادفات الشحم او الدهن : الزهم او الزهمة

للشحم او للدهن الجامد ، (وقد كان الشحم سائلا في البدن قبل ان يجمد) عدة مترادفات ، لا يسرى مثل عددها في سائر اللغات ، من شرقية وغربية ، من سامية وحامية وبافنية ، ونحن لا نتمكن من اثبات جميعها هنا ، اذ تقع اسمائها مع شروحها ، وذكر اصولها في نحو جزء من اجزاء هذه المجلة ، لكننا نجتزئ بذكر بعض منها ، من باب التمثيل ليس إلا . من ذلك الزهم قال ابن مكرم في ديوانه في مادة (ز ه م) ما هذا نقله « الزهمة ، بالضم : الشحم . قال ابو النجم يصف كلباً :

يذكر زهم الكفـل المشروحا

قال ابن بري : اي يتذكر شحم الكفل عند تشريحه . قال : ولم يصف كلباً ، كما ذكر الجوهري ، وأما وصف صائداً من بني تميم لتي وحشاً . وقبله :

لاقت تيماً سامعاً لموحا صاحب اقناص بها مشبوحا

ومن هذا يقال للسمين : « زهم » . وخص بعضهم به شحم النعام ، والحيل . والزهم والزهم : شحم الوحش ، من غير ان يكون فيه زهومة ، ولكنه اسم له خاص . وقيل : « الزهم » لما لا يجتزئ من الوحش ، و « الودك » لما اجتر ، و « الدسم » لما انبت الارض كالسمسم وغيره . اه كلام ابن منظور . فانت ترى من هذا ان ابن بري قسم « الشحم » لثلاثة اقسام شحم المجترات وسماء « الودك » وشحم غير المجترات من الحيوان وسماء « الزهم » ، وشحم النبات وسماء « الدسم » فهل لاحظت انه اطلق على هذه المواد الثلاث اسماء الشحوم . ثم خص كل ضرب منها باسم يختلف عن اسم اخيه . وهل لاحظت ايضاً انه سَمَّى دهن الانبثة أوزبتها « شحماً » لازباً ولا دهناً ، وقد ذكر ابن مكرم نفسه في مادة شحم ان « العرب تسمي سنام البعير شحاً ، وبياض البطن شحاً » ولم يذكر للنبات شحاً لكنه توسع في تلك المادة فقال : (شحمة الاذن ، وشحمة العين ، وشحمة الارض ، وشحمة النقا ، وشحمة النخلة ، وشحمة الرمانة ، وشحمة الحنظل ، كل ذلك من باب المشابهة والتوسع في الوضع ، فهم لا يقيدون انفسهم بقيد بخلاف ما يتصور بعضهم من لا وقوف لهم على اسرار اللغة العدنانية وخصائصها ومزاياها ، ولا يجوز لاحد ان يضرب عليها نطقاً من حديد ، او يني على حدودها سداً مثل سدّ يأجوج ومأجوج ويقول لها : (قتي في هذا الحد ولا تتجاوزيه)

فلقد رأيت (الشحم) في النبات كما رأيت في الحيوان . وكذلك يقال عن الدهن والدهن الى غيرها مما نقل عنهم وعن لغويهم الاثبات . فقلعة العرب واسعة سعة ومالك جزيرتها

ح الشحم دهن ويسكن

قال في محيط المحيط « الشحم والدهن من جسم الحيوان : خلاف العظم ، او هو من الصنمين

والبقر ونحوهما : المادة الحمراء الرخوة التي تؤكل ، فلا يتناول المادة البيضاء من الشحم و«الدهن»
ج لحام ولحموم ولحمان ولحمان وأنسجهم . اهـ . فهذا نص صريح على ان الدهن غير
الزيت الذي يخرج من الشجر او الحجر بل هو شيء يكون في البقر والبشر

على أي — والحق يقال — لا اعتمد هذا المعجم . وقد صرحت بذلك مراراً لا تحصى .
وانما ذكرته لمن يجعل صاحبه وكل من نقل عنه في مناط العيوق . واما انا فلا اثق به لكثرة
سقطه واقتباسه من فريغ . وهذا رجل الماني قليل الاطلاع على صحيح كلام العرب وصميمه . فكيف
جاز للبستاني ان يأخذ صلب كلام معجمه منه ؟ — فاذا كان فريغ كثير الغلط والسقط فبالحرى ان
يكون ذلك ايضاً على هذا الطراز وكذلك يقال على اقرب الموارد والبستان والمنجد والفرائد الدرية
اما ان هذه المعاجم حجة الاعلاط فنحن لا نتعرض لها هنا ، اذ قد وضعنا لها سफراً ضخماً
للاشارة اليها والتصريح بكثير منها ، وانما نتعرض هنا لما ورد في هذه العبارة التي ذكرناها
فببيل هذا . فان المؤلف سرد في جمع اللحم : اللحم بالسكر وهذا الجمع لم يذكره احد
سوى فريغ . اما الذي ذكره فاللحمان بالضم ، لكن البستاني لا يهتم هذا الامر ولا يتحرى
صحة ما ينقله عن فريغ ، فلكون هذا الرجل ذكر السكر في معجمه ، كان السكر هو الصحيح
وما عداه هو القبيح او يكاد . ألا تراه قدم اللحمان بالسكر على اللحمان بالضم ؟ — فهذا
شأنه في كل ما اقتبس عن الاستاذ فريغ^(١) . على انا ناعتمد البستاني في كل امر اتفق فيه واللغويين .
وهو في قوله الدهن من الشحم ينضم الى المعنى الشائع الذائع بين متكلمي العربية وبين اللغويين .
وقد بينا صدق استعمال الائمة للدهن بالمعنى المعروف في القطعة الثالثة من هذه الكلمة والان
نؤيده بنص واضح يكون به فصل الخطاب

قال في اللسان في (ودك) : «وفي حديث الاضاحي : ويحملون منها الودك» هو دسم اللحم
«ودهنه» الذي يستخرج منه [لاحظ حسنا وانم النظر والفكر في كلمة : «ودهنه» اي دهن
اللحم لا دهن الزيتون] . وود كنه توديكاً . وذلك اذا جعلته في شيء هو والشحم او حباله
السمن . وشيء وديك وودك . والدكة : اسم من الودك . . . ودجاجة وديكة أي سمينة . وديك
وديك ، ودجاجة وديك وودوك : ذات ودك . ورجل وادك : سمين ذو ودك . والوديكه :
دقيق يساط بشحم شبه الخزيرة » اهـ . الى آخر ما هناك من الكلام الدال على ان الشحم
والودك والسمن والدهن ألقاظ مختلفة لحالات من الشحم . ومن ينكرها ، عليه ان ينكر الشمس
في رائمة النهار ، فذا الامر أهون . والسلام على من اتبع الهدى

(١) المقتطف — وقد ساق الاب انستاس في حاشية طويلة تملأ اكثر من صفحة بعض ما يراه دليلاً
على ان «البستاني كان مشغولاً بفريغ في اول تأليفه معجمه محيط المحيط ولما أوشك ان يمسح القلم من تأليفه
تبين له كثرة ماورد فيه من الخطأ فقدم على عمله هذا ...» فافتعرونا على الاشارة الى ذلك .

بَابُ أَخْبَارِ الْعِلْمِيَّةِ

البسلة الصينية ومنافعها المتعددة

وهي فول الصوي أو الصويا

Soy, Soya, Soja Bean or Pea

شاهدت نوعاً من الصويا (وهو بذور نبات ينمو في اليابان والصين والهند ويعمل من دقيقه خبز خال من النشاء للمصابين بالبول السكري) معروضاً في قسم البسائين بالمعرض الزراعي الصناعي الحديث في الجزيرة فاسترعى نظري وهمتي ولا سيما حين رأيت اكياس الدقيق والخبز المصنوعة من الصويا لغذاء المرضى وقيل لي ان الصويا زرعت في مصر حديثاً، فسألت المهود اليه في رقابة ذلك القسم بالمعرض، عن أسعارها تلك المعروضات فإذا بها زهيدة جداً عند مقارنتها بمنافعها للزراع الذين يبعون زراعتها في اطيانهم، وللمرضى الذين يحتاجون الى التغذية بالخبز المصنوع من دقيقها لمكافحة داء البول السكري. فحداني ذلك على دراسة موضوع الصويا، فقرأت فيه ابحاثاً مستفيضة في مصادر حديثة مختلفة لكثيرين من علماء الزراعة والطب وغيرهم فأتت ان اقتطف منها ما يلي:

قال الدكتور هنري ج نيت رئيس مكتب الكيمياء والتربة في وزارة الزراعة الاميركية بواشنطن ما يأتي: —

زرع الصينيون منذ آلاف من السنين، وما زالوا يزرعون فول الصويا ويقدرونه حق قدره كواحد من الخمسة الحبوب المقدسة التي تعد عندهم من ضروريات حضارة الصين وقد تنبّه العالم الغربي في التاريخ الحديث الى الفول الصيني وعرف جليلة مزاياه، فجل يبرز اهل الصين في وسائل الانتفاع به ولذلك أنشأت حديثاً حكومة الولايات المتحدة الاميركية في جامعة ايلينوي، معملًا للاختبارات الكيميائية خاصاً به ولما يفض على وجوده غير حول واحد وبمض الحول الثاني، ومع ذلك فقد أخذ يظفر بنتائج باهرة من مباحثه فأعلن منذ اكثر من شهر، أول مكشفاتيه الخطيرة في هذا الصدد، ونقصد به صقال (ورنيس) الصويا لوقاية سطوح الخشب. وهو صقال يقاوم التأثيرات الجوية كل المقاومة، فلا يزول من بريقه الا شيء طفيف جداً ولا يتشقق على الاطلاق ولا يتقشر ولا يسود. على حين ان النوع الجيد من «ورنيس سبار» Spar varnish الذي يؤخذ

منها حلياً رائباً او مجبناً يستغنون به عن اللحم. ويطحنونه دقيفاً لعمل الاقراص (كيك) والحلوى بل يستخرجون منه نوعاً من اللبن ويشربونه . والوجه ان الصويا كاللحم واللبن والفاكهة او الحلوى التي تؤخذ عقب الطعام لدى ملايين من أهل الصين ومنشوريا واليابان بيد ان الاميركيين قد نظروا الى حبوب الصويا اول وهلة، نظرة الانكليزي للذرة، واعتبروها علفاً صالحاً للبقر، لا غذاء للبشر

وحينما استعرت نيران الحرب العالمية، كانت زراعة الصويا في أميركا محصورة في حقل صغير، وكانت حينئذ تزرع في ولاية كارولينا الشمالية حيث كان الزراع يعلفون بها الخنازير وقصارى القول ان الصويا اصبحت أسرع المحصولات الاميركية انتشاراً ولا سيما في مناطق الذرة . وتقدر المساحة التي تزرع هناك الآن بالصويا، بأكثر من ستة ملايين فدان وقد أربى محصولها في السنة الماضية على ٤١ مليون بوشل . ومع ذلك ما زالت منشوريا أولى البلاد التي تغل الصويا وصارت الولايات المتحدة ثانية لها

وتصنع فئة من المصانع الاميركية منتجات صناعية من الصويا . وتلك المصنوعات على نوعين . فالنوع الاول منها يحضر من زيت الصويا الذي يعصر من بذورها . ويحضر الآخر من الطحين الذي يتبقى بعد استخراج زيتها . ويدخل زيت الصويا في صنع بعض أنواع الصابون وهو صالح جداً لصنع الصابون

من المعادن المتبلورة اللامعة قد استعمل في تلك التجربة عيناها مدى سبعة أشهر، معرضاً للجو في الخلاء فحال لونه كلبية بعد مضي خمسة أشهر فقط . فأسفرت التجربة عن كون زيت الصويا الذي عولج علاجاً سديداً، حل محل الزيوت الاخرى جميعاً المستعملة الآن في تحضير الورنيش وذلك بنسبة مائة في المائة

وفول الصويا ذو أنواع شتى وقد أحضر احد المكتشفين النباتيين في وزارة الزراعة الاميركية الوفاء من نماذج الصويا التي تزرع في الشرق الأقصى . وجربت زراعتها في الولايات المتحدة ونين ان بعض تلك الانواع ينجح في مناطق معينة من الارض أو في تربات خاصة . وظهر من تجارب أخرى ان بعضها صالح جداً لعلف المواشي . وبعضها صالح لغذاء البشر وبعضها نافع للصناعة لاحتوائه على مقادير جزيلة من الزيت . ولذلك شرع مربو النباتات في الولايات المتحدة الاميركية في استنبات أصناف جديدة من الصويا وتهجين أصناف أخرى منها لكي تصلح للاحوال الجوية والتربة التي تزرع فيها وتلائم غيرها من لوازم الزراعة الاميركية وكان بدء زراعة الصويا في الولايات الاميركية سنة ١٨٠٤ وكان نباته اذذاك يعتبر بمنزلة نبات نافع من نباتات الشرق، ثم انقضى القرن التاسع عشر كله دون ان يهتم بها أحد الاهتمام الواجب . وحينئذ أعلن بعض من كان مقيماً في الشرق الأقصى، منافع الصويا الخطيرة هنالك فقال ان الشرقيين يصنعون

الذي يذوب في الماء العسرة hard . ويستعمل زيت الصويا أيضاً في الادهان — البويات ، والورنيش ومشمع الارض وحبر الطبع وفي المفرقات . ويمكن ان تصنع منه مادة تحل محل الصنع المرن (السكاوتشوك)

وتركب منها صلصة تؤكل مع السلطة وما اليها . أما طحين الصويا او السكسب فيكبس أقرصاً ويستعمل علفاً للماشية . وإذا طحن دقيقاً ، استعمل لصنع « المسكرونة » وصنع منه الخبز وغيره من الاغذية التي تستعمل في الفطور . وتدخل الصويا في تغذية الاطفال وفي اصناف الدقيق المخصوصة وغيرها

أما المواد العجينية التي تصنع من الصويا فشيبة بالعجائن التي تصنع من جبن اللبن ، وقد استطاع أحد صناع السيارات في أميركا صنع عجلات إدارة وأزرار لأبواق السيارات من هذه العجينة وغير ذلك من اجزاء الادوات الصلبة التي تفرغ في القوالب وهي لينة حتى تتجمد ولتحويل الصويا الى مادة عجينية، يضاف الماء الى طحين الصويا، ويمزج بالمواد الكيميائية والمواد الملونة ثم يضاف اليها دقيق الخشب ليسهل تحويلها من السيولة الى الصلابة اذ تسلط عليها الحرارة وتضغط فتكتسب المرونة والصلابة المطلوبتين فتصبح صالحة لمقاومة البلى وتكاد الصويا تحتوي على $\frac{1}{3}$ وزنها زيتاً و $\frac{2}{3}$ وزنها بروتيناً . ويستعمل البروتين^(١) في تلك

(١) البروتين — عنصر من عناصر مواد الطعام وهو المصدر الاولي للزلال والجبين والفبرين والجلوتين

المواد العجينية . وفي ايطاليا يضاف دقيق الصويا الى غذاء الجنود . وذلك بأن يخلط دقيق الحنطة الابيض الذي يعمل منه الخبز للعجيش بمقدار من دقيق الصويا يتراوح بين ١٥ و ٢٠ في المائة . وقد أيد هذا الرأي الدكتور دوجلاس جراي الانكليزي وهو من انصار الاتفاق بدقيق الصويا ما امكن فقال : —

متى خلط دقيق الحنطة الابيض بعشرين في المائة من دقيق الصويا اصبح الخلوطيناً محبباً الميزات الفيزيولوجية التي يحويها الدقيق الاسمر غير المنخول ، وصار الخبز الذي يصنع منه أشد تغذية مما يصنع من ذلك وكان ألذ طعماً وأطيب مذاقاً وذلك من فرط ما يحويه دقيق الصويا من البروتين ، وهو بروتين كامل يحوي املاح الامينو^(٢) كافة وهي ضرورية لتكوين البروتينات في البنية البشرية . وبإضافة ذلك المقدار من دقيق الصويا الى دقيق الحنطة الابيض يزيد البروتين في الخبز العادي ٦٠ ٪ .

ويحوي حبوب الصويا مقداراً كبيراً من الشحم يستطيع الجسم البشري ادخاره بسهولة في مستودعاته الخاصة . وبقايا الصويا قلبية أما بقايا الحبوب فحمضية . وتجزل في الاول مواد الفسفور والكلسيوم والمغنيزيوم . ولعظم قلبية دقيق الصويا يصلح لمقاومة التعب الذي ينشأ عن التمرينات العضلية . ومن ثم تتبين اسباب تفوق الشرقيين في الاشغال اليومية على غيرهم من الاجناس

(٢) قد ثبت ان البروتين مؤلف من وحدات تعرف بالملاح الامينو

دقيق الصويا في أغذيتهم اليومية بأية وسيلة من الوسائل ، وتؤكد لهم أنهم متى جرّبوه انتشر استعماله تدريجياً انتشاراً كبيراً بدلاً من الدقيق الابيض أو مضافاً اليه ، واستغنوا به عن دقيق الحنطة الابيض باعتباره مصدراً غذائياً عظيماً

عوض جندي

القاهرة

* * *

ومنافع الرطل من البروتين تعادل أكثر من رطلين من شرائح لحم البقر (البفتيك) ويساوي اربعة اضعاف وزنه من البيض والحنطة والحبوب ، وضعفي مثله من الزبدة والفول واثني عشر ضعفاً من اللبن

ولذلك اخذت المجليات الانكليزية والاميركية الصحية تحت قراءها على ادماج

الجهاز الرموي والفساط السماعي الصناعي

وعلاج السرطان في الغدة الدرقية

ذلك ان من المشكلات التي يتعرّض لها العلماء عند المعالجة بالراديوم أو أشعة اكس اختصاص النسيج المريضة بتأثير هذا العلاج دون النسيج السليمة . وقد استنبطوا وسائل منوعة لحل هذه المشكلة ولكنها لم تحقق الغرض المقصود تحقيقاً تاماً

الآن الطيبين سول هرتر وآرثر روبرتس عرفا ان اليود من العناصر التي يمكن تحويلها مشعة بالجهاز الرحوي . فاذا حقن اليود في الدم سار بطبيعته الى الغدة الدرقية . وقد اكتشفا هذه الحقيقة بحقن اليود المشع في شرايين الارانب ، والرأي ان ما يصح على الارانب يغلب ان يصح على النامس

فاذا بلغ اليود المشع الغدة الدرقية ، من طريق الدم ، جعل يطلق اشعاعه فيها فيفعل فيها فعل ابر مغروزة فيها ومحتوية على الراديوم . الا ان اليود المشع لم يستعمل حتى الآن في علاج المصابين بسرطان الغدة الدرقية لقلته

يعلم قراء المقتطف ممن طالع مقالنا في « تهشم الذرة » (مقتطف ديسمبر ١٩٣٧ ص ٥٢٣) والجانب الاخير من محاضرتنا « في الاشعاع قديماً وحديثاً » ان في وسع العلماء ان يحولوا بعض العناصر غير المشعة مشعةً بجهاز يعرف باسم الجهاز الرحوي Cyclotron وقد صنعوا به صوديوماً مشعاً وراديوم E من عنصر غير مشع . وبما يمتاز به الصوديوم الذي حول عنصرأ مشعاً بهذه الطريقة انه لا يطلق الاً أشعة غمراً حالة ان الراديوم يطلق عدداً هذه الاشعة دقائق ألفا ودقائق بيتا . ولذلك ذهب العلماء من البدء الى ان استعمال الصوديوم المشع في الطب لا بد أن يكون أسهل من استعمال الراديوم وقد اطلعنا في الصحف العلمية الاخيرة على ان طبيبين طليين من أساتذة مدرسة الطب بجامعة هارفرد قد أخذوا يستغنيان عن مبضع الجراح في علاج النواحي السرطانية في الغدة الدرقية بالمواد المشعة اشعاعاً صناعياً

ازالة جزء من الدماغ لا يؤثر في الذكاء

تفضي الى ضعف في قوى التفكير . فلم تؤيد الحالة السابقة هذا الرأي . وفي حادثة أخرى أزيل من المخ (ولم تشر المجلة التي نقلنا عنها الى المنطقة الخاصة من المخ) من ٤ في المائة الى ٧ في المائة من وزنه فظل ذكاء الرجل كما كان متوسطاً . وفي حالة ثالثة أزيل الفص الجبهي الايسر للدماغ فبدأ لاقربائه أذكى بعد إزالتها منه قبلها ، وانما خسر جانباً من مقدرة على الاقدام في المعاملات التجارية

وقال الدكتور هب انه لم يتبين في المصابين الاربعة الذين حلهم اي أثر من البلاهة والجمود والهبوط والحبل بعد العمليات التي تقدم ذكرها . واشاد بذكر ثلاثة من اطباء كندا في معهد مونتريال النورولوجي ومعهد الصحة العقلية لمعاونتهم في هذا البحث الطبي النفسي الطريف

* * *

أُسعة لقفل الميكروبات

وقد استعملت هذه المصاييح أولاً في مستشفى جامعة ديوك فلما ثبتت فائدتها عمدت المستشفيات الكبيرة في الولايات المتحدة الاميركية الى استعمالها في حجب العمليات الجراحية وفي مقدمتها عيادة مايو وغيرها ولا يخفى ان الالتهاب قد يعقب العمليات الجراحية على الرغم من ادق وسائل التعقيم

من غريب ما روي للجمعية السيكولوجية الاميركية في اجتماعها الاخير ، ان الدكتور « هب » Hebb احد اقرباء المعهد النورولوجي بمونتريال كندا وجامعة ماكجل الكندية ، استطاع في اربع عمليات جراحية ان يزيل جانباً من الدماغ في اربع حالات مختلفة من غير ان يؤثر عمله هذا في ذكاء اصحابها

ففي احدي هذه الحالات أزيل الفص الجبهي الايسر للدماغ بعملية جراحية ثم بعد الشفاء امتحن الرجل امتحاناً سيكولوجياً لمعرفة درجة ذكائه فاذا النتيجة التي أسفر عنها هذا الامتحان انه في طبقة « الموهوبين » . وقد كان هذا الرجل آمناً ، ولذلك فالجانب الايسر من دماغه كان الجانب المتغلب . وكان رأي فريق كبير من الاطباء ان إزالة جانب من الجانب المتغلب من الدماغ في هذه المنطقة

استنبط الدكتور هارفي رنتشler Rentschler احد العلماء الباحثين في قسم المصاييح بشركة وستنوس الكهربية الاميركية ، مصاييح دعاها « ستريلامب Sterilamp اي « مصاييح التعقيم » في قدرتها ان تطلق شعاعاً من الاشعة فوق البنفسجية طول موجاتها ٢٥٣٧ انغستروم فتفتك بالميكروبات ولا تضر الانسان

وذلك لانه من المتعذر الاحتفاظ بجوّ الحجرة التي تجري فيها العملية خالياً من الميكروبات . فاستعمال هذه المصابيح يفتك بها جميعاً ، وقد اسفرت تجربتها عن امتناع حدوث الالتهابات التي تعقب العمليات امتناعاً تاماً .

وقد تفرع هذا البحث من بحث آخر كان مداره السعي الى استنباط طريقة لتعقيم انواع الاطعمة بغية حفظها . ولا يخفى ان الطهي وسيلة من وسائل التعقيم وكذلك استعمال بعض المواد الكيميائية والتبريد . ولكن بعض هذه الوسائل لا تجدي في اعداد الاطعمة الغضرة للحفظ

كالثمار . واللحم كثيراً ما يتعفن عند ما يحفظ في المبردات . أما الآن ففي وسع الجزار ان يضع في مبردته او في واجهته مصابيح التعقيم فتطلق شعاعها فتعقيم جميع الميكروبات فيحفظ اللحم نقياً من الميكروبات التي تفسده فينتن

ثم هناك استعمال آخر . وهو ان المطاعم الكبيرة في حاجة الى وسيلة تمكنها من تعقيم الاطباق والاكواب التي يستعملها الناس ومنهم المريض والسليم . والغسل وحده لا يكفي فاذا عرضت في مكان خاص لاشعة هذه المصابيح عقمتم وغدا استعمالها سليماً من الناحية الصحية

* * *

أصل الاشعة الكونية

أتى العلامة الاميركي الدكتور مليكن Millikan خطبة في أكاديمية العلوم الاميركية عرض فيها أدلة جديدة على ان الاشعة الكونية تولد من تلاشي العناصر المنتشرة في رحاب الفضاء انتشاراً لطيفاً . ويؤخذ من مباحث الدكتور مليكن هذه ان تأثير الشمس المغنطيسي يمتد في الفضاء ويشمل المجموعة الشمسية كلها . وعنده ان العناصر التي تلاشي في الفضاء فيفضي تلاشيها الى تولد الاشعة الكونية هي الكربون والتروجين والاكسجين على الاكثر تليها عناصر الصوديوم والسليكون والالومنيوم . وهذه العناصر أكثر العناصر في الكون المادي وأوزانها الذرية تتفاوت من ٦ الى ٢٨ ثم ان الايدروجين والهليوم من العناصر

الكثيرة في الكون ، ولكن الاشعة الكونية الواصلة الى الارض او الى البلونات العلمية المحلقة في الجو ليس بينها ما يدل على ان طاقته تقابل طاقة تلاشي الايدروجين او الهليوم . وهذا حمل الدكتور مليكن على الذهاب الى ان امتداد فعل الشمس المغنطيسي ابعد مما كان يظن . . لان هذا الفعل يؤثر في الاشعة التي قد تتولد من تلاشي الايدروجين والهليوم فتحرفها فتتمنعها من الوصول الى جو الارض

* * *

— قدر أحد الباحثين ان هفود يرو كانوا قد استخرجوا من مناجم الذهب فيها ما قيمته نحو ٢٣ مليوناً من الجنيهات حتى تاريخ الفتح الاسباني

مكتبة المقتطف

مدام كوري

سيرتها بقلم صغرى ابنتها ايف كوري

Mme Curie by Eve Curie

في السابع من نوفمبر من سنة ١٨٦٧ وضعت زوجة فلاديسلاف سكلو دوفسكي أستاذ الطبيعة في مدرسة البنين العالية بوارسو ببولندة الروسية فتاة دعيت مانيا فلما توفيت هذه الفتاة في ٤ يوليو سنة ١٩٣٤ حزن العالم قاطبة على فقدها لانه فقد فيها مدام كوري احد مكتشفي الراديوم نشأت في بولندة في الثلث الاخير من القرن الماضي وفي ثانيا نفسها عبقرية كامنة ، عبقرية ذهنية تساوقها عبقرية خلقية وإيمان وطني . وتعلمت منذ نشأتها الاولى ان الحياة فضال دائم وان ما يعجز العالم عن سلبه اياك انما هو ما يكون في ذهنك وخلقك . فلما اقترنت التربة الصالحة بالعبقرية الموروثة نشأت شخصية فذة ليس في صفحة من صفحات حياتها سطر ممل لذلك كان الكتاب الذي وضعته صغرى ابنتي مدام كوري في ترجمة والدتها العظيمة سيرة نادرة في بساطتها وجمالها وشدّة وقعها في النفس . هوذا مادة تصلح ان توحى الى موسيقي عظيم الآن او في المستقبل سمفونية من السمفونيات الخالدة . وانك ترى وانت تطالع هذا الكتاب صورة مانيا من شبابه الى شيخوختها . فاذا وقفت عند الصورة الاخيرة وقد ذهبت مسحة النضارة من ذلك الوجه وعلته الغضون تبين ان ذهاب الجمال لم يذهب بروعه لان نوعاً من التألق الروحي حل فيه وأطل من قسمايه

كانت حياة مدام كوري منذ حداثتها حافلة بمعاني المأساة . المأساة الشخصية والمأساة الوطنية . فقد ماتت والدتها وهي دون المراهقة وكانت تتعلم في مدرسة فكان لا بد لها ان تتعلم لغة قومها وأدبهم خفية عن الاعين لئلا ينزل بها من الروس اعظم العقاب

ولما كانت في التاسعة عشرة من العمر وقد فتحت عبقريتها وانوثتها اضطرت ان تستخدم معلمة في دار جماعة من الصناعيين البولنديين لكي تعين بجانب من اجرها الضئيل شقيقة لها تتعلم الطب في باريس . ولما احببت بكر تلك الاسرة واحبها حالت الحوائل الاجتماعية دون الزواج من « معلمة » كانت هي في قرارة نفسها تعلم انها تفوقهم ذكاء وعلماً ونبلاً فخرحت نفسها ولكنها انطوت على الجرح وقد كتبت في خلال تلك الايام رسائل تقطر عذوبة وكرامة وحكمة — وهي في التاسعة عشرة او العشرين

وأخيراً أتيج لها السفر الى باريس لتلقي العلم في السوربون في كلية العلوم فكان عليها ان تدكل « روبل » في حوزتها وان تسافر في مركبات البضاعة من وارسو الى باريس وان تعيش في باريس عيشة عوز وفاقة معرضة للجوع والبرد وكثيراً ما أغمي عليها لقلة ما كانت تتغذى به. ولكن عقل الفتاة الشغوف بالعلم كان الهادي لها في خضم الحياة

وأخيراً التقت بالاستاذ بير كوري وكان من علماء الطبيعة الناشئين وله في ميدانها مكتشفات ومخترعات فتحابا منذ النظرة الاولى ولكن ماري ظلت تمانع في قبول الزواج على ما فيه من تحقيق لمطامحها العلمية واستقرار لعيشتها البائسة وذلك لانها كانت ترى في قرارة نفسها ان الواجب القومي يقضي عليها بأن تعود الى وطنها لتسدي إليه ما تستطيع من خدمة. فلما رأت منه استعداداً للعودة معها الى بولنדה أدركت ان ليس من حقها ان تسلب عالماً فذاً مستقبلياً العظيم فتزوجا وهنا بدأت تلك الشركة العلمية العظيمة التي استهلت مرحلتها الاولى باكتشاف البولونيوم والراديوم في أحوال كأنها من بنات الخيال ثم انتهت الى مأساة موت الاستاذ كوري وهو خارج من كلية العلوم بوقوعه تحت عجلات مركبة من مركبات النقل

كاد الجزع ان يقضي عليها ولكنها ما لبثت ان أدركت ان العمل العظيم الذي بدأت عليه وإياه يقضي منها الصبر والشجاعة فضت فيه الى النهاية لا يستوقفها الطمع بالثروة ولا تستهويها الالقاب ولا يجيد بها عن طريقها المرسوم — طريق البحث العلمي — صغيرة ما من صغار الدنيا اتعجت استاذاً في السربون محل زوجها فلما ألفت محاضرتها الاولى حضرها الملوك والامراء والعلماء فاستأنفت المحاضرة في الموضوع حيث وقف به زوجها قبل مصرعه. لم تشر ادنى اشارة الى هول خطبها وفداحة خسارتها لانها كانت قد وهبت نفسها للعلم. اما حزنها فلها وحدها تتطوي عليه في ساعات وحدتها الالهية

واذا كانت مدام كوري قد احرزت جائزة نوبل مرتين مرة مع زوجها والاستاذ بكريل ومرة وحدها فليس ذلك من المصادفات بل هو نتيجة العبقريّة والجهد. وليست تربيتها لابنتها ابرين — التي نالت جائزة نوبل كذلك مع زوجها الاستاذ جوليو — بأقل مقاماً في تاريخ العلم الحديث من بحوثها العلمية المبتكرة

ومن اشعة النور التي ادخلت الغبطة على حياة هذه المرأة الفذة ان أتيج لها ان ترى بلادها — بولنדה — وقد تحررت من قيود الغاصيين وان أتيج لها ان تسدي اليها خدمة اذ وهبتها مقداراً من الراديوم كان قد اهدي اليها جزاءها على ما صنعت

ان كاتب هذه السطور لم يقرأ في السنوات الاخيرة كتاباً أرضى نفسه وعقله كسيرة « مدام كوري » وما ذلك الا لان العظمة العقلية العلمية في هذه السيدة حاذت عظمتها الخلقية واتسقت معها

على هامش السياسة

بعض مسائلنا القومية — تأليف الدكتور حافظ عفيفي باشا

« الصحة العامة في مصر . التعليم . مسائلنا المالية . مسائلنا الاقتصادية » موضوعات طالها صاحب السعادة الدكتور حافظ عفيفي باشا في كتاب أصدره أخيراً بالعنوانين الموضوعين في رأس هذا المقال . وهي من أمهات الشؤون الداخلية التي تحتل المقام الاول في خطب العرش وتحاول الوزارات التي تتعاقب في الحكم والاحزاب التي تنتمي هذه الاحزاب اليها ان تجد لها حلاً . فاذا جاء وزير سابق وسياسي معروف بصدق وطنيته وعظيم خبرته وسعة علمه وسام بنصيب من البحث في هذه الموضوعات الهامة فان عمله يقابل بالتقدير وما يعرب عنه من آراء يصادف ما هو جدير به من عناية واهتمام

وقد مهد الوزير الكاتب لبحثه بمقدمة بسط فيها غرضه فنوه بأن الاستقلال السياسي الذي نالته البلاد ان هو الا وسيلة للاصلاح الداخلي . وقال ان مصر تملك كل وسائل الاصلاح وأسبابه غير ان بلاداً كثيرة سبقتها في ميادينها وهي دائبة الجري أمامنا بخطى أسرع من خطانا والمستقبل للامم السابقة في ميدان القوة والعلم والمال . ثم قال : انه حاول ان يشرح في هذا الكتاب باختصار طائفة من مسائلنا لم تحل بعد وانه حاول ان يصف ما اعتقده حلاً معقولاً لها وهو لا يدعي الكمال فيما عرض من حلول فقد يصل غيره الى ما هو احسن منها وأفضل ولكنه يدعي انه فكّر طويلاً فيما كتب واستشار كثيراً من العارفين فيما اقترح ودرس المسائل التي تعرض لها دراسة مستفيضة »

وأجل من ذلك قوله : « لم أقصد بما كتبت مصلحة سياسية شخصية فليست من المشتغلين الآن بالسياسة الحزبية ولا أنوي الاشتغال بها ولهذا ايضاً لم أقصد دعوة لطائفة سياسية معينة او انتقاداً لجماعة بالذات . بل أريد على ذلك اني مقتنع بان طبيعة المسائل التي تعرضت لها هي من نوع المسائل العامة ذات الصبغة الاهلية التي يجب ألا تختلف في أسسها الجماعات السياسية لانها لا تصلح بطبيعتها لتكون ميداناً للمنافسة الحزبية . ويجب ان يتعاون الجميع على ابعادها عن هذا الميدان واعتبارها مسائل قومية لا تحل الا بسياسة قومية يرضاها الجميع ويؤيدها الجميع . فان جميع الحلول الممكنة والمعقولة محتاج في تنفيذها الى زمن طويل وسياسة مستمرة وسيتداول الحكم في هذا الزمن وزارات مختلفة ولا تزال هذه المسائل في دور التنفيذ فاذا لم يتفق ساستنا عليها هدمت كل وزارة ما بنت غيرها الخ »

وأشار الوزير بعد ذلك الى نظام الحكم الدستوري وحاجته الى الاحزاب المنظمة ذات البرامج المفصلة وكيف ان احزابنا شغلت بالمسائل السياسية الكبرى وقد سويت هذه المسائل فلم

يبقى لها عذر في التأخر عن وضع البرامج المشار إليها . وانتقل الى نقد مظهر من مظاهر الحكم الدستوري فقال :

« ويجب ان يفهم انصار الحكم الدستوري في هذه البلاد ان هذا الحكم بما يقرر للجميع من حرية تامة في ابداء الرأي وبما يستند اليه من حق الجميع في الانتقاد داخل المجالس وخارجها وبما يفرضه على الوزراء من ضرورة الحضور الى المجالس والاشتراك في مناقشاتها والرد على ما يوجه اليهم فيها من اسئلة وتقديم ما يطلب منهم من بيانات . يقلل كثيراً من الوقت الذي يستطيع الوزراء صرفه في عمل وزاراتهم وهو العمل الاساسي الذي جاءت الوزارة للاضطلاع به وينتظر الجميع ان تقوم بتنفيذه فوراً ويعتبر تنفيذه المرة الوحيدة التي تجنيها الامة في النهاية من الاستقلال السياسي ومن الحكم النيابي »

قال : « والا اذا صرف الوزراء صباحهم في مقابلات الزائرين والشاكين والاحتجين وللمتمسكين من النواب والشيوخ والاصدقاء والناخبين ، وما بعد ظهرهم داخل المجالس النيابية للاشتراك في مداولاتها ومناقشاتها ، وليلهم في حضور الولايم وتحضير الخطب والردود على الاسئلة والاستجوابات البرلمانية فتى ياترى يفرغون للعمل الاساسي الذي جاءت الوزارة للقيام به اني ادعو مخلصاً انصار الدستور لتدبر هذه الحالة ووضع حد لها »

وختم مقدمته بقوله « ويجب ألا ينسى ساستنا واهل بلادنا ان مصر بمرکزها وثروتها استهدفت في جميع ادوار تاريخها المعروف وهي لا تزال مستهدفة الآن وفي المستقبل لاطاع الطامعين من المستعمرين والفاشين ولا امل لها للوقاية من هذا الخطر الا باصلاح جميع شؤونها وتحسين جميع مرافقها وتجديد نشاطها وقوتها وتقوية جميع معدات الدفاع الجسمية والعقلية والمادية فيها » وبعد هذه المقدمة التي تضمنت ما تضمنت من صراحة في القول عرض الوزير للمسائل الاربع التي تقدم بيانها وبدأ بمسائل الصحة العامة إما لانه طيب بهتم اهتماماً خاصاً بها وإما لانه يعتقد ان الصحة اساس الحياة او للامرین معاً . وقد تناول في بحثه تحسين مياه الشرب في القرى والمجاري العامة واصلاح منازل المدن وابادة الحشرات الناقلة للأمراض وتحسين غذاء الشعب وزيادة المناعة من الامراض والمستشفيات

وفي التعليم تناول سياسته وأغراضه ومناهجه واللغة العربية وأجور التعليم والعناية بصحة التلاميذ والرياضة البدنية وضرورة بناء مباني للمدارس واستخدام السينما في دور التعليم والتعليم الحر والالزامي والجامعي والفني وقد كان جانب التشخيص للعلّة غالباً على جانب العلاج وفي المسائل المالية تكلم عن السياسة المالية ومصروفات الحكومة ونفقات مشروعات الاصلاح وايرادات الحكومة والضرائب

وفي السياسة الاقتصادية تكلم عن تحسين الموارد الزراعية وانتخاب البذور ومداومة البحوث الزراعية العالية وتجديد الاساليب الزراعية ونشر الدعوة الزراعية وبثك التسليف الزراعي وزيادة الانتاج الزراعي واصلاح الاراضي البائرة وتكلم عن الصناعة والتجارة وكل ما يتعلق بهما وأشار بما يؤدي الى تنشيطهما واستعان في كل ما اعرّب عنه من آراء وحلول باحصاءات وأرقام وأيد في كثير من آرائه ما يكتبه الباحثون والمفكرون في الصحف في هذه المسائل . والكتاب جدير بأن تنقل منه الصحف والمجلات فصولاً برمتها لان مجرد سرد عناوين الفصول لا يدل القارىء على ما عانى الوزير من مشقة في بحثه وما ابدى من آراء سديدة .

وحبذا الحال لو عني المقتطف بتلخيص آراء المؤلف في مسائل الصحة والتعليم وغيرها ***

طه حسين — دراسة وتحليل

بقلم الدكتور اسماعيل احمد ادهم — رسالة في ٥٨ صفحة — مجلة « الحديث » حلب ١٩٣٨
الدكتور اسماعيل احمد ادهم شاب يشارف الثلاثين . الا أنه جمع بين يديه بضاعة علمية ذات شأن ، تتجاذبها الفلسفة والعلوم الطبيعية والمشرقيات ، ويدل عليها تلك الشهادات التي نالها والمؤلفات التي نشرها ، وتصيبها مدونة بقلم الاستاذ سامي الكيالي في مقدمة هذه الرسالة حقاً ان بحث الاستاذ الدكتور ادهم أقرب الى الدقة والمتانة منه الى التفنن والتخمين ، ذلك بأنه قسم موضوع بحثه تقسيماً معقولاً فجعل الفصل الاول تاريخ حياة طه حسين وتحليل شخصيته بالاضافة الى نشأته وتربيته الاولى والثانية وبيئته واتصاله بعلماء الفرنجة في الجامعة المصرية ثم التحاقه بالسوربون ونتيجة حياته الزوجية ، ثم أنه لم يغفل النظر في مجرى الحياة الباطنة من عوامل الكبت وزعات العقل الباطن . واما الفصل الثاني فيتناول مذهب طه حسين في النقد الادبي ومذهبه الفني . والفصل الثالث — وهو خاتمة الكتاب — يعرض رأي طه حسين في الدين وغير الدين ثم بعض آراء معاصريه فيه

وخلاصة هذا البحث المستفيض الضارب الى الثبوت العلمي في تفاصيله ان مؤلفات الدكتور طه حسين العلمية « في غاية النفاسة ولكن قيمتها العلمية محدودة » لان الدكتور طه حين « لم يستوف الكثير من التحقيقات العلمية في بحوثه » ، لاسباب يعرضها الدكتور ادهم (ص ٣٠ ، ٣١) ولأنه « اسرف في الاستنتاج ولم يتحوط في الدراسة » (ص ٣٤) . ثم يشير الدكتور ادهم الى متابعة الدكتور طه حسين لهواه في نقده الفني (ص ٤٣) . وفي رأي الناقد أن الدكتور طه حسين ينظر الى الدين على أنه وضع اجتماعي محض (ص ٤٧) ثم أنه فنان قبل كل شيء .

وسواء أصاب الناقد أو أخذاً فما لا شك فيه أنه عمد الى بحثه عارفاً بما يقول وذلك لتكونه من الناحية العلمية، وغير هباب من قول ما يرى وذلك لتحرر فكره (أنظر مثلاً ص ٣٧ : جهل الشرق العربي وانظر ص ٤٠)

ومما يؤخذ عليه — بعد هذا — أنه يستعمل ألفاظاً وتراكيب في غير مواضعها فتختلط مفادها على القارئ العربي . من ذلك قوله : « فيأتيك (طه حسين) بصور من الحياة فتخرج غارقة في تهويل واسراف . . . » (ص ٢٦) فما التهويل والاسراف ههنا ؟ ثم قوله : وتحليل شخصيته (اي طه حسين) من الوجهتين النفسية والاثنولوجية » (ص ٢٧) و « الاثنولوجية » لفظة نابية ههنا لان معناها المعروف عند علماء التاريخ الاجتماعي لا توافق ما يريد الناقد وبالجملة فقارئ هذه الرسالة يعترف لصاحبها بالدراية بالبحث المستقيم ويخرج منها والدكتور طه حسين يبدو له في الجملة كاتباً قوياً ومفكراً حراً وعالماً متفتناً . ب. ف.

محمود كامل

أنا وأنت — ٢٤١ ص من القطع المتوسط

استعار المؤلف عنوان الكتاب من مجموعة من الشعر الفرنسي للشاعر الرقيق پول جيرالدي وكان في نيته ان ينقل المجموعة الى اللغة العربية ثم بدا له ان القارئ المصري لم يعتمد هذا الضرب من الكتب فرأى ان يجعل الكتاب مجموعة من القصص المصرية يفصلها بعضها من بعض مقطوعة عن شعر جيرالدي

والاستاذ محمود كامل صاحب مجلة « الجامعة » يعنى بتأليف القصة والكتابة في فنونها منذ زمن غير قريب . وانجابه في تأليفه واقعي محض فهو يلاحظ ما يجري في البيئة المصرية ثم بدونه مع شيء من التصرف لجعل القصة قطعة أدبية تلتف مداخلها ومخارجها . والاستاذ كامل لا يعنى بتشذيب الاسلوب فهو يكتب على الفور ولا يحب مراجعة ما يكتب للاحاح قلمه على المواصلة . وفي المجموعة ما هو مكتوب باللغة العامية (رواية الحائنة مثلاً) ، فكان هذا اللون من الكتابة لا يزال راجعاً في البقاء . وما صدمنا في تضاعيف الكتاب ان المؤلف يقول في وصف شعر حسناء أسود فاحم أنه كتاج من « العاج الاسود » (١) (ص ١٤٨) . ثم أنه بلغ به انصرافه عن تهذيب العبارة العربية الى ان ينقل بيتاً للشاعر الفرنسي جيرالدي هكذا : « ان ما يقوله الناس كلام فارغ » (ص ٧ وهي الصفحة الاولى من مضمون الكتاب) . وقد رجعنا الى

النص الفرنسي فاذا هو : Ce qu'on dit c'est si vide

فما ضر المترجم لو قال : ان الكلام هباء . أو ، لا ثروة فيه ، أو ، لا بغي عن الشهور شيئاً (وهو المعنى المقصود بلفظة vide الفرنسية)

ب. ف.

مطبوعات الحكومة العراقية

رسائل نفيسة في آثار العراق

أهدت لنا إدارة الآثار القديمة في العراق سلسلة من الكتب الصغيرة النفيسة محتوية على وصف أشهر الآثار القديمة في تلك الربوع وصفاً فنياً وأثرياً دقيقاً ومزينة بصور كثيرة حسنة الطبع . ومنها رسالة في « الاخضر » وهو قصر قديم داخل حصن منع مشيد في قلب البادية في الجهة الغربية الجنوبية من مدينة كربلا ويبعد عنها نحو خمسة وخمسين كيلو متراً . ويمد على مقربة من القصر وادي رملي يعرف بين البدو باسم وادي الأبيض . وعند الاخضر تلتقي عدة طرق صالحة لسير القوافل توصل رأساً الى النجف الشريف والكوفة والشامية من جهة والى عين التمر وواحات شغافة والرحالية من جهة أخرى . ولذلك يصح القول ان الاخضر مشيد في موقع تتلاقى فيه طرق القوافل القديمة التي كانت تمتد بين البصرة وحلب من جهة وبين وادي الرافدين وبادية الشام وهضبة نجد من جهة أخرى . ومن الغريب ان تاريخ القصر والحصن غير معلوم بالضبط على الرغم من ضخامة بنائه ودقة تخطيطه وأهمية موقعه وذلك لأنه لا يوجد في القصر او الحصن كتابة تدل على شيء من تاريخه وليس في كتب التاريخ والجغرافيا القديمة اشارات صريحة تدل عليه وأقدم الاشارات التي تدل عليه دلالة أكيدة ترجع الى القرن السابع عشر حيث شاهد بعض الرواد من الاوربيين كدلاً قاله في أوائل القرن التاسع عشر . ولذلك ترى ونيهور في أواسط القرن الثامن عشر وماسينيون في أوائل القرن التاسع عشر . ولذلك ترى دائرة الآثار العراقية ان ما يعرف عن الاخضر لا يتعدى حدود التخمين والفرض والرسالة تحتوي على وصفه بالتفصيل وعلى الآراء فيه وعلى ٤٦ لوحة و ١٣ شكلاً

ومنها رسالة في جسر المستنصر الواقع على بعد تسعين كيلو متراً من مدينة بغداد شمالاً على الطريق المؤدي الى سامراء فكريت ، بالقرب من قصبة بلد ومحطتها وهو مشيد على مجرى نهر الدجيل باتجاه « الشمال ، الجنوب » تماماً . والجسر قائم على اربع قناطر فتحة كل قنطرة من الوسيطين ٥ امتار و ٨٠ سنتيمتراً وطول الجسر العام ٥٤ متراً وعرضه ١١ متراً و ٨٠ سنتيمتراً . وقد سمي هذا الجسر « جسر حربي » نسبة الى مدينة حربي التي تقع اطلالها في الجهة الجنوبية الغربية منه وقد كانت مشهورة بالمنسوجات القطنية وذكرها ياقوت في معجم البلدان وفي انقضاء قطع كثيرة من الخزف . والظاهر انها قديمة وكانت تعرف بهذا الاسم في صدر الاسلام وتحتوي الرسالة على عشرين لوحة بدعة تبدو فيها النقوش والكتابة الممتدة على جانبيه في كامل روعها الفنية

ومنها رسالة في خرائب بابل وبورسيا والاولى واقعة على ٩٥ كيلو متراً الى الجنوب من بغداد عند طريق بغداد الحلة والوصول اليها ميسر من بغداد بسيارة تستغرق ساعتين او بالقطار ويستغرق اربع ساعات . والجزء من الرسالة الخاص ببابل يشتمل على نبذة عن تاريخها ثم اخرى عن حفريات فثالثة عن تخطيطها استناداً الى نتائج الحفريات وما فيها من حصون وقصور ومعابد ومسكن اما خرائب بورسيا فتبعد عن بابل نحو نصف ساعة بالسيارة

والحق بالرسالة خارطتان احدهما لبابل والثانية للعديفة الداخلية ببابل و١٢٨ رسماً وصورة لآثار الآثار وتخطيط بعضها ومن اجمالها صورة ثور مغشى بالطينا من باب اشتهار ومنظر تصويري لتحصينات المدينة الداخلية وآخر للمساكن وثالث لمعبد نيماخ ورابع لبرج بابل

ان بلاداً كالعراق غنية بآثار الحضارات القديمة الجيدة لا بد ان يكون فيها متحف يحتوي على نقائس لا تقوّم بمال . ودليل المتحف العراقي الذي بين أيدينا دليل ناطق على صحة ذلك في احد أبهائه آثار العراق القديمة التي تترد الى عصور ما قبل التاريخ ولا سيما اواخر الالف الرابعة واوائل الالف الثالثة قبل الميلاد . وفي هو آخر آثار تمثل غير قليل من الصناعات التي نشأت في العراق خلال المدة التي تمتد بين دور الاسكندر الكبير في القرن الرابع قبل الميلاد وواخر الدور الساساني في القرن السابع الميلادي تقريباً . وقد أشرنا الى هذين الهوين للتشيل فقط ونذكر اننا شاهدنا في المتحف البريطاني بلندن أجمل الآثار التي استخرجها « وولي » من أور الكلدانيين وهي من أبدع ما تقع عليه العين فعسى ان يتاح للعراق استرجاعها وحفظها في متحفها ببغداد

ويتبع هذا الدليل دليل آخر صغير للقصر العباسي — وهو المعروف عند الناس بقصر المأمون — وهو معرض الغرض منه ان يحتوي على الصور والخارطات المتعلقة بمدينة بغداد ومبانيها الاثرية في الدرجة الاولى والمتعلقة بالمدن والمباني الاثرية العراقية الباقية من العهد الاسلامي في الدرجة الثانية ثم استعمال بعض حججه لمعارض موقوتة تعرض فيها صور ونماذج من نقائس الآثار التي أوجدتها الروح العربية في أقطار العالم المختلفة لكي تساعد على تسمية الذوق العربي واحياء الرياضة^(١) العربية في العراق

وقد وضعت هذه الرسائل النفيسة باشراف الاستاذ ساطع بك الحصري مدير ادارة الآثار العراقية فله ولمن عاونته الشكر الجزيل

(١) المقتطف: جاء في محيط المحيط الرياضة حرفة الراز والراز رئيس البنائين واصله رائز . فالقصد على ما يلوح ما نعر عنه بلفظ « المهارة »

سندباد عصري

تأليف الدكتور حسين فوزي مدير ادارة الاحياء المائية والمصايد ٢٣٨ صحيفة من القطع المتوسط

ليس ادعى الى إبراز معارف الكاتب ، واظهار إنجازاته ذهنه ، ومبلغ تجربته وفهمه ، وتوضيح بقطة قلبه وإحساسه ، والاعلان عن شخصيته وطابعه من كتب الرحلات . فان هو حاول ونجح في اخفاء بعض هذه المزايا ، والخصائص في غير كتب الرحلات ، فهو لا ريب طاجر عنه فيها ، لان كتب الرحلات كالقصة تنسج لكل صور الحياة ، ولان السفر يلزم الكاتب على الانطواء كثيراً على النفس ، وانعام النظر كثيراً في معالم الاشخاص ومظاهر الاشياء ، والتشوف كثيراً الى ما وراء الظواهر والمعالم والحنين الى المجهول ، وتقصره على اعترافات لا يقوى على كتمانها او تفتيتها

فؤلف هذا الكتاب ، طبيب في الاصل ، انصرف عن علاج الاجسام الى علوم الاحياء المائية ، فبلغ فيها رفعة ، وتسامى الى مكانة اعترف له بها علماء لا يحابون في العلم ، فكان المفروض فيه ان يبرز روح العلم في هذا المؤلف الذي اختصه بتدوين مشاهداته ووصف رحلته العلمية في المحيط الهندي — وهو المنتدب رسمياً مع طائفة من علماء الانجليز لدراسة طبيعة الاحياء في أهواء هاتيك البحار — ولكن تحيزة الادب المفطور عليها ، وهي غلاظة قاهرة ، قسرتها على التجرد من خاصية العلم التقريري ^(١) وبحوثه الجافة ، فسرطان ما اندفع مع الطبيعة الصادقة يجوب اجواءها ، ويتذوق لبابها المكنون ، ولما كانت نفسه شاعرة مدركة ، تفقه القصد وتحيط بالمعنى ، ولما كانت طبيعة الاماكن التي زارها وكان لأهلها خليقة يمتازون بها عن قطان المعمور قاطبة ، قريبة من نفسه وعقله ، لم يسعه سوى سكب روحه كلها في هذا الكتاب . فجاء يجمع بين رواء القصة ، وعذوبة الحديث وسعة الاطلاع ، واستلحاق ميول النفس وتقلباتها ، وبين درس طبائع شعوب أقامت مدنيته وحضارتها ، وشادت فلسفتها وعقائدها ، على دعائم صوفية ما برحت مثاراً للبحث والدرس والمقارنة بينها وبين ما جاء بعدها من مثيلاتها حتى مدنيتنا وفلسفتنا وعقائدنا العصرية أول ما يطالعك في هذا الكتاب شخصية المؤلف وطابعه باديان في محاولته القول الصدق ، أو ما يعتقد انه الصدق . وتصويره بعبارة غاية في الوضوح والبساطة ، وتسميته الاشياء بأسمائها بدون ما مواربة ، وتحليله الامور وتبسيطها بغير ما تحذلق ، تارة جاداً وطوراً ساخراً ، ثم سعة اطلاعه ، وواقف دراسته ، ورحابة آفاقه في فلسفة العقائد ومقارنة الاديان . فالفتاة البربرية التي رقصت أمامه عارية اما « خلعت رداءها بسهولة رجوعاً الى طبيعتها وحياتها الاولى ، وان

(١) المقتطف : روى المؤلف قصة الرحلة من ناحيتها العلمية في مؤلف آخر

جلبابها وضع من الاوضاع لم تفهم ضرورته بعد » وان غناء هذه البربرية المسلمة ورقصها « صلاة وحشية الى صنم الحرج في صحبة العشرة تدور حول قربان آدمي » والفقيه الهندي الراكب رأسه انما هو « يشخص الى ربه بقدميه » وان منظر البرهمي وقد غطى نفسه من أم رأسه حتى اخض قدميه برماد نارٍ اشتعلت تحت اقدام « جانيسما » قد أفزعه كما أخافته جهالات هؤلاء المتعبدين المظلمة، فصرخ مردداً عبارة « جوته » الماثورة وقد قلها عند احتضاره « قليلاً من النور أيها السادة ». وان المدن المدفونة بموت كالتناس موتاً طبيعياً ولكن « أنسى لنا الكاتب الذي يصف لنا اللحظات الاخيرة من أجل المدن المهجورة »

الانسانية الدنيا التي تعمه في ظلام الجهالة تحيط حتى الديانات السامية بخرافات تكاد تلقي اليأس في نفوس الانسانية العليا التي تسعى أبداً الى الاخذ بيد البشرية وأكثر ما تعشش هذه الخرافات وتتوالد وتتكاثر في الهند، فالبودية فيها « حركة تحرير كبيرة من الارهاق الهندوسي، من آلهتها القساة، وفلسفتها المرهقة، والقضاء على نظام الطبقات الظالم، كما كانت المسيحية حركة تحرير الطبقات المذلولة في الامبراطورية الرومانية » ولان الروح الهندوسية روح استسلام وإيمان، وتجرد تضرب مثلاً علياً للتجرد والتقوى « ولكي أومن ان الروحانيات تضيء للانسانية طريقها نحو السمو الروحي، ولكن قوة هذه الروحانيات تضعف اذا اكتفي بها سلاحاً » بيد أن البوذية صراع ذهني بين الرجل ونفسه « وفي رأيي ان نجاح اليابان يعود بعضه الى بساطة البوذية (التي نأت عن الهند واستوطنت اليابان والصين وبورما وسيلان) فلست أتصور اليابان بالغة ما بلغت، لو ان العقائد الهندوسية تذبخ فيها على عقول الناس وتخلق روح الحرية فيهم »

« وإني لمعجب بفاندي، معجب بأثر روحانيته ضد البراهمة، معجب بفاندي وأمثاله من القادة الروحانيين، معجب بكل فكرة تظهر البشرية من الحمأة. ولا ترتاح نفسي الى الحضارة الهندية، بل أفضل بلا تردد الحضارة اليونانية، اوريبيتها حضارة أوروبا بعد تخلصها من نير القرون الوسطى، لانها حضارة بين الروحية والمادية، تنادي باطلاق العقل البشري من عقالة ليفكر غير مقيد، لقد سبق فأخرجت حضارة قديمة عبادة تناسلية مرذولة، ثم اعقبتها أخرى اخرجت عبادة الجمال للجمال، ثم ثالثة اخرجت العبودية والذلة. ثم رابعة اخرجت الفكر الحر والاحساس الرفيع. اما في اوربا فقد خرج الفرد يبحث عن الحقيقة والجمال، فوجد شجرة المعرفة فأكل منها » هذه بعض لمحات من كتاب « سندباد عصري » وفي زعمي ان آيته توطئة قال فيها « درجت على حب الغرب والاعجاب بحضارة الغرب، وقضيت أهم ادوار النكوتين من عمري في اوربا، فتمكنت اواصري، وتقوت دعامتي إيجابي، فلما ذهبت الى الشرق، عدت الى بلادي، وقد

استحال الحب والاعجاب ايماناً بكل ما هو غربي . ثم عاد فافرد لهذه التوطئة فصلاً خاصاً « الشرق والغرب » هو بمنزلة الجذع تفرعت منه غصون الكتاب قل في ختامه « ولكنني وقد عرفت بعض ما احب ان اعرف عن الهند ، وعرفت بعض ما احب عن اوربا ، اشد ايماناً بالغرب وحضارة الغرب ، واكرر قولي ، مهما كانت الاخطاء التي ارتكبت فان فضيلة هذه الحضارة (الغربية) انها تملك اداة اصلاح ذاتية هي « التفكير الحر »

ليس الكتاب مجرد وصف مشاهدات ، واستلحاح عادات ، ودراسة فلسفة ، وزيارة معابد ، وانما هو صرخة داوية في اذهان من لا تكفيهم الاشارة ليفهموا معاني التفكير ، والحياة الحرة ، والاحساس بالانسانية . وقد خرج المؤلف على جزائر سيشل ، وفي شوارع « ماهي » يتأثر خطوات الزعيم الخالد ، الذي عانى في سبيل تحرير بلاده ، لا في عنفوان شبابه ، وانما في ابحار شيخوخته ، وحيج الى منفي الزعيم الذي لم يقهر وجاس موطنه . اقدام الحرية التي لا تقلب قلت ان المؤلف رجل علم في الاصل ، ولكنه اديب وفيلسوف ، إلا ان أدبه وفلسفته قائمان على حياة فنية ونشاط باد تشيع فيها الروح وتنب

لزم السفينة طوال تسعة اشهر لم يكن يطأ الارض في خلالها الا مرات معدودات فلي مرة الراقصة البربرية وقد تحدث عنها ثم لقي ابنة البنجاب وهي « هذا الشرق الطويل العريض الفارغ ، هي تلك الشعوب التي ما زالت تفكر وتحس باحساس القرون الوسطى » ولقي مرة ثالثة فتاة مجوسية من اتباع زرادشت فاختلطت ذكراها في مخيلته بعبادة الدفن عند المجوس ، وبغني بالدفن « التصرف باجساد الموتى » ويقول « المجوس لا يدفنون موتاهم ولا يحرقونها ، وانما يتركونها للعقبان تنظف عظامهم تنظيلاً » ولقي مرة رابعة فتاة انجليزية مستوطنة ممباسا فرأها تختلف عن النساء الانجليزيات ، فيها من « سمو الانوثة واتصار الرخاوة » والفضل في ذلك عائد الى جو افريقيا الاستوائي الذي جعل المرأة الانجليزية « مزدوجة التأنيث »

أخشى ان تغريني البحوث الشائقة في الكتاب فاقتطف اطايها او انقل اكثرها ، وحسبي ان اقول ان جولة الدكتور حسين فوزي في المحيط الهندي قد استكملت تسعة شهور ثم ولد بعدها هذا الكتاب ، واني قرين انك متى بدأت في قراءته ، فلن تتركه حتى تأتي على صفحته الاخيرة ، وفي نفسك شوق ورغبة الى قراءته مرة ثانية

اوصيك ايها القارئ بأن لا تخرج اذا صدمتك بعض كلمات في الكتاب لا وجود لها في قاموس اللغة امثال « استكرد ، وسفر كعابي ، وشكّه مقلب ، نقشه شلوت او بونيه ، » وغيرها من الكلمات العامية التي يحلو للمؤلف إقحامها ليسوغ دعوة له مزمنة في العامية الفصحى ، فان تعمّل هذه الهنات لا يفض من سبحات روحية فياضة بأسمى معاني الاعراب عن خلجات النفس

في يقظتها وفي غيوبتها إن بالأيام والأيام ، أو بالنظرة أو الرنوّ ، أو باللفظة السوقية أو الحوشية « ما شجرة من الأشجار لولا الروح التي تنفخها العقيدة البشرية فيها ؟ ما السماء والأرض والموج المزد يتكسر على الشاطئ الرملي ، وما القمر ينعكس على مرآة البركة الهادئة لولا النفس الحساسة تتصل اتصالاً غير مفهوم بما لا تفصح عنه الطبيعة بلسان ؟ فقد لا تكفي العين والأذن لأدراك روح الجمال »

« العقائد للنفس البسيطة ، والانسانية الدنيا هي والاحساس الفني عند اهل الثقافة العليا ، طريق واحد للتيجة واحدة : هز النفس البشرية هزاً يرفعها عن الاحساسات المادية ، وطلاب الجسد الى الذروات الفكرية التي هي ملك خاص لهذا الحيوان المفكر ، حظي بها دون رصفائه من الحيوانات الاخرى . ولقد استطاع الدكتور حسين فوزي ان يهز النفس الشرقية هزاً اتمنى لو يؤملها فيطهرها من الاحساسات المادية ليرتفع بها الى الذروات الفكرية فاستوجب الثناء القاهرة حبيب الزحلاوي

ملحق تاريخ الآداب العربية

لكارل بروكلن

ان المستشرق الاكبر الاستاذ كارل بروكلن من أبعد المشتغلين بالمشروعات صيناً واعلاماً فدرأ وأرسخهم علماء وأوسعهم اطلاعاً . وأعجب ما أتى به هذا العالم انه وضع تاريخ آداب اللغة العربية سنة ١٨٩٨ اي وهو في العقد الثالث من عمره . فالتفتت الانظار اليه واتخذ مؤلفه حجة ودعامة في الشرق والغرب على السواء ، واليه رجع جميع من كتبوا في ذلك التاريخ ، امثال جورج زيدان ونيكلسون وهوار وغيرهم . ولم يقف الاستاذ بروكلن عند هذا الحد ، بل وضع ، بعد هذا ، معجماً سريانياً وأخذ يكتب الرسائل ويشترك في اخراج مجلات الاستشراق الالمانية وها هو ذا اليوم ينشر ملحقاً ضخماً لتاريخ آداب اللغة العربية المذكور . وقد ظهر من هذا الملحق الجزء الاول ونصف الجزء الثاني ، فجاء ضعف المؤلف الاول لما زاد عليه المؤلف من المصادر والمراجع والموضوعات . ومن يتصفح الكتاب تأخذه اساليب الانشاء العلمي القويم وطرائق التدقيق والتقصي . وسنعود الى الكتابة فيه بإسهاب يوم يتم ظهور الجزء الثاني ب . ف .

بدرت هفوتان في مقالي « تأليف المستشرقين » المنشور في « مكتبة المقتطف » للعدد الماضي . احداها : « فرنسيس كرنكو » (ص ٥٩٩ ، س ١٠) والصواب : فريتش كرنكو — والاخرى : « الاب ملشور » (ص ٥٩٨ ، س ١٦٥) والصواب : ملكيور ب . ف .

الدسائس والدماء

صحف مطوية من تاريخ مصر الحديثة تكشف عن عظمة الشعب وبطولة زعمائه — تأليف
احمد خيرى سعيد — ١٤٨ صحيفة من القطع الوسط اخرجته مطبعة دار الترقى بمصر

لقد نهل الاستاذ احمد خيرى سعيد من العلم اولاً ثم نهل من الادب . فلقد اوشك ان يكون طبيباً لما أن طفى عليه الادب واستأثر به ، فترك المشروط والمسماع الى الصحيفة والدواء . ولست اعلم أي الادائين كان اولى به وأجدى عليه . أما الثابت فهو ان الادب قد استفاد به واستنارت بمجهوداته جهات من أدبنا الحديث للاستاذ خيرى سعيد فيها أثر ثابت . ولقد كان لمواهبه الطبيعية أثر كبير في نجاحه . فهو حلو الدعاية دائم المرح عميق الشك رضي النفس حسن العشرة . جده مزيج من الاستهتار بالاشياء مهاجلة ونظرة عميقة في حقائقها مسوقة في فكاهة ، لو أنها الظاهر حلو أخذ ، وباطنها مرارة تخرج الصدر وتبش النفس . وهذه صفات قلما يحتاج اليها طبيب ولكن كثيراً ما تكون عدة الاديب للنجاح وأداته في طبع ينشئه بطابع مستمد من خصائصه النفسية جماع هذا تدركه مصوراً في لوحات مقروءة من كتابه هذا . فان « الدسائس والدماء » لم تقو على ان تنتزع من المؤلف دمايته ولم تقو على ان تحول بينه وبين استهتاره بمن انحدر من ابطاله في هوة العدم . ولكنها كذلك ابرزت صورة من سوات الحياة والتطاحن على الحكم واشياء الدنيا تغمر النفس بتلك السكابة التي يحلو للمرء ان يعيش في ظلها ساعات مستعيناً بها على تلوين حياته وخطرات نفسه بذلك اللون الداكن المعتم ، فراراً من حسن ظنه بالدنيا ، بعد ان يكون قد أمعن في حسن الظن بها

* * *

والكتاب في مجموعته « رواية » تاريخية تظهر لك الحياة في عصر قريب من عصرنا هو آخر عصر الممالك . فاذا قرأته وارتسمت صورته في مخيلتك عجبت كيف استطاع هذا الشعب المصري ان يخرج من تلك الغمرة التي شملته حينذاك منصرفاً وكيف بنى هذه المدينة التي تقوم من حولك وكيف أصبح شعباً حراً دستورياً اخذ يمد يصره نحو المستقبل البعيد ويرجع بذكرياته الى الماضي السحيق ليستمد من القدم ومن الازل قوة يستعين بها على افتتاح طريقه الملتوى في عصر الحديد والنار . كل هذا تقرأه في أسلوب بسّ منسق وفي فصول صورّت بعبارات وصفية تكاد تدرك منها ما سينلوها ، كالاستنار المتقن فوق المسرح يوحى اليك بما سترى قبل ان ترى . ولا شك في ان الكتاب ابتكار جديد ، ومن نوع مشوق جمع بين الفن القصصي والحقائق التاريخية وما أوجنا اليهما معاً ، الى القصة والى التاريخ

رسالة المنبر الى الشرق العربي

٣٤٥ صفحة من قطع المقتطف — طبع بمطبعة المستقبل بالاسكندرية

ليس هناك ما هو أقرب الى التمثيل وانتشيه للخطيب المصنوع والاديب المفكر الاستاذ فليكس فارس من الشلال الهدّار المتدفق في قوّة وعزم ، الساخر بالالوضاح والخواجز ، المتشعب بقوة الاندفاع في منبسطات الاودية ومنعرجاتها

نعم ، إنك لتقرأ لفليكس فارس ما يلقى على الناس من منابر فتعجب في كل حرف نبوة من صوته ، وصدى لصرخاته يملأ كيان نفسك ، وما تزال تقرأ أو تستمع والحديث يستطيل وبشعب فلا تدري ما الذي ساقك الى ما انت فيه وما سوف يسوقك اليه حتى يردك الى مجرى حديثه ويعود بك الى غايته وقصده

وكأنما الشرق كان قد جمع في فتوة فليكس وصباء تلك الميزة القوية التي شبت وقويت بعد ذلك فاستطاع بها ان يستهوي الجماهير بسحر لفظه واندفاع بيانه وحرارة القائه فبت فيه اكبر ما يستطيع صدر ان يحمل من معاني الحب والتقدير لوطنه حتى يذيعها على الناس ويمجدها . فهو يقول انه نشأ نشأة الفطرة الشرقية الحرّة من كل انطباع غريب في الفكر ومن كل استهواء دخيل في العاطفة . ولذلك فانه يشيد في كل محاضراته بما للشرق من مدينة قديمة تسجره فلا يرى حسناً الا فيه . وتسولي عليه فكرة جلية ما ينفك يذيعها بين سطورهم — فكرة الوحدة الشرقية ونبد الخلافات الطائفية والقومية . فما يختلف شرقي عن شرقي في الغاية التي اتجهت اليه حقيقة دينه ، ولا يختلف واحد منهم عما يحس الآخر من آلام وما يملج في صدره من رغبات . . . وقد تناولت رسالته شتى الموضوعات الادبية والاجتماعية التي عاج فيها ما عاج من علل وأتى علينا فيها من احساساته ومشاعره ما تفيض به روحه وما استلهمته من ينابيع الشرق الثرة التي تستهوي الكثيرين في هذا العصر المادي الذي أظلم جوده النفوس الى نهلات من تلك الينابيع ، وقد أنبت بين هذه المباحث قطع من عبون شعره ولعل أروعها قصيدة « هائف الخلود »

* * *

ولجبران خليل جبران النصيب الاكبر من هذه الرسائل فقد حلل المؤلف في فصل من الفصول فلسفة جبران وحياته وشرح في سياق كلامه كتاب النبي ، وعاد بعد ذلك الى جبران في فصل آخر على أثر صدور كتاب ميخائيل نعيمة فناقشه فيه — وان كان ما أورده في الصفحة ١٦٣ ردّاً على ما جاء بكتاب النعيمة في الصفحات ٣٠ و٣١ و٣٣ من كتابه ردوداً غير مقنعة —

إلا أنه نجح في التدليل على بعض الردود الأخرى . ولعل ما هال المؤلف من المواقف التي صوّرها النعيمة — بل ما هال الكثيرين من المعجبين بجبران — هو الذي دفع بهذه الحرارة إلى قلم الأستاذ فليكس فارس فرأينا صفحات رائعة من الروح الشعري كسبها الأدب العربي ... ولعل ذلك خطوة منه لإخراج صورة أخرى عن جبران كما يراه هو كذلك الفصل الذي تناول فيه الثقافة الشرقية بالدرس والتحليل ثم استطرده منه إلى السلام عن شاعرية فوزي المعلوف وعن مقدمة شاعر أسبانيا فلاسبازا المنشورة في ديوان « على إساط الرمح » وهو من أبدع هذه الرسائل ومن أمتع الفصول وأولاها بالمناقشة بحثه « منابت الاطفال » الذي عالج فيه مشكلة من أهم مشكلاتنا الاجتماعية هي اصلاح الاسرة . وفيه يتجلى تدفق الكاتب وتنوع حديثه وتشبه ليلى بكل طرف من أطراف موضوعه الصيرفي

المنصورة الثانوية

اهدت الينا مدرسة المنصورة الثانوية صحيفتها المدرسية التي يشترك في تحريرها طلبة المدرسة فوجدناها طرفة جميلة في طبعها وتنسيقها وتحرير موضوعاتها . ورأيناها غنية بفنون شتى في العلم والأدب . اما ابواب المجلة فقد تناولت الشعر والقصة وباباً ظريفاً في النقد والفكاهة وأبواباً أخرى في العلم والأخلاق والاجتماع والبيئة المدرسية والنشاط المدرسي . وكلها محررة بأقلام تتوقع لها مستقبلاً عظيماً في عالم الكتابة كما نرجو لها مستقبلاً اعظم في بناء مجد الوطن والصحيفة مصدرة بصورة جميلة لحضرة صاحب الجلالة الملك فاروق فكلمة التقدمة لحضرة المربي الفاضل الاستاذ سيد ابراهيم ناظر المدرسة وما لاحظناه في تحرير هذه الصحيفة انها أفردت باباً خاصاً للقران المكي السعيد فدلّت على الولاء للبيت المالك الكريم . وأفسحت صدرها للشعراء من طلبة المدرسة تشجيعاً لهم لعلّ منهم من يكون الشاعر الذائع الصيت . وصوّرت البيئة الاقليمية تصويراً صادقاً أما القسم الافرنجي بالصحيفة فقد قام بتحريره أيضاً طلبة المدرسة باللغتين الفرنسية والانجليزية

والحق ان « المنصورة الثانوية » قد فتحت سبيلاً جديداً في التحرير الصحفي المدرسي ودلت بجمال طبع مجلتها وطرافة موضوعاتها وحسن تنسيقها على ذوق الذين قاموا بتحريرها او اشتركوا فيه

على كيفك

شاعت في الولايات المتحدة الاميركية وانكلترا في العهد الاخير طريقة إصدار مجلات في حجم الجيب او أكبر قليلاً تحتوي على مقالات وفصول مختارة من المجلات السيارة والكتب ولكنها مخصصة بحيث لا يرهق طولها القارئ المستعجل ولا يفوت عليه قصرها ما ينطوي فيها من فائدة . والمجلة التي شقت هذا الطريق مجلة « ريدرز ديجست » الاميركية ثم تلتها مجلات أخرى من نوعها ولكنها على الغالب لا تجارها

وقد رأت إدارة مجلة اللطائف المصورة ان خدمة الثقافة العامة في مصر تقتضي انشاء مجلة عربية من هذا القبيل فهدت الى نجل صاحبها الفاضل باصدار هذه المجلة فاذا « على كيفك » المجلة الاولى من نوعها باللغة العربية وعلى نمط المجلات الاوربية والاميركية التي تقدم ذكرها فصول هذا العدد تجمع بين الفائدة والتسلية ، وهي تملأ مائة وست وعشرين صفحة مزينة بالصور الكثيرة وبست عشرة صفحة من الصور المطبوعة بطريقة الروتوغرافور

وحبذا الحال لو عني محرر هذه المجلة بتلخيص بعض المقالات التي تنشر في المجلات والصحف العربية بعد استئذان أصحابها فتكون « على كيفك » رابطة جديدة من روابط الثقافة بين البلدان العربية اللسان

دليل لبنان

لبنان مصيف ممتاز لبلدان الشرق الادنى والشرق الاوسط فقد حبه العناية من المزايا الطبيعية ما يجعله يضارع اشهر مصايف العالم القديم ويفوقها كثيراً ولقد تغنى الشعراء من قديم الزمان بمحاسن لبنان وصفاء جوه وطيب مائه وحسن مناظره واتقن اللبنانيون العناية بالطرق اتقاناً تاماً ومدوها الى جميع انحاء البلاد وفرشوها بالاسفلت والقطران فصار للسفر بها لذة عظيمة لما يحيط بها من مناظر بديعة تعاقب تعاقب مناظر السهول وأناروا معظم قرى الاصطياف بالنور الكهربائي وجروا الماء الصافي الى بيوت هذه القرى وفنادقها وحدائقها فزاد النور والماء في البهجة والنظافة وتوفير أسباب الصحة والرفاهية

بهذا قدم سعادة خليل بك ثابت دليل لبنان الذي طبعته شركة فرج الله للسياحة وفي الدليل بيانات وافية عن كل مصيف من مصايف لبنان مع نبذة صغيرة عنه بين فيها طرق المواصلات والفنادق والمنازل المعدة للابحار وغيرها

فهرس الجزء الاول

من المجلد الثالث والتسعين

ظواهر الجو وأحواله	١
أثر الامراض المتوطنة في كفاءة الجندي المصري : للدكتور محمد خليل عبد الخالق بك	٩
الشعر والحياة : (قصيدة) لفليكس فارس	١٧
المعدة والانفعال : بحث طريف في طبائعها المتقلبة	١٩
الفن الاكبر : لميخائيل نعيمة	٢٣
الحياة الفكرية في عهد المشادة وعصر الاستقرار : لعلي ادم	٢٩
الدستور والنعرات المذهبية : لانيس المقدسي	٣٣
حضارة الميتانيين : لقيصر صادر	٤٢
ابو العلاء المعري ونظرة الى الحياة : لعبد الرحمن شكري	٤٧
بعد عهدي بعلم الفلك : للدكتور فارس نمر باشا	٥١
احمد علي الاسكندري ومذهبه في اللغة	٥٩
نشوء علم الطبيعة : كتاب اينشتين وانقلد	٦٣
المذاهب الاشتراكية : لحليم ميري	٦٥
من انت ؟ (قصيدة) : نقلها الدكتور اسماعيل احمد ادم	٧٢
قاهر البحار (قصة مجلان) : نقلها محمد سعد فوزي	٧٣
حديقة المقتطف * مختارات من الشعر الرائع للشاعر الفرنسي بودلير : الجمال . انشودة للعجاء . سمو . رسالات . الغريب : نقلها خليل هنداي . بطرس وماضغ للشاعر الفرنسي ايكار : نقلها احمد ابو الحضر منسي . من الشندي : الى الابتسام الهاجر : للسيد ابوالنصر احمد الحسيني الهندي	٨٥
سيران زمان * البعث الالماني وبدا الانهار في تسوية الحرب الكبرى : بولندا وروسيا . النمسا وايطاليا	٩٧
باب المراسلة والمناظرة * الشجم وضروبه : للاب انستاس ماري الكرملي	١٠٥
باب الاخبار العلمية * البسلة الصينية ومناقصها المتعددة : لعوض جندي . الجهاز الرحوي والنشاط الاشعاعي الصناعي . ازالة جزء من الدماغ لا يؤثر في الذكاء . أشعة لقتل الميكروبات . أصل الاشعة الكونية	١١٠
مكتبة المقتطف * مدام كوري . سيرتها بقلم صغرى ابتهاج ايف كوري . على هامش السياسة . طه حسين - دراسة وتحليل . محمود كامل - انا وانت . مطبوعات الحكومة العراقية . سندباد عصري . ملحق تاريخ الاداب العربية . الدسائس والدماء . رسالة المنبر الى الشرق العربي . المنصورة الثانوية . على كيفك . دليل لبنان	١١٦